



شئون اجتماعية

العدد الرابع والعشرون - السنة السادسة - شتاء - ١٩٨٩ م - ١٤١٠ هـ

● أسر بلا أطفال نظرة مستقبلية.

د. إبراهيم خليفة

● محددات مشاركة المرأة في جهود التنمية بدولة الإمارات.

د. عوض عبد الكريم وزميله

● الجهاز الإداري الحكومي في الدول النامية بعد الاستقلال.

د. محمد حسن عبد الماجد

● ديناميات شخصية المدمن (دراسة لثلاث حالات)

د. محمد هويدى

● الأسرة وجنوح الأحداث في مجتمع الإمارات

أ. منى جمعة البحر

● دراسة مقارنة في التوافق النفسي لدى الطفل المصري والطفل الإماراتي.

د. يوسف عبد الفتاح محمد

تصدر عن جمعية الاجتماعيين

شُوُون اجتِماعِيَّة

من العدد

٥ دراهم	الإمارات
٥٠٠ فلس	البحرين
٥٠٠ فلس	الكويت
٥ ريالات	قطر
٥ ريالات	السعودية
نصف ريال	عمان
٥ ريالات	اليمن الشمالي
٣٠٠ فلس	اليمن الجنوبي
٥٠٠ فلسًا	العراق
٥٠ قرشاً	ج.م.ع
١٥ ليرة	لبنان
١٠ ليرات	سوريا
٣٠٠ مليم	السودان
٤٠ قرشاً	ليبيا
٥ دنانير	الجزائر
٥٠٠ مليم	تونس
٥ دراهم	المغرب

الاستراتيجيات

٢٥ درهم	في الامارات
١٠ دولار	في الوطن العربي
١٥ دولار	في الخارج
للفراد سنوياً	
١٠٠ درهم	في الامارات
٤٠ دولار	في الخارج
للمؤسسات سنوياً	

٣٥

1111-1982-581-00-0



$$e^{i\omega t} = e^{i\omega t}$$

— 1 —

شُؤون اجتِماعيَّة

مجلة فصلية علمية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

تصدر عن جمعية الاجتماعيين

رئيس التحرير: الدكتور عبد الخالق عبد الله

سكرتير التحرير: راشد محمد راشد

الهيئة الاستشارية

- د. باهر محمد عتم
- د. شفيقة عباس
- د. عبدالوهاب خياط
- د. علي الشرهان
- د. فوزية العلي
- د. محمد حور
- د. محمد المطوع
- د. موزة غباش

جميع الآراء الواردة في هذه

المجلة تعبر عن رأي كاتبها

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير – ص. ب ٣٧٤٥
الامارات العربية المتحدة (الشارقة) هاتف ٤٨١٦١ جمعية الاجتماعيين

ابواب المجلة

الموضوعات

الصفحة

- الافتتاحية :
 - ١ - هذه المجلة بين الهموم والطموح
 - بحوث ودراسات :
 - ٣ - أسر بلا أطفال نظرة مستقبلية.
 - د. إبراهيم خليفة
 - ٢ - محددات مشاركة المرأة في جهود التنمية بدولة الإمارات العربية المتحدة (دراسة ميدانية).
 - ٢١ - عوض عبد الكريم حامد، د. رضا عبد الخالق أبو حطب.
 - أ. مثناء الشامسي
 - ٤ - الجهاز الإداري الحكومي في الدول النامية بعد الاستقلال.
 - ٤١ - محمد حسن عبد الماجد
 - ٤ - ديناميات شخصية المدمن (دراسة لثلاث حالات)
 - ٦٥ - محمد هويدى
 - ٥ - الأسرة وجنوح الأحداث في مجتمع الإمارات.
 - ٨٧ - مني جمعة البحر
 - ٦ - دراسة مقارنة في التوافق النفسي لدى الطفل المصري والطفل الإماراتي.
 - ١٢٣ - د. يوسف عبد الفتاح محمد
 - آراء وأفكار
 - ١٤١ - سوء الإدارة والأمراض المهنية.
 - ١٤٥ - عاصم غانم
 - ٢ - دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية.
 - ١٤٥ - فاروق أمين
 - ملخصات الرسائل العلمية:
 - ١ - دور الأب في عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة في مجتمع الإمارات (آمنة عبيد غباش).
 - ١٥٧ - إعداد: طه حسين حسن
 - ٢ - توطين العمالة بالقطاع المصرفي بدولة الإمارات العربية المتحدة.
 - ١٦٧ - مظفر الحاج مظفر
 - عروض الكتب
 - ١٨١ - الدور الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية (د. أحمد عبد الرزاق شكاره)
 - ١٨٧ - عرض محمد السعيد إدريس
 - تقارير وندوات ومؤتمرات :
 - ١٨٧ - الملتقى الثاني للكتابات القصصية في الإمارات
د. يسري العزب

هذه المجلة بين الهموم والطموح

إن نجاح أي عمل، مهما كان مجاله وحجمه وهدفه، يعتمد اعتماداً كبيراً على قدرته في التعريف بنفسه وبمساهماته وإيجابياته وبصعيوباته وبفوائده للمجتمع. وإن أحد أهم مواصفات العمل الناجح هو تواصله وتفاعله المستمر مع محیطه وببيئته ومع الأفراد المعنيين مباشرة به. ونحن في مجلة شؤون اجتماعية نعتقد أن الوقت قد حان، بعد انتهاء السنوات التأسيسية الأولى، أن نوضح طبيعة هذا الجهد العلمي ونعرف بفوائده وإيجابياته الهائلة للمجتمع. كما أن الوقت قد أصبح مناسباً الآن للحديث عن بعض الصعوبات والتحديات التي ترافق إصدار مجلة علمية وأكademية في مجتمع مثل مجتمع الإمارات.

مع صدور هذا العدد الـ ٢٤ تكون مجلة شؤون اجتماعية قد أكملت عامها السادس ومن حق المجتمع أن يكون على دراية ومعرفة بأوضاعها وتطورها وخطتها ومشاريعها المستقبلية. إن من حق قارئ المجلة ومن حق الجمهور عموماً أن يفرح عندما تتحقق المجلة مكاسب ونجاحات ومن حقه أن يساهم قدر الإمكان في تعزيز هذه المكاسب. كما أن من حق الأفراد بعامة ومن حق قارئ مجلة شؤون اجتماعية خاصة أن يتفاعل ويتأثر بالصعوبات والتحديات والمحطات العديدة التي تحد من تطورها ومن واجبه المشاركة في تخفيف المعاناة والأعباء التي تواجهها والتي تتزايد يوماً بعد يوم.

لقد حققت المجلة حتى الآن مكاسب مهمة. فهي الآن وبدون منازع أهم مجلة علمية وأكademية تصدر في الإمارات وهي أيضاً أكثرها انتشاراً في المجتمع. لقد أصبحت المجلة المرجع الرئيس لأي باحث يود إجراء دراسة حول مجتمع الإمارات في أي مجال من المجالات الاقتصادية والتنمية المختلفة. إن لكل عدد من أعداد مجلة شؤون اجتماعية قيمة حضارية تفوق القيمة الحضارية للعديد من المشاريع الأساسية والمنشآت والمعماريات الخرسانية التي برزت خلال سنوات الازدهار النفطي. لذلك لا عجب أن إقبال الباحثين والأكاديميين قد تزايد على المجلة ولا عجب أيضاً أن تجاوب القراء قد تضاعف وأن عدد المشتركين داخل وخارج الدولة قد حق تزايداً لم يكن متوقعاً قبل أقل من سنة. إن كل هذه المكاسب التي حققت للمجلة، وأخرى عديدة، تشعرنا بالسعادة البالغة وبفرح داخلي عظيم. ونود أن يشاركنا الجميع الشعور بهذا الفرح الصادق والعميق في زمن لا يجد فيه الإنسان العربي الكثير لكي يفرح من أجله.

إن المجلة ستحافظ على هذه المكاسب وستعمل على تعميقها. فلقد وضعت هيئة التحرير خطة عمل لتطوير المجلة شكلاً ومضموناً خلال المرحلة القادمة. ولا يمكن لهذه الخطة أن تنجح بدون تعاون وتفهم ودعم المجتمع. إن أحد أهم

بنود هذه الخطة هو الحصول على الاستقلال المالي وتأمين مصدر ثابت ودائم لميزانية المجلة. إن من المفارقات المضحكة القول إن الوضع المالي للمجلة صعب وأنه غير مستقر. بل إن المجلة، ربما كانت مهددة بالتوقف نتيجة لترامك الديون وتزايد الأعباء المالية. هل يعقل لمجلة علمية تصدر في دولة تعيش حالة الرفاهية والوفرة وتحتده عن صعوبات وتحديات مالية؟ كيف يمكن لدولة تقدم المساعدات لدول العالم كافة وتنفق بسخاء على مشاريع مجذبة وغير مجذبة وتعج برجال الأعمال من أصحاب الملايين والبلايين، كيف يمكن لمثل هذا المجتمع أن يتخلّي ويتجاهل دعم ورعاية أهم وأبرز مجلاته الأكاديمية؟ إن مجلة شؤون اجتماعية هي الآن بأمس الحاجة إلى تسديد الديون المترآكة وهي أيضاً بأمس الحاجة للحصول على ميزانية سنوية ثابتة تضمن لهيئة التحرير الاستمرار والتفرغ لواجهة الأعباء التحريرية والفنية والأكاديمية والعمل على تطوير مضمون المجلة وزيادة نطاق تداولها داخل الدولة وخارجها.

هذا فيما يتعلق بالبند الأول من خطة العمل أما البند الثاني فإنه يتعلق بالعمل من أجل زيادة انتشار المجلة من خلال زيادة عدد المؤسسات والأفراد المشتركين فيها والذين يبلغ عددهم حوالي ٦٠٠ مشترك وأيضاً من خلال زيادة عدد القراء بما يتناسب مع أهمية المادة العلمية لمجلة شؤون اجتماعية. إن عدد قراء المجالات العلمية التي تنشر البحوث والدراسات هو في الأساس قليل بخاصة وأن القراءة، عموماً، هي أزمة مزمنة في الوطن العربي. بيد أنه من غير المقبول والمعقول أن ~~يُقال~~ عدد المشتركين في مجلة شؤون اجتماعية أقل من ألف مشترك.

إننا ننطمح إلى زيادة عدد القراء والمشتركين إلى ضعف العدد الراهن. إننا نعتقد اعتقاداً جازماً أن هناك في المجتمع أفراداً وقراء وباحثين توافقن للحصول على المجلة وقراءة مادتها والاستفادة من بحوثها ودراساتها. ومهمنا في المرحلة القادمة هي الوصول إليهم جميعاً. إن هذه هي مسؤولية أساسية من مسؤوليات هيئة التحرير التي تقوم حالياً بتكييف حملة التعريف بالمجلة عبر الوسائل المتاحة كافة.

إننا ننطلع إلى مساهمة الجميع في هذه الحملة التعريفية بالمجلة وننطلع إلى أن يقوم كل فرد مهتم بدعم حملة زيادة عدد القراء والمشتركين والمستفيدين من بحوث ودراسات ومقالات هذه المجلة. إن كل قارئ جديد وكل مشترك جديد يعني لنا المزيد من الثقة في هذا الجهد العلمي الذي نعتقد أنه يستحق كل الدعم والرعاية والاحتضان من المجتمع. هذا الاحتضان نحن بأمس الحاجة إليه الآن مجرد الاستمرار.

شأن اجتماعية



أسر بلا أطفال نظرة مستقبلية

د. إبراهيم خليفة

مقدمة :

الأطفال.. كيف نعتني بهم، وكيف نربيهم، وكيف ندخلهم إلى عالم البالغين؟.

كان هذا الأمر، ولا يزال الشغل الشاغل للأباء بصفة خاصة، وللمجتمع بصفة عامة..

وعلى الرغم من الملاحظة المعتادة المتكررة بأن أطفالنا هم غدنـا، بينما تعتبر نحن أطفال الأمس، إلا أن الباحثين والمؤرخين - تقليدياً - لم يولوا إلا انتباهاً ضئيلاً للأبعاد التاريخية للطفولة، وبالتالي فقد تصورووا مفهوماً للطفل يوحي بأنه «شيء» مستقل سلبي، أو بأنه «موضوع» يجري عليه مجتمع

* أستاذ علم الاجتماع المشارك - جامعة الملك سعود - الرياض.

البالغين جهودهم لتربيته وتعليمه، مع أن لحظة تبصر ستتبىء أي بالغ - لا يكتفي بمجرد الاتصال العابر مع الطفل الصغير - أن الطفل بإمكانه أن يمارس نفوذاً ذا آثار قد تكون محدودة وقد تكون قوية جداً على سلوك الكبار.

إن الطفولة لم تبحث و تستقصى عبر التاريخ لتأكيد كيف كان الأطفال في الماضي يؤثرون على والديهم، وعلى مربיהם، وعلى المجتمع.

وكما نفحص معاملة المجتمعات لأطفالها، فإنه يتحتم علينا أن نوسع مجال استقصاءاتنا لكي تشمل وتأخذ في الاعتبار آثار الأطفال التي تستثير الكبار.

إننا نتوقع أن يؤثر الآباء على أطفالهم، والناس الذين يعيشون معاً - عادة - يؤثر كل منهم في الآخر ويتأثر به..

ولكن الشيء الذي يفوت انتباها و قد نغفل عنه أو نتجاهله عنه، هو الحد الذي يصل إليه تأثير الأطفال على آبائهم وعلى الكبار الآخرين.

وهناك مؤشرات تدل على أن نسبة العقم في جميع أنحاء العالم آخذة في الازدياد، وأن هذه النسبة تشمل حوالي ٢٠٪ من كل الزيجات.

وفي الوقت نفسه، آخذت وحدات الخصوبة وأطفال الأنابيب تنتشر في المستشفيات، وتقدم مزيداً من الخدمات للذين يعانون من عدم الإنجاب، في حدود التعاليم التي أجازها المجمع الفقهي الإسلامي في دورته الثامنة حول الحمل الصناعي وأطفال الأنابيب.. وبدأت تعقد الندوات العلمية حول الموضوع مؤكدة أهميته وحيويته.

وقد دلت بعض الدراسات على وجود أثر سلبي لغياب الأب في تطور شخصية الطفل، وأن هذا الأثر يظهر بشكل نمو غير طبيعي للقدرات وعادات الفرد الرجالية والجنسية والاجتماعية والفكرية (حمدان: ١٩٨٢: ٦١). كما نشرت بحوث أخرى حاولت أن توضح كيف يتأثر الآباء، وكافة الذين يقدمون الرعاية للصغار، بالأطفال الذين يقومون بتنشئتهم، وخلصت إلى أن الكبار يتلاءمون مع الصغار بشكل يصعب تحليله، تماماً كما يفعل الصغار بالنسبة للكبار.

ومهمة هذا البحث هي محاولة تحديد مدى تأثير الأطفال على آبائهم، ثم مدى انعكاس ذلك على محرّكات «ديناميات» التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة، وذلك بقصد استخلاص الأثر أو الآثار المرتبطة على غياب الطفل تماماً عن الوسط الأسري، ونعني بذلك حالة الأسرة غير المنجية، أو الأسرة التي لا يعيش لها

أطفال، وكذلك الأسرة بعد خروج الابناء والبنات، أي في مرحلة ما بعد الوالدية وخلو العش إلا من الوالدين أحدهما أو كليهما...

الوجه الآخر للتنشئة الاجتماعية :

قد يتراءى لنا أن كثيراً من المشكلات الإنسانية لها حلول، وقد نرى أن هذه الحلول بسيطة، ونجد لها موضع تهليل وتصفيف، ولكنها غالباً ما تكون خاطئة، والدليل على ذلك أن الأبحاث الخاصة بالتنشئة الاجتماعية قد دأبت لعدة أجيال متغيرة على ملاحقة وتتبع حل بسيط برأس مشكلة التطور الإنساني، خلاصته أن معظم خصائص الطفل وصفاته، إنما تأتيه عن طريق سلوك والديه، وأن الأب هو الممثل أو الوكيل الأولى أو الاستهلاكي للثقافة، وأن الطفل ما هو إلا آداة للتثقيف، وذلك لأن الطفل البشري يبدو لا حول له ولا قوة بالمقارنة بصفار المخلوقات الأخرى، وبالنسبة للملاحظ الذي لا يبدي انتباها للأثار التي تنعكس على الوالدين، فإن الطفل يبدو كل شيء محتاجاً للحماية والإعالة ثم لتكوين والتشكيل والتطویر بواسطة الوالدين.

وعندما نستقرئ تاريخ الشعوب والمجتمعات يتضح لنا أنه ليس من الميسور أن ننهرب من التبسيط المفرط التقليدي، وعندما تتصب نظرتنا على التعقيد الكامل لعملية التنشئة الاجتماعية البشرية فإن من الضروري أن نخلص أنفسنا من القيود الفكرية التي ترجع أصولها إلى أجيال خلت، ولابد أن نقدر تماماً التقدير أنه لم يعد مهماً أن نتخد مواقف متفرقة بالنسبة للقابلية للتطویر والتطبيع لدى الأطفال، بحيث نجد أنفسنا غير قادرين على معرفة كيف يربى الأطفال والديهم، وأن قيمة الزواج لا تمثل في كون البالغين ينتجون أطفالاً، وإنما في كون الأطفال ينتجون آباء راشدين (De Vries: 1954: 98) .

ولكن يصبح من غير الممكن أن ننقبل إمكانية مساهمة الأطفال في مسار تطوير وتغيير النسق الاجتماعي «الوالد - الطفل» بدون الإشارة إلى تلك الفترة في تاريخ علم الاجتماع وعلم النفس التي كان التفكير خلالها يضع الغرائز في كل نمط من أنماط السلوك الإنساني، والتي كانت تفترض وجود عوامل أو محددات «بيولوجية» لتقسيم الاختلافات على كل المستويات القومية والعرقية والفردية.

ونوجز هنا بعض الاتجاهات أو النزعات التاريخية التي لازالت تلقى بثقلها وتأثيرها على نظريات التنشئة الاجتماعية الحالية، ومثال ذلك التحول من

النماذج «البيولوجية» المفرطة في التعميم إلى السلوكية الجذرية المتطرفة خلال الثلاثينيات، والتي أدت إلى تأكيد متزايد على أهمية طبيعة المحيط أو الوسط في تحديد التغيرات التي تعيّر السلوك، وقد كانت خصائص الوليد الذاتية - بخلاف الصحة - غير ذات أهمية لدى واتسون (Watson: 1977) الذي ألغى الحقيقة القائلة بأن الصغير إنما هو جزء من الوسط المحيط بالكبار وبالوالدين، ولذلك فمن الواجب تقبّلهم كمصدر للعديد من المثيرات أو المنبهات، وعلينا أن نكون مهيئين لتقدير وقوع ضبط واقعي ومادي وأساسي لسلوك الآباء بواسطة الأبناء.

وتشير الأبحاث الحديثة التي يجريها مهتمون في مجال التنشئة الاجتماعية، إلى أن القائمين بها يصطدمون بمؤشرات تدل على وجود تأثير للأطفال على الوالدين (Nowlis: 1952: 1977)، ويؤكّدون على أهمية النماذج المزدوجة في معالجة التفاعلات الاجتماعية (Sears: 1977)، وهم عندما يركّزون في بحوثهم على الآثار ذات الاتجاه الواحد من الوالدين نحو الأطفال، فإنّهم يقصدون بذلك رؤية ما قد تستخلصه تلك الدراسات علمًا بأنه لا يتوفّر في متداول أيديهم أو تحت تصرفهم منهج أو مناهج واضحة قادرة على عزل آثار الأطفال على ذويهم من الكبار، ولا نحسب أنّهم يقصدون الإغفال النظري لقيمة المثيرات الناتجة عن وجود الأطفال ولذلك فإن انضباط سلوك الوالدين بواسطة الأبناء يجب أن يأخذ مجراه كجزء من التوقع العام للباحث الاجتماعي النفسي المعاصر، والذي يقول بأن معظم السلوك يتعرّض لضبط جزئي ناتج عن بعض المثيرات Stimuli التي توجد خارج الكائن.

إذن، فبإمكان أن يتغيّر الوالدان، وغالباً ما تؤدي خبرات الآباء والأمهات إلى مواقف جديدة وفهم جديد، ومثال ذلك أن الوالدين عندما يصبحان أكثر خبراً، تحدث تعديلات على مفاهيمهما بالنسبة لما يتوقّع من الطفل، ويكون أكثر معقولية في حدود مرحلة عصرية معينة، وبالتالي فإن الوالدين يعدلان من نفسيهما لكي تصبح تربيتهما لطفلهما أكثر ملاءمة.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الوالدين يصبحان أقل قلقاً، وأكثر انعطافاً وتعاطفاً، ومن المحتمل أيضاً أن يمارساً ضبطاً أكثر حزماً وأكثر تماسكاً.

وفيما وراء الخبرة، نجد أن المكانة والوضع المعيشي للوالدين، تؤثّر على تنشئة الطفل، كما أنها تؤثّر أيضاً على الوالدين، فمثلاً الوضع المعيشي الإيجابي للوالدين يجدد ويعضّد معنويات الوالدين، ويحافظ على بقاء أدائهم على

مستوى عال، كما يجعلهما أقل تعسفاً وأكثر تواصلاً وتقهماً وتجاباً وتعاطفاً. وبانتقال الأطفال داخل الأسرة من مستوى نمو إلى مستوى آخر، تصبح الحاجة ملحة إلى تكريس جوانب أخرى مختلفة من خبرات الوالدين، وبناء على ذلك، فإن الموقف التفاعلي الأسري، يمثل موقعاً يواصل كل المساهمين فيه التكيف وإعادة التكيف، والتلاقي وإعادة التلاقي، فيما بينهم، وتجاه بعضهم البعض طوال مسيرتهم وتقدمهم خلال دورة الحياة، (Maccoby: 1980: 410) . ويعتبر وجود الطفل في الأسرة دعامة من الدعامات التي تضفي على الوجود الأسري معنى وغاية، وتشعب الاحتياجات المتغيرة والمتعددة للزوجين خلال مراحل دورة الحياة الأسرية المتعاقبة.

معوقات الدور وعدم الإنجاب والتبني :

إن غيبة الطفل تعني غياب عنصر ليس فقط ضروريًا وفعالاً في كل مرحلة من مراحل دورة حياة الأسرة وإنما له أيضاً أثر خطير على نمو وتطور العلاقات الأسرية بين الوالدين، ومن ثم فإن غيبة الطفل تمثل معوقاً لا إرادياً لعمليات التوافق النفسي والاجتماعي فيما بين الزوجين، تتعكس آثاره على علاقاتهما الاجتماعية خارج نطاق الأسرة، وما لم يجد الزوجان من السبل ما يعوضهما عن هذا النقص أو يساعدهما على تخطي هذا العائق، فإنهما قد يعيشان أزمة توافق تعاني نتائجها الأسرة ويجني المجتمع حصيلتها سلباً أو إيجاباً.

ومن السبل التي تلجأ إليها الأسرة في بعض الأحيان كتعويض عن الإنجاب: «التبني» Adoption أو أداء أدوار بديلة في خدمة أطفال الغير.

والزوجان اللذان يدخلان حياة التبني يواجهان سلسلة من الصعاب التي يمكن أن توصف بأنها «معوقات الدور»، وهي تلك المعوقات التي تثيرها وتدعيمها موقف الآخرين تجاه عدم الإنجاب والتبني، غير أن الزوجين في مثل هذه الحالات لا يعدمان الوسيلة لمواجهة الصعاب، فهما إما أن ينكرا أن تكون حالتهما مخالفة لحالة الوالدين البيولوجيين، أو أنهما يسلمان بالفارق (Lambert & Streather: 1980: 37) ، كما أن النظر إلى «أسر التبني» على أنها «جماعة أقلية» Hority Group له أهميته، من حيث أنه يدع المجال مفتوحاً لمواجهة الواقع والحقائق التي تترتب على التبني، وأنه يجعل الطفل المتبني مدركاً لحقيقة وضعه منذ البداية، وهذا الانفتاح والإدراك من شأنهما أن يقللاً التوتر وعدم الوضوح وإمكانية عدم التكيف لدى الطفل عندما يكبر.

وفي دراسة حديثة عن الأسر غير المنجبة Childless في بعض قبائل كينيا ونيجيريا، تعرّض الباحث مقارنة وتحليل العلاقة بين المعتقدات الخاصة بعدم الإنجاب Childlessness والوضع الاجتماعي للكبار غير المنجبين، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن أن هذه القبائل المتبااعدة جغرافياً والمتباعدة ثقافياً، تصف «الأبوة» بأنها متطلب أساسى للحصول على وضع البلوغ الكامل والدخول عن جدارة في عالم الكبار الراشدين Elderhood وأنه بإمكان غير المنجبين - في بعض تلك القبائل - اكتساب مكانة «الأبوة» وبالتالي مكانة الكبار من خلال «الأبوة بالتنشئة» Fosler parenthood أو «الأبوة بالشعائر والطقوس» Ritual parenthood بينما في قبائل أخرى في كينيا، لا يكفي هذا كلّه، لتأكيد وضع الشخص البالغ، واكتسابه مكانة الكبار، وفي هذه الحالة يصبح وضع الكبار بدون أبناء أحياء وضعًا صعباً وغير متقبل في المجتمعات التقليدية (Sangree: 1987: 201)، وعلى العموم، فإن غير المنجبين في المجتمعات الأقل نمواً عليهم أن يواجهوا كلاً من الفقر والوحدة، لأنهم - على العكس من نظائرهم في المجتمعات الأكثر نمواً - أكثر اعتماداً على ذريةتهم في أعمال الرعي والزراعة، ولكي يجدوا من يشد أزرهم في سنوات الوهن، ومعنى هذا أن الدافع إلى الحصول على أطفال، توجهه وتؤكده وربما تولده اعتبارات اقتصادية عميقية الأثر في حياة هؤلاء الناس.

أضف إلى ذلك، أن الرباط المتبدّل بين بلوغ الكبر والرشد من جهة، و«الأبوة» من جهة أخرى أمر موصوف ثقافياً، موجود في كل المجتمعات، أما «الأبوة» عن طريق «التبني» Adoption فهي في المجتمع المسلم محظمة «ادعواهم لآبائهم هو أقسط عند الله، فإن لم تعلموا آباءهم، فإخوانكم في الدين ومواليكم» - سورة الأحزاب، الآياتان ٤، ٥.

تحديد النسل.. وتطبيق نطاق التدريب الأسري :

من الملاحظ أن الأسرة النووية الصغيرة التي تحدد نسلها، فلا يكاد يتسع نطاقها لأكثر من طفل أو طفلين (من جنس واحد أو من الجنسين)، في مثل هذه الأسرة لا يكاد الابن أو الابنة يجد الفرصة متاحة لكي يحصل على المران اللازم، من أجل التعود على ممارسة علاقات التعامل واكتساب خبرات التفاعل الإيجابي البناء مع الآخرين، من في الجنس أو من الجنس الآخر، ومع من هم أكبر منه، ومع من هم أصغر منه، مما يعوق بدوره الأداء الفعال لدور كل منها الأسري

في مستقبل حياته كأب أو كأم في أسرة الإنجاب التي يكونها بعد خروجه من دائرة أسرة الإعداد.

هذا، ويشير بعض الباحثين إلى أن نسبة كبيرة من الأسر العربية في الوقت الحاضر، تميل إلى تحديد عدد أطفالها، وبخاصة بين الفئات التي حصلت على درجة معينة من التعليم، وذلك بدعوى المحافظة على مستوى معيشى مناسب لأعضائها، حتى أنه يبدو ظاهراً أنه كلما ارتفع دخل الأسرة نقص عدد أطفالها، والعكس صحيح، ورجع بعض المحللين هذه الظاهرة إلى رغبة الفئات العليا في المحافظة على مستوى معيشى بالنسبة لأطفالها (الخولي: ١٩٧٤: ١٤٦)، غير أن هذا لا يقلل من النظرة إلى الطفل باعتبار أنه تجسيد للعلاقة بين الزوجة والزوج، وهو ما تراه الزوجة رباطاً قد يتحقق على رباط الزوجية نفسه، وحول الطفل يلتقي الزوجان في الكفاح والأمال، مهما اختلفا في أمور الدنيا الأخرى، والطفل - بالإضافة إلى ذلك - ذخيرة للمستقبل والشيخوخة، سواء كان ذكراً أو أنثى (يوسف: ١٩٨٣) ولذلك فقد أجريت ولا زالت تجرى دراسات علمية جادة، حول الإنجاب والعمق، على أساس أن عدم حدوث أي حمل، وفشل الزوجين في الإنجاب، خلال سنتين من الزواج يعتبر عقماً.

طفل الأنابيب :

هذا، وتختلف وسائل العلاج، فإذا كان الزوج هو السبب في العقم، فهناك بعض العمليات التي تجري لإصلاح الانسدادات بالقناة المنوية لديه، وهناك كذلك بعض العقاقير التي تستخدم لزيادة عدد الحيوانات المنوية وزيادة حركتها، وأما بالنسبة للمرأة، فهناك الكثير من الطرق التي تعتمد على تشخيص السبب الرئيسي، فإذا كان السبب يرجع إلى فشل المبيض في إخراج بويضة كل شهر بطريقة دورية فإن هناك بعض العقاقير التي تعطى لعلاج هذه الحالة، وإذا كان السبب يرجع إلى انسداد في قناعة فالوب، بسبب بعض الالتهابات، فمن الممكن إجراء بعض العمليات الجراحية أو استخدام أشعة الليزر لإزالة الانسداد، وإذا كانت الالتهابات قد قضت على الخلايا الداخلية في قناعة فالوب، فإن حالات الحمل لا تتم إلا من خلال «طفل الأنابيب».

وقد كان أول ميلاد لأطفال الأنابيب في عام ١٩٧٩، وقد أصدر المجتمع الفقهى المنعقد في مكة المكرمة بدورته الثامنة، قراراً بجواز التلقيح الصناعي والخارجي، شريطة أن تؤخذ النطفة الذكرية من الزوج، وأن تحقن بها زوجته، أو أن توضع في أنابيب اختبار مع بويضة مأخوذة من مبيض زوجته، ثم تنقل

في الوقت المناسب إلى رحم الزوجة، لتعلق في جداره وتنمو وتتخلق، ثم في نهاية مدة الحمل تلده الزوجة، وهذا هو « طفل الأنبوب» الذي حققه الإنجاز العلمي الذي يسره الله (الوزان: ١٩٨٥ : ٢٩ - ٤٠).

غيبة الطفل والتكييف الأسري :

نمو القدرات الفكرية لدى الزوجين :

يقيس نمو القدرات الفكرية والذكاء لدى الوالدين وفقاً لبعض المحركات المتفق عليها، ومن ذلك:

١ - القدرة على الاستجابة الحقة والتجابو الصادق.

(Thorndike: 1921: 124 - 127)

٢ - القدرة على إجراء تفكير مجرد (Terman: 1921: 127 - 133)

٣ - القدرة على تعلم الانضباط والتكييف مع البيئة والمحيط

(Colvin: 1921: 136 - 139)

٤ - القدرة على التكيف والتلاقي مع الأوضاع الجديدة نسبياً في الحياة

(Pinter: 1921: 139 - 143)

٥ - القدرة على اكتساب القدرات (Woodrow: 1921: 207 - 210)

٦ - القدرة على تعلم خبرات والاستفادة بها (Dearhorn: 1921: 210)

وإذا كان وجود الطفل في الأسرة يساعد على نمو القدرات الفكرية لدى الزوجين الوالدين، فإن غيابه يكون بمثابة معوق لهذا النمو أو معطل له. فقدرة الوالدين السوين على الاستجابة الحقة والتجابو الصادق، في تعاملهما مع أبنائهما من منطلق الآباء والأمهات في نطاق الأسرة البيولوجية أمر لا يحتمل الجدال، وغالباً ما يكون ظاهراً Manifest أو خبيئاً Latent مستتراً ، بحسب درجة التوافق النفسي والاجتماعي والعاطفي بين الآبوين وظروفهما المعيشية.

أما نمو القدرة على إجراء التفكير المجرد لدى الزوجين في الأسرة غير المنجبة فيما يتعلق بوضع وجود طفل مقارناً بوضع غيابه، فهو أمر صعب التحقيق، لأن الزوجين اللذين لم ينجبا لم يتعرضاً قط لخبرات الآباء والأمهات حتى يتمكنا من التفكير تفكيراً مجرداً بعيداً عن التعاطف أو الانعطاف أو التحيز أو التجني أو الوهم.

وليس أقدر من الأسرة المنجبة ذات الأطفال على تعلم كل ما من شأنه أن

يؤدي إلى الانضباط والتكيف مع البيئة الجديدة والمحيط الأسري الآخر في الاتساع، ومن الأمثلة التي تذكر هنا مثال الأم التي تستجيب ببساطة لطلبات التكيف بالوضع الجديد - ولو على مضض - فتقول : «لو أن زوجي هذا كان هو الرجل الوحيد في العالم لما بقيت معه كزوجة ولكنني أبقي على الأسرة من أجل الأطفال الصغار»، ومثل هذه الأم تجد العوض والتعويض والمقابل النفسي والعاطفي في تعلقها بأبنائهما وبناتها، وهكذا تنضبط الحياة الأسرية، حتى في أشد حالات تعذر أو استحالة انضباطها مجرد وجود الطفل، مما بالك بغيبة في مثل هذه الحالات؟.

هذا، وتمثل الحياة الزوجية للزوجين المبتدئين وضعًا اجتماعياً معيشياً طارئاً، وليس بالضرورة مطابقاً للوضع الأسري الذي مارسه وخبره كل منهما خلال تنشنته في أسرة الإعداد التي ولد فيها، إذ إن أسرة الإعداد لكل منهما كانت أسرة منجبة ذاتأطفال، فإذا حدث أن أنجبت الأسرة التي يكرنأنها، كان الوضع الجديد مقارياً أو مماثلاً للوضع الذي شب فيه كل من الزوج والزوجة، وأما إذا غاب الطفل لسبب أو آخر، ولم تنجي الأسرة الجديدة، فإن الوضع يختلف تماماً عما عاشه كل منهما في أسرة والديه، ولذلك تتوقع أن يصبح التكيف والتلاؤم مع الأوضاع الجديدة أمراً غير مؤكد. وخاصة وأن المجتمع يتوقع من الزوجين أن ينجبا، ويترقب حدوث ذلك، وغالباً ما تربط المجتمعات - وفقاً لثقافاتها - بين الإنجاب وتمام الرجولة بالنسبة للزوج، وبين الإنجاب وتأكيد الخصوبة الكامنة بالنسبة للزوجة.

ومما سبق، يمكن أن نتبين كيف أن وجود الطفل يساعد الزوجين على اكتساب قدرات جديدة، وتعلم خبرات عملية أساسية، والاستفادة بها في الواقع حياتهما، بينما تتسبب غيبة الطفل في حرمانهما تماماً من كل هذا، ولذلك يلجأ بعض الأزواج، ربما بعد أن يمرروا بمرحلة معاناة قد تستمر لبعضة أعوام، إلى اتخاذ قرار تبني الطفل أو كفالته، والطفل في هذه الحالات ليس كفأاً للطفل البيولوجي أي طفل الرحم، ولا تترتب له بالضرورة نفس الحقوق، وهو في المجتمع الإسلامي لا يورث، وإن تكن هناك منافذ أخرى لتمكينه عن طريق الوصية أو الهبة وما إلى ذلك.

العش الخاوي : حياة ما بعد الوالدية :

يشار إلى الفترة الزمنية التي تنقضي من بداية تكوين الأسرة، عن طريق زواج شاب وشابة، ثم حمل وتربية زواج أبنائهما، حتى يأتي الوقت الذي يجدان

فيه نفسيهما وحيدين مرة أخرى، ثم إلى أن يحين أجل أحدهما أو كليهما، يشار إليهما بكل مراحلها على أنها دورة الحياة الأسرية.

وفي بحثنا هذا، نركز على فترة الانتقال إلى المرحلة التي ينطلق فيها الأبناء إلى معرك حياة البالغين، ويستهلون حياتهم الخاصة، وهي الفترة التي تسمى «ما بعد حياة الوالدية» (Postparental Cavan: 1960)، والزوجان في فترة ما بعد الوالدية، يكونان عادة في الأربعينيات أو الخمسينيات من عمريهما، والتغير الواضح هنا هو انسحاب المراهقين والأطفال الصغار من المجال الأسري، تاركين الآباء ليشكلا الوحدة الأسرية مرة أخرى، فإذا أخذنا في الاعتبار أن الأجيال الحالية من المتزوجين قد تعيش متوسطات أعمار أطول من الآباء ومن الأجداد، وأنهم - إلى جانب ذلك - ينجبون من الأطفال معدلات أقل في فترات زمنية أقصر مما كانت عليه الحال بالنسبة للأباء والأجداد، حتى أن بعض التوقعات الإحصائية تشير إلى احتمال تزايد أعداد الوالدين الذين سيعيشون حتى يروا أبناءهم جمیعاً وقد تزوجوا، كما تشير - أيضاً - إلى احتمال أن يتبقى لهؤلاء الآباء عدد سنين قد يصل إلى حوالي ربع دورة حياتهم الأسرية، وذلك بعد مغادرة آخر أبنائهم بيت الأسرة، عندما يعود العش خاويأً إلا من الزوج والزوجة . (Glick: 1947: 164 - 169)

وفي صياغتها الكلاسيكية لفكرة الم tavاصلات Continuities وال discontinuities في التكيف الثقافي Cultural Conditioning ، أثارت «روث بندكت» Ruth Benedict مشكلة الموانع أو العوائق في البناء الاجتماعي، التي تعوق التنشئة الاجتماعية المستمرة خلال دورة الحياة، وقد بدأت بمحاجة وجود بعض الفجوات الخاصة خلال دورة الحياة، والتي تعتبر بمثابة حقائق طبيعية لا مهرب منها، ولذلك، فكل إنسان يستجمع ويزداد قدراته الكامنة، لابد وأن يكون أولاً «ابناً» ثم بعد ذلك «والداً»، وكلا الدورين يتناقضان من النواحي «الفيسيولوجية الوظائفية إلى حد كبير (Emedict: 1938: 161) والذي يهمنا - على أي حال - هو وجود قدر كبير من التباين في الطريقة التي يتاثر بها هذا الانتقال في مجتمعات مختلفة، وإذا انتقلنا من تركيز «بندكت» على الانتقال من حالة الطفولة إلى حالة البلوغ، إلى التركيز على حالة البلوغ التي ترکز على الانتقال من مرحلة الاستهلاك والإعداد وانطلاق الأبناء إلى معرك الحياة، إلى مرحلة ما بعد الوالدية، خلال دورة حياة الأسرة، ثم إذا تحولنا عن مفاهيم «الثقافة» و«التكيف» إلى مفاهيم «الدور» و«التنشئة»، يكون لدينا منظور نتطلع

من خلاله إلى رؤية مشكلات الانتقال وأساليب التكيف مع حياة ما بعد الوالدية.

ومن الناحية النظرية، يمكن أن نتوقع أن يكون الانتقال نحو حياة ما بعد الوالدية أمراً صعباً بالنسبة للأزواج في مراحل العمر المتوسطة، عندما يغادر كل الأبناء البيت، ويبقى الوالدان بلا تدريب أو مران سابق لكي يتمكنا من الأضطلاع بما يحتمه عليهما أداء هذا الدور الجديد، ويواجهان فترة من أخطر فترات الحياة (Waller & Hill: 1951: 43)، وذلك لأن الأزواج - في وقتنا الحاضر - لا يعيشون تجربة انتقال آبائهم إلى مرحلة ما بعد الوالدية، كما كان يحدث داخل نطاق الأسر الممتدة والكبيرة والمركبة، وذلك بسبب دفع الحياة الحديثة إلى الانتقال وربما الابتعاد ثم التموج داخل حياة أسرية نسوية صغيرة، تواجهه تجاربها في مراحل حياتها دون إعداد أو تدريب عملي، وربما دون توجيه نظري من أسرة الإعداد Family of Orientation ، وبعض الآباء يتهدّون تدريجياً إلى حد ما لل يوم الذي يتزوج فيه أبناؤهم ويتكونون البيت، وذلك من خلال فترات ابتعاد الأبناء وربما غيّبهم المؤقتة من أجل تلقي العلم مثلًا (Sussman: 1953: 77 - 776)، غير أن هذا الغياب المؤقت لا يمثل بحال من الأحوال المدى الكامل الذي تتطلبه إعادة التنشئة والتعمود على حياة ما بعد الوالدية بالنسبة للوالدين.

ومن أبرز صفات العصر التي تقرن بالقيم الثقافية صفة التغير الذي يعتري كل شيء، والذي لا يمكن تفاديه، وهو شيء طيب، فالأشياء لا يمكن أن تبقى على حالها، والتغير هو سنة الحياة منذ الأزل، وهذه الحقيقة - في حد ذاتها - تعطي الفرصة لحدث تكيف عام يهيئ لقبول الواقع وأوضاع جديدة مغایرة، بغض النظر عن طبائعها الخاصة، كما أنها تحتم على الوالدين في الأسرة أن يتوقعا وأن يتهدّوا، وأن يتجاوبوا، وأن يستجيباً للضرورة الداعية إلى تقبل وإدماج هذه الفكرة في النفس، بحيث تصبح مبداءً هادياً، وبحيث يصيّحان قادرين - منطقياً - على ربطها ووصلها بدورة حياة الأسرة.

ومن الطبيعي أن يكره الآباء أن يتخلّ عن ابنته عندما يحين زواجهما، غير أننا نعلم أن هذه هي سنة الحياة، فالمرء لا يستطيع أن يبقى على حاله كما هو طوال مراحل عمره، فالحياة تواصل مسيرتها، وهذا أمر طبيعي، وبعض الناس - على الأقل - يدركون وجود دورة حياة عامة ودورة حياة أسرية، وهم إن لم يتعهّدوا فلسفة التغيير، فإنهم - غالباً - يروضون أنفسهم عليها، ومهمما كان المرء راغباً أو غير راغب في تقبل الآخر الشرطي لتأكيد ثقافي أساسي على التغيير في

حد ذاته، فإن ذلك لا يلغي وجود أنماط محددة من الخبرات التي تتم الوالدين بفرص مناسبة للتنشئة التوقعية Anticipatory Socialization ومثال ذلك: الرحيل المؤقت للطفل والشاب من أجل الدراسة، أو الخدمة العسكرية، أو المشاركة في بعض المعسكرات والرحلات الطويلة الأجل، وما إلى ذلك.

وهذه الخبرات التطبيعية تكون أيسير تقبلاً، عندما تقاجئ الوالدين وهما في متوسط العمر، عندما يكونان منغمسين في شؤونهما وأشغالهما، وهما في عنفوان أنشطتهم الحياة.

وفي ظل الأسرة الممتدة، قد يلحق الزوجان نفسيهما في مرحلة ما بعد الوالدية بالأسرة الكبيرة: أسرة الإعداد، وهذا العون من الأسرة الممتدة يبدو مقللاً ومخفاً من الصدمة، أو الأذى الذي قد يلحق بأسره الإنجاب Family of Procreation، من جراء التقسيخ أو التحلل الذي يعتريها في فترة من فترات الحياة الصعبة.

وفي نهاية المطاف، تتضاءل الأسرة، وتتصبح شخصاً واحداً، والأكثر احتمالاً هو أن يكون هذا الشخص هو الزوجة لا الزوج، وفي مرحلة الترمل Widowhood هذه، غالباً يدخل الأطفال البالغون في الصورة، متعاطفين لكي يقدموا للأم سكناً وموائي مع أسرة واحد منهم، مما يتتيح الفرصة لقيام علاقة جديدة للجدة مع أحفادها، وهي علاقة تطوعية، ولكنها تتعرض لحساسيات شديدة: (Hess & Markson: 1980: 258)، كما أن دور الجد أو الجدة ينمو في تطوره أن يصبح دوراً مكتسباً Achieved بدلاً من كونه دوراً موصوفاً ومتقرناً بصاحبـه Ascribed ومستندـاً في هذه الحالة إلى مكانةـ الجـد أوـ الجـدة (Troll: 1971: 263)، ويتوقفـ هذا علىـ محاولةـ القائمـينـ بالدورـ أنـ يؤسـسـواـ وضعـاًـ تفضـيلـياًـ معـ الأـحفـادـ،ـ أوـ رـفـضـهـمـ أـداءـ الدـورـ إـلـاـ بـصـورـةـ سـطـحـيةـ مـضـحـةـ،ـ وـمـنـ جـانـبـهـ،ـ فـإـنـ كـثـيرـينـ مـنـ الـجـدـودـ قـدـ يـقاـومـونـ فـكـرةـ استـخـدامـهـمـ أوـ استـغـالـهـمـ كـمـرـبـيـ أـطـفالـ (Lopata: 1973 Babt Sitters)، بينما تكونـ المـتـعـةـ فـيـ الـقـيـامـ بـهـذـاـ الدـورـ أـكـبـرـ،ـ عـنـدـمـاـ يـأـتـيـ الـأـمـرـ طـوـاعـيـةـ وـاخـتـيـارـاـ،ـ لـأـنـ يـؤـخـذـ عـلـىـ أـنـهـ أـمـرـ مـسـلـمـ بـهـ،ـ وـتـشـيرـ الـمـلـاحـظـةـ الـعـامـةـ إـلـىـ أـنـ اـنـسـجـامـ الـأـجـدـادـ مـعـ الـأـحـفـادـ أـفـضـلـ بـكـثـيرـ مـنـ اـنـسـجـامـ أـيـ مـنـهـمـ مـعـ الـجـيلـ الـأـوـسـطـ:ـ جـيلـ الـأـبـنـاءـ،ـ وـيـعـزـوـ بـعـضـ الـبـاحـثـينـ (Homans: 19610: 19610)ـ سـلامـةـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ الـأـجـدـادـ وـالـأـحـفـادـ إـلـىـ تـخـطـيـ الـجـيلـ الـأـوـسـطـ وـذـلـكـ لـأـنـ الـعـلـاقـاتـ بـيـنـ أـعـضـاءـ الـطـبـقـاتـ الـمـتـبـاعـةـ تـكـوـنـ أـكـثـرـ تـحرـرـاـ مـنـ الـحـسـاسـيـةـ وـالـشـعـورـ الـحـادـ بـالـفـروـقـ فـيـ الـأـوضـاعـ وـالـمـكـانـاتـ،ـ عـنـهـ بـيـنـ أـعـضـاءـ الـطـبـقـاتـ الـمـتـعـاقـبةـ.

هـذاـ،ـ ويـكـثـرـ الـحـدـيـثـ عـنـ الـجـدـاتـ،ـ وـيـقـلـ بـالـنـسـبـةـ لـلـأـجـدـادـ الـذـكـورـ،ـ رـبـماـ لـأـنـ

الآخرين فيما يبدو، لا يقومون بدور واضح الأهمية حيال أسر أبنائهم وبناتهم، فأغلبية الجدود الذكور في السن المقدمة، يكونون ما يزالون متزوجين، ولهم منازلهم التي يديرونها، بالإضافة إلى أن أكثر الرجال في مجتمعاتنا ينشاؤن على أن بذل العناية بالصغرى عمل من أعمال النساء.

الخلاصة

مما سبق نخلص إلى ما يأتي :

- ١ - أن الطفولة لم تبحث و تستقصى عبر التاريخ لاستيضاح تأثير وجود الأطفال على ذويهم عبر عصور التاريخ، وباختلاف الزمان والمكان.
- ٢ - أن البحوث والدراسات المعاصرة قاصرة في مجال التحرى عن الآثار المترتبة على وجود الأطفال والتي تستثير الكبار، بينما ترکز اهتماماتها حول أثر وجود الأب أو غيابه في حياة الأسرة، وأثر وجود الأبوين أو غيابهما على الطفل، من حيث نموه، وتكوين شخصيته، وسلوكه.
- ٣ - أن نسبة العقم في العالم آخذة في الزيارة، وأن وحدات الخصوبة و طفل الأنبوب آخذة في الانتشار لخدمة المعادين عن الإنجاب.
- ٤ - أن غياب الطفل عن الأسرة قد يأتي نتيجة لعدم الإنجاب لسبب يعود إلى أحد الزوجين أو كليهما، أو لأن الأسرة لا يعيش لهاأطفال، أو بسبب خروج الأبناء والبنات في مرحلة ما بعد الوالدية.
- ٥ - أن الطفل ليس مجرد أداة تثقيف بين يدي والديه، بل إنه يعيد تنشئة أمه، وأن الأطفال يربون والديهم، وأن قيمة الزواج لا تتمثل في كون البالغين ينتجون أطفالاً فحسب، وإنما - أيضاً - في كون الأطفال ينتجون آباءً راشدين، وأن سلوك الآباء يتعرض لضبط واقعي ملموس ناجم عن وجود الأبناء.
- ٦ - أن خبرات الأبوة والأمومة تؤدي إلى مواقف جديدة وتعديل للمفاهيم لدى الوالدين.
- ٧ - وأنه لا يتتوفر في متناول أيدينا منهج أو مناهج واضحة قادرة على عزل آثار وجود الأطفال على ذويهم من الكبار.
- ٨ - أن غيبة الطفل قد تمثل معوقاً لا إرادياً، لعمليات التوافق النفسي والاجتماعي بين الزوجين، ما لم يتتوفر لهما من السبل ما يعوضهما عن ذلك،

ويساعدهما على تخطي العائق واجتياز أزمة التوافق.

هذه الخلاصة تمهد إلى الانتقال إلى الجزء الأخير من بحثنا، حيث تعرض بعض التوصيات التي يشملها تصور نظري للبدائل المقترنة والممكنة، والتي ربما يفكر الزوجان فيها، أو يلجأان إليها عندما يواجهان غيبة الطفل في البداية أو ما قبل النهاية، أو في مراحل مختلفة من دور حياة الأسرة.

التوصيات

وفيما يلي نعرض تصوراً نظرياً مستمدأ من استقراء حقائق الواقع، والإمكانات العلمية، وطلعات المستقبل :

١ - من الروافد التي تغذى اتجاه غيبة الطفل في مراحل مبكرة من حياة الوالدين: تحديد النسل، وقضية تحديد النسل في المجتمع الإسلامي مرفوضة «.. ولا تقتلوا أولادكم من إملاق، نحن نرزقكم وإياهم..»، سورة الأنعام - الآية ١٥٠ والرسول الكريم ﷺ يحث المسلمين على التنااسل والتكاثر، وفي هذا خير ضمان لعدم غيبة الطفل طوال مراحل دورة حياة الأسرة، بافتراض أن الزوجين منجبان.

٢ - في حالة عدم الإنجاب، قد يكون الزوج عقيماً، أو تكون الزوجة عاقراً، أو يكون السبب خللاً في التركيب التشريحي أو الأداء الوظيفي للجهاز التناسلي عند الزوجة، مما يعوق عملية الإخصاب، وفي هذه الحالة، قد يلجأ الزوجان إلى تجربة «طفل الأنابيب»، وقد أصدر المجمع الفقهى قراراً بجواز ذلك.

٣ - في حالة التأكد التام من عدم القدرة على الإنجاب، ربما يلجأ بعض الأزواج، بعد مرور أعوام من المعاناة، إلى التبني أو كفالة الطفل.

٤ - وفي حالة الأسرة المنجية، عندما تنتقل إلى مرحلة ما بعد الوالدية، ويخلو العش إلا من الزوجين قد يلحق الزوجان بإحدى أسرتي الإعداد من جانب الزوج أو من جانب الزوجة، وذلك تجنباً للأذى الذي قد يلحق بهما - أحدهما أو كليهما - من جراء التقىن الذي يعتري أسرتهما.

٥ - أما في حالة الترمل، عندما تصبح الأسرة شخصاً واحداً، وقد تناحر الفرصة للجد، للحياة المشتركة مع بعض الأبناء والأحفاد، وقيام علاقات جديدة بديلة مع الأحفاد ورغم الحساسيات التي تتعرض لها هذه العلاقات، إلا أن الملاحظ - بصفة عامة - أن الأجداد يكونون أكثر انسجاماً مع الأحفاد.

المصادر العربية

الإبراهاشي، محمد عطية

١٩٦٣ الطفولة صانعة المستقبل : كيف نربى أطفالنا. مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة.

إسماعيل، محمد عماد الدين، ورشدي فام ونجيب اسكندر ١٩٧٤ التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية. دار النهضة العربية، القاهرة.

جرجس، صبري

١٩٧٦ سيكولوجية المرأة والطفل. سلسلة إقرأ. دار المعارف، القاهرة.

الجمال، سامي علي

١٩٦٥ كيف نعيش مع الأحفاد. مترجم، تقديم عبد العزيز القوصي. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

حمدان، محمد زياد

١٩٨٣ «غياب الأب، وأثره في تطور شخصية الطفل». الباحث (عدد ٥ و٦)، بيروت.

خلف الله، محمد أحمد

١٩٣٩ الطفل من المهد إلى الرشد. المطبعة الرحمانية، القاهرة.

خليل، فارس

١٩٦٧ الطفولة صانعة المستقبل. مكتبة القاهرة. الحديثة القاهرة.

الخولي، سناء

١٩٧٤ الأسرة في عالم متغير. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

زكي، عزت

١٩٧٥ من تنشئة الأبناء. دار التأليف والنشر، الأسقفية، القاهرة.

زين العابدين، وجيه

١٩٧٣ الإسلام والطفل. مطبعة العاني، بغداد.

بحوث ودراسات

شحاته، سميرة عبد الحميد

١٩٦٠ الطفولة والطفل المثالي. مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة.

عامر، منير

١٩٧٦ مشاكل الآباء في تربية الأبناء. المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

بيروت.

عبد العزيز، صالح، وأخرون

١٩٤٧ حياة أطفال الشعوب. مطبعة الاعتماد، القاهرة.

عبد الله، محمد

١٩٧٧ أطفال بلا أسر. وزارة الشئون الاجتماعية، الكويت.

العزب، محمد أحمد

١٩٦٤ الأمة والطفولة في الإسلام. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

فام، يعقوب

١٩٤٠ أطفالنا وكيف نسوسهم. مطبعة وديع أبو فاضل، القاهرة.

الخرى، سالمة

١٩٧٢ (١) التضامن عند الأطفال. مركز البحوث التربوية والنفسية بجامعة بغداد.

١٩٧٢ (ب) دراسات في نمو المفاهيم عند الأطفال. مركز البحوث التربوية والنفسية بجامعة بغداد.

المركز الدولي الإسلامي

١٩٧٧ ندوة مستقبل الطفل في العالم الإسلامي، المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر. القاهرة.

المليجي، عبد المنعم عبد العزيز

١٩٥٥ تطور الشعور الديني عند الطفل والراهق، تقديم مصطفى زبور، دار المعارف، القاهرة.

الوزان، محمد

١٩٨٥ «أول مركز لاطفال الانابيب وعلاج العقم». المجلة العربية (٩٢)، الرياض.

يونس، انتصار، وأحمد العادي

١٩٧١ الأسرة وسلوك الطفل، جمعية الخدمة الاجتماعية، الإسكندرية.

المصادر الأجنبية

Bell, Richard & Lawrence H.

1977 Child Effects on Adults. John Wiley & Sons., New York.

Benedict, Ruth.

1938 "Continuities and Discontinuities in Cultural Conditioning". Psychiatry, Vol.1.

Cavan, Ruth S.

1960 Marriahe and the Family in the Modern World. Thomas Y. Crowell Company, New York.

Colvin, S.S.

1921 "Cntribution to Intelligence and its Measurement". Journal of Educational Psychology, 12, 136-1398

Dearborn, W.F.

1921 "Contribution to Intgligence and its Measurement". Journal of Educational Psychology. 12, 210-212.

De Vries, Peter.

1954 The Tunnel of Love. Little Brown & Co., Boston.

Glick, Paul C.

1947 "The Family Cycle". American Sociological Review, Vol. 12.

Heiss, Jerold.

1980 Aging and Old Age: An Introduction to Social Gerontology, Mac Mdlan Publishers. New York.

Hugh, Lytton.

1980 Prent-Child Interaction: The Socialization Procrss obeserved in Twin and singletone Families. Plenum Press, New York.

Lamber, L. Streather F.

1980 Children in Changing Families. The MacMillan Press Ltd. New York.

Lopata, H. Z.

1973 Widownhood in an American City. Schenckman Publishing Co., Cambridge.

Maccoby, Eleanor E.

1980 Social Development: Psychological Growth and the Parent-Child Relationship. Harcourt Brave Favanovich, Inc., New York

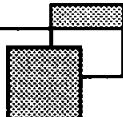
Nowlis, V.

1952 The Search for Significant Concepts in a study of Parent-relationship, American Journal of Orthopsychiatry9 22.

Printer, R.

-
- 1921 "Contribution to Intelligence and its Measurement". Journal of Educational Psychology, 12, 139-143.
- De vries, Peter.**
- 1954 The Tunnel of Love. Little Brown & Co. Boston.
- Glick, Paul C.**
- 1947 "The Family Cycle". American Sociological Review, Vol. 12.
- Heiss, Jerold.**
- 1968 Family Roles and Interaction: An Anthology. Rand Mc-Nally, Chicago.
- Hess, B. & Mark Son E.**
- 1980 Aging and Old Age: An Introduction to Social Gerontology. Macmillan Publishers, New York.
- Hugh, Lytton.**
- 1980 Parent-Child Interaction: The Socialization Process observed in Twin and singleton Families. Plenum Press, New York.
- Sangree, Walter H.**
- 1987 "The Childless Elderly in Triki, Kenya, and Irigwe, Nigeria: A Comparative Analysis of The Relationship between beliefs about childlessness and the Social Status of the Childless Elderly. Journal of Cross-Cultural Gerontology, 2, 201-223.
- Sears, R. R.**
- 1951 A Theoretical Framework for Personality and Social Behavior. American Psychologist, 6.
- Sussman, Marvin B.**
- 1953 "Parental Participation in Mate Selection and its effect upon Family Continuity, Social Forces, Vol. 32.
- Terman, L. M.**
- 1921 "Contribution to Intelligence and its Measurement," Journal of Educational Psychology, 12.
- Thorndike, E.P.**
- 1921 "Contribution to Intelligence and its Measurement," Journal of Experimental Psychology, 12, 124-127.
- Troll, L. E.**
- 1971 "THE FAMILY OF LATER LIFE: A Decade Review", Journal of Marriage and the Family, 33.
- Weller, W. & Reuben Hill.**
- 1951 The Family: A Dynamic Interpretation. The Dryden Press, New York.
- Watson, F.**
- 1977 Infant Perception of "necessity". A Paper presented at the Meeting of the Society for Research in Child Development, New Orleans.
- Woodrow, H.**
- 1921 "Contribution to intelligence and its Measurement." Journal of Educational Psychology, 12, 207-210.

بحوث ودراسات



**محددات مشاركة المرأة في جهود التنمية
بدولة الإمارات العربية المتحدة
دراسة ميدانية - طالبات جامعة الإمارات**

د. عوض عبد
الكريم حامد أحمد
د. رضا عبد الخالق
أبو حطب
أ. ميثاء الشامسي

المقدمة والمشكلة :

يعتبر الارتقاء بالعنصر البشري هو المحور الرئيسي في جميع جهود التنمية حيث تحدد نوعية العنصر البشري مستوى تقدم المجتمع أو تخلفه. ولا تعتمد عملية التنمية فقط على مجرد وفرة الإمكانيات ونتائج البحث، بل لابد من تواجد العنصر البشري القادر على استيعاب أدوات التقدم وتسخيرها لخدمة الأهداف التنموية التي يرتضيها المجتمع لنفسه.

ونظراً لأن المرأة تمثل حوالي نصف الموارد البشرية في المجتمع، لهذا فإن الحاجة لدمجها في جهود التنمية تعتبر ضرورة تفرضها حاجة المجتمع لتأمين مسيرته التنموية بصورة متدفقة ومستقرة. ومنذ فترة غير قصيرة تتزايد النداءات التي تدعوا إلى ضرورة دمج المرأة في مشروعات التنمية، وإتاحة الفرصة لها

للمساهمة في مجالات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وإزالة المعوقات التي تحد من دخول المرأة في جميع المجالات المؤدية إلى التطور، وضرورة إنشاء مرافق ومؤسسات قومية تتبع لها فرصة التقدم.

ويعبر مفهوم التنمية عن الإرادة والتخطيط والجهد المنظم لعملية التغير فالتنمية تحتاج إلى تخطيط ما لأحداث التغيير الاقتصادي والاجتماعي الذي لابد وأن يتسم بالعمق والجذرية والسرعة فضلاً عن شموله لكل جوانب النسق الاجتماعي بمعنى أن التنمية لا تقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة بل تشتمل على كافة جوانبها الاجتماعية والاقتصادية الثقافية والسياسية والتربيوية والقانونية والإدارية (٢ ص ٣١) (٥ ص ٢٥).

وفي المجال الاجتماعي لا تعني التنمية فقط توسيع وتحسين الخدمات الاجتماعية الأساسية مثل التعليم والصحة والإسكان، بل تعني أيضاً إحداث تغيرات جوهرية في التقاليد والعادات والمواقف والشئون الثقافية والاجتماعية بالمعنى الواسع للتغيير - بمعنى أنها تتضمن جهوداً موجهة لتكييف شخصية الصغار والكبار وغرس مبادئ وموافق واتجاهات ونظارات جديدة تتتسق مع أهداف عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة (٢ ص ٣٢ - ٣٣). ويحتل العنصر البشري موضعًا محورياً في العديد من نظريات التنمية والتخلف. فتؤكد نظرية العوامل الاجتماعية على أن التخلف والتنمية ينبعان من العنصر البشري. وذلك من خلال أربعة محاور أساسية هي: نسق القيم السائدة، والإطار الاجتماعي للعمل والإنتاجية، والدور الاجتماعي للفرد، والتأثير الاجتماعي لوسائل الاتصال (٥ ص ٣٥ - ٣٧).

كما يعلق الاتجاه السيكولوجي (وهو من الاتجاهات المعاصرة في دراسة التنمية) كل شيء بالعنصر البشري، حيث يؤكد هذا الاتجاه على أن التنمية هي اكتساب خصائص سلوكية وسيكولوجية معينة تتعلق بالتحضر والتعليم والمشاركة في وسائل الاتصال والمشاركة السياسية (٥ ص ٣٩ - ٤١). ويدرك ثابت ١٩٨٣ (١ ص ٤٦ - ٥٨) أنه برغم أن المرأة العربية قطعت شوطاً كبيراً في مجالات التقدّم والرقي، إلا أن السواد الأعظم منها مازال بعيداً عن مسايرة التطور بل والاستفادة من الفرص التنموية المتاحة للنهوض بمستواهن الثقافي والاجتماعي - ويقرر بأن أهم أسباب ذلك يرجع إلى انتشار

الأمية والعادات الضارة وضعف ثقتها بنفسها بسبب النظرة الهاابطة لها من جانب الرجل.

ونظراً لأن نجاح جهود التنمية الشاملة في المجتمع يتوقف على مراعاة التوازن بين عنصري بنائه من الرجال والنساء. لهذا يعتبر جديراً بالاهتمام البحثي التعرف على وجهات نظر فئات المجتمع المختلفة حول معوقات مشاركة المرأة في جهود التنمية والسبل الكفيلة بتنشيط دورها في عملية التنمية.

وفي هذا الخصوص تختل وجهات نظر الطالبات الجامعيات أهمية بارزة، حيث تمثل وجهات نظرهن انصهاراً لعملية التفاعل بين تصوراتهن المكتسبة من ثقافة الأسرة والمجتمع وتلك المكتسبة من ثقافة مجتمع الجامعة.

ومن الجدير بالذكر أن المقصود بتنمية المرأة في هذه الدراسة ليس تقليد الثقافات الغربية أو عملية نقل مباشر للتجارب الغربية أو اعتبارها أساساً لنمط التغيير أو بناء مؤشرات يقاس عليها حدوث التغيير. فالمقصود هنا بإدماج المرأة في جهود التنمية، هي عملية إتاحة فرص المشاركة في أعباء التنمية والاستفادة من عوائدها المادية والفكرية سواء كانت عاملة أم ربة بيت. فنقطة الاهتمام الرئيسية تكمن في البحث عن الوسائل والأساليب الازمة للارتقاء بالمستوى الثقافي والنفسي للمرأة لتصبح أكثر تأهيلاً للقيام بدورها في تنمية المجتمع أسرياً مجتمعياً وإدارياً وسياسياً.

أهداف البحث وأهميته :

اتساقاً مع مشكلة البحث فقد تبلورت أهدافه فيما يلي:

- ١ - التعرف على تصورات الطالبات الجامعيات لقدرات المرأة على المشاركة في جهود التنمية من النواحي التالية:
 - (أ) قدرة المرأة على العمل.
 - (ب) قدرة المرأة على الإدارة.
 - (ج) قدرة المرأة على المشاركة المجتمعية.
- ٢ - التعرف على العلاقة بين بعض المتغيرات وإدراك المبحوثات لقدرات المرأة.
- ٣ - التعرف على معوقات مشاركة المرأة في جهود التنمية من وجهة نظر الطالبات الجامعيات.

٤ - التعرف على مقترنات الطالبات الجامعيات فيما يتعلق بكيفية تنشيط مشاركة المرأة في جهود التنمية.

وتفيد هذه الدراسة في توفير المعلومات الالازمة لبناء تصور واقعي حول الإطار القيمي المناسب لإدماج المرأة في جهود التنمية تحت ظروف مجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة - بالإضافة إلى ذلك تخدم آراء الجامعيات كتغذية مرتجدة تفيد في مراجعة وتقدير العملية التعليمية باعتبارها عملية مستمرة لها أهداف تنمية بحثة. فوجهات نظرهن تلقي الضوء على الأشياء التي تجعل المرأة أو الفتاة الجامعية أكثر فاعلية في دفع جهود التنمية بالدولة.

فروض البحث :

لتحقيق الهدف الأول والثاني من الدراسة. تمت صياغة الفرضين البحثيين التاليين:

الفرض المتعلق بالهدف الأول :

نسبة الموافقة الكلية للمبحوثات على العبارات المؤيدة لقدرة المرأة على العمل والإدارة والمشاركة المجتمعية، تزيد جوهرياً مقارنة بنسبة الموافقة النسبية أو نسبة عدم الموافقة على تلك العبارات.

الفرض المتعلق بالهدف الثاني :

- توجد علاقة جوهرية بين مستوى إدراك المبحوثات لقدرات المرأة على العمل والإدارة والمشاركة المجتمعية وكل من المتغيرات التالية:

- سنوات الدراسة.
- عدد الأخوة والأخوات.
- مستوى تعليم الأسرة.
- التخصص الدراسي (علمي - أدبي).
- مهنة الوالد.

الإطار المرجعي للدراسة :

أصبحت المرأة بؤرة اهتمام عديد من التيارات الفكرية والمدارس الإنسانية. ويمثل موضوع المرأة في منطقة الخليج والجزيرة العربية مركز اهتمام عديد من المؤتمرات والندوات العلمية. ويسلك الباحثون في هذا الموضوع مداخل مختلفة

فمنهم من يركز على المعوقات التي تحول دون مساهمة المرأة في العمل سواء كان ذلك على المستوى المهني أو الاجتماعي، ومنهم من يصوب اهتمامه نحو عقد المقارنات حول مكانة وضع المرأة في العصور وبين المجتمعات والثقافات المختلفة ومنهم من يهتم بالشكليات الوصفية، لوضعية المرأة مثل ملبسها وعدم اختلاطها بالجنس الآخر، أو مدى تأثيرها فيما يخصها من قرارات أو مشاركتها في الحياة السياسية لمجتمعها. ويلفت النظر عند محاولة الاستفادة من هذا التراث العلمي وجود خلط واضح بين الغاية والوسيلة والجوهر والشكل في معالجة هذا الموضوع. وللتلافي الدخول في تفاصيل وجهات النظر المختلفة حول موضوع المرأة سيكتفي الباحثون باستعراض ما يخدم تكون إطار نظري يوجه عملية إدماج المرأة في جهود التنمية. ويقصد هنا بمفهوم إدماج المرأة في جهود التنمية مجموعة البرامج الإنمائية الموجهة لارتقاء بقدرات العنصر البشري النسائي في مختلف الشئون الحياتية. وذلك في إطار يتماشى مع قيم ومعتقدات المجتمع. ولا شك أن مراعاة قيم ومعتقدات المجتمع تلعب دوراً أساسياً في إنجاح البرامج الخاصة بتطوير قدرات المرأة. وتحتوي البرامج الإنمائية الموجهة للمرأة على مجموعة من المستحدثات الاجتماعية - الثقافية. ويعرف شولتس Schults ١٩٧٣ المستحدث الاجتماعي على أنه عبارة عن المفاهيم أو الأفكار الجديدة التي ينظر إليها من قبل أفراد المجتمع على أنها أشياء تختلف عن كل معطياتهم الثقافية والاجتماعية الحالية (٩ ص ٢٢) وتهدف المستحدثات الاجتماعية إلى إدخال نماذج سلوكية أو تصورات قيمة داخل المجتمع المستهدف تبنيه (٦ ص ١٠٧). ويطلب تبني تلك النماذج السلوكية أو اكتساب تلك التصورات الجديدة - تقييم إيجابي لجوانبها المعرفية والشعورية من قبل أفراد المجتمع.

وتحتاج التحولات القيمية المرتبطة بالمستحدثات الثقافية والاجتماعية لوقت طويل بالمقارنة بالمستحدثات المادية - لكونها متعلقة بنظام القيم والمعتقدات الخاصة بالفرد - ويعتبر نظام القيم نتاجاً لعملية التنشئة الاجتماعية في ثقافة معينة - حيث يكون فيها الشخص لنفسه مقاييس لتقييم موضوعات بيئته (المادية وغير المادية). وبإضافة إلى نظام القيم يوجد نظام المعتقدات الشخصية الذي يجعل الفرد يتخذ قراراته الشخصية سواء كانت ستتوافق أو ستتعارض مع القيم الثقافية السائدة - حيث ينظر في هذه الحالة الأخيرة لشيء ما على أنه صحيح، رغم أن الآخرين ينظرون لنفس الشيء على أنه خاطئ. ففي بعض الأحيان قد يسلك سلوكاً غير متسق مع قيم المجتمع (٦ ص ص ١٥ -

(١٦). ويعرف كولان المعتقد على أنه رابطة بين الهدف الوسيلة أي أنه يحدد الوسيلة الممكنة لبلوغ هدف ما (٨ ص ٢٤). ويعرف هنكن Hinken ١٩٧٤ نظام القيم على أنه محصلة لوقائع معرفية - حيث يقيم الفرد في حياته خبرات وأحداث متعلقة ببيئته على أساس من معايير وقواعد مجتمعية وبخاصة جماعته المرجعية (٧ ص ٧٢). وقد عرف أبو حطب ١٩٨٥ نظام القيم والمعتقدات على أنه بناء من تقييمات عامة وأحكام شخصية تجاه معطيات البيئة يكتسبها الفرد ويتناقلها من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة (الأسرة - المدرسة - المسجد - وخلافه) (٦ ص ٦١).

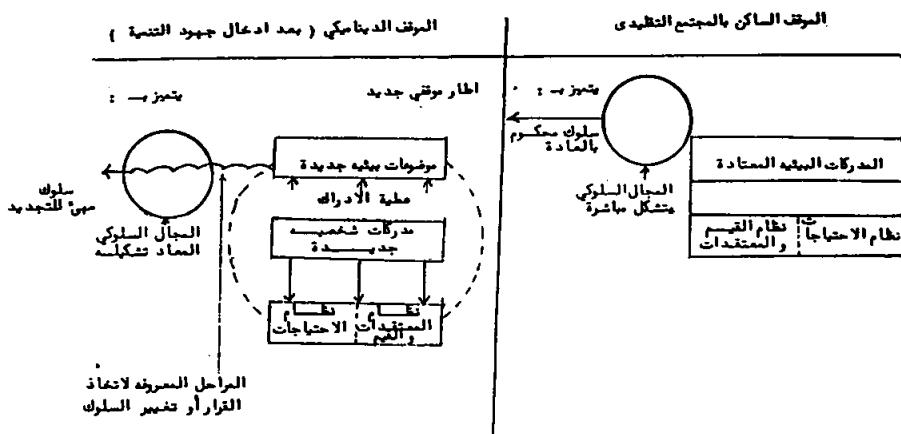
ويعتبر فهم مصقوفة قيم ومعتقدات المجموعة المستهدفة هو نقطة الانطلاق (البدء) في صياغة برامج إنسانية تبشر بالنجاح، وفي هذا الخصوص يذكر أبو حطب ١٩٨٥ التصور التالي لдинاميكية التغير في مصقوفة القيم والمعتقدات بعد إدخال جهود التنمية (٦ ص ٥٦ - ٥٧):

(أ) يتميز سلوك الفرد في المجتمع التقليدي الساكن بكونه روتينياً ومحكماً بالعادة - حيث يتشكل المجال السلوكي له بصورة مباشرة من خلال مصقوفة القيم والمعتقدات والاحتياجات الخاصة به.

(ب) تغير الحالة التقليدية الساكنة للمجتمع إلى حالة ديناميكية عند إدخال جهود التنمية بما تتضمنه من مستحدثات مادية وفكرية - حيث يظهر في المجال الادراكي للفرد مثيرات موقفية جديدة تؤدي إلى ظهور هذه الحالة الديناميكية المتركة.

(ج) نتيجة لهذه الحالة الديناميكية يعاد تشكيل مصقوفة الفرد الخاصة بالقيم والمعتقدات وكذلك نظام الاحتياجات في اتجاه التغير المخطط له. ويوضح الشكل (١) هذه الافتراضات.

شكل (١) تشكيل المجال السلوكي للفرد تحت ظروف المواقف الساكنة والдинاميكية للمجتمع



وتفيد نتائج البحوث السابقة أنه إذا ما روعيت قيم المجتمع الإسلامي فإنها لا تعوق برامج تنمية المرأة والارتقاء بقدراتها في المجالات الحياتية المختلفة. حيث وجد أبو حطب ١٩٨٥ أن ٨١٪ من المبحوثين يوافقون على إعطاء البنت نفس فرصة التعليم كالولد - بينما يعارض ٦٠٪ منهم التعليم المختلط أو سفر المرأة بمفردها للعمل أو التعليم. ووجد أن مشاركة المرأة في بعض الأنشطة التنموية كانت مشروطة بعدم الاختلاط (٦ ص ١٠٧ - ١٠٩). وفي دولة الإمارات العربية المتحدة وجد ثابت ١٩٨٦ أن الغالبية العظمى من المزارعين لا تفرق بين الذكور والإإناث في التعليم - حيث أيد ٨٩٪ من عينة مجموعها (٢٤٧) تعليم البنت. وخرج بنتيجه مؤداتها أن المزارعين تحولوا من العادات القديمة بتعليم البنت وأنهم أصبحوا أكثر تسامحاً وتفهماً لتعليم البنات منه في الماضي (٢ ص ٢٤٧).

وقد بدأ نشاط الحركة النسائية في دولة الإمارات العربية المتحدة مع بداية قيام الاتحاد في عام ١٩٧١، وقد أتاحت القانون الاتحادي رقم ٦ لسنة ١٩٧٤ والخاص بإنشاء الجمعيات ذات النفع العام فرصة لبدء نشاط المرأة بالدولة، والذي تمثل في تأسيس جمعيات نسائية أهمها:

جمعية نهضة المرأة الظبيانية، وجمعية الاتحاد النسائي بالشارقة، وجمعية أم القويين النسائية، وجمعية النهضة النسائية بدبي، وجمعية أم المؤمنين النسائية

بعجمان، وجمعية النهضة النسائية برأس الخيمة، وركزت تلك الجمعيات نشاطها حول جوانب تعليمية وثقافية واجتماعية ونشاطات خارجية كالمساهمة في المؤتمرات والندوات والدراسات والابحاث المحلية والقومية والدولية. وفي عام ١٩٧٥ تكون الاتحاد النسائي بدولة الإمارات العربية المتحدة وانضمت إلى عضويته كافة الجمعيات السابقة، وبasher أعماله عام ١٩٧٦، وهو عضو في الاتحاد النسائي العربي العام.

ورغم أن الدولة تولي اهتمامات واضحة بالمرأة إلا أنه ما زالت هناك مؤشرات على ما يلي: (١ ص ص ٨٨ - ٩١).

- أن الفرص المتاحة للإناث بدولة الإمارات العربية المتحدة بعد انتهاء تعليمهن محدودة ومقتصرة على التدريس، والعمل في القطاع الصحي، ثم العمل في قطاعات نموذجية بالنسبة لتوظيف الإناث.

- بدأت الإناث تدخل قوة العمل بالدولة، ولكنهن مازلن يمثلن شكلاً هامشياً.
- تحجم المرأة عن العمل بدولة الإمارات خوفاً من الأهل ومن تقاليد المجتمع.
- لا تتمتع المرأة بالعمل في المناصب القيادية التي تحتاج إلى اتخاذ القرارات.
وتعتبر الدراسة الحالية إسهاماً متواضعاً في الكشف عن معوقات مشاركة المرأة والأساليب الكفيلة بتنشيط مشاركتها في جهود التنمية وذلك وفقاً لإدراكات طالبات جامعة الإمارات العربية المتحدة.

الطريقة البحثية :

تم إجراء الدراسة على عينة من طالبات جامعة الإمارات العربية المتحدة وقد بلغ حجم عينة الدراسة ٩٢ مبحوثة - تم اختيارهن بطريقة عشوائية من بين طالبات الجامعة. وقد جمعت بيانات هذه الدراسة خلال الفترة من ١٥ / ١٠ / ١٩٨٨ / ١١ بواسطة استماراة استبيان صممت بهدف جمع البيانات التي تحقق أهداف الدراسة والجدول (١) يوضح وصفاً لعينة الدراسة وفقاً لبعض الخصائص.

جدول (١)

توزيع عينة المبحوثات حسب بعض الخصائص المميزة لهن

المبحوثات		المبحوثات		المبحوثات	
%	عدد	%	عدد	%	عدد
٣- عدد سنوات الدراسة:			١- حسب الإمارة:		
٢٢,٧	٢١	- العام الأول	٤٧,٨	٤٤	- أبوظبي
٣٥,٩	٣٢	- العام الثاني	١٨,٥	١٧	- دبي
١٠,٩	١٠	- العام الثالث	١٨,٥	١٧	- الشارقة
١٩,٥	١٨	- العام الرابع فأكثر	٩,٨	٩	- رأس الخيمة
١٠٠	٩٢	الإجمالي	٤,٢	٤	- عجمان
٤- الحالة الاجتماعية:			٢- حسب الكلية والتخصص		
٥,٤	٥	- متزوجة	١٠٠	٩٢	الإجمالي
٩٤,٦	٨٧	- غير متزوجة			(أ) كليات عملية
١٠٠	٩٢		٥٠	٤٦	(ب) كليات نظرية
٥- مهنة الوالد:			-		
١٦,٣	١٥	- فتاة عمالية	٣٧	٣٤	- زراعة
٢٢,٦	٢٠	- فتاة إدارية أو عسكرية	٩,٧	٩	- علوم
		معاونة	٢,٢	٢	- هندسة
١٧,٤	١٦	- فتاة مهنية أو ضابط	٥٠	٤٦	- تربية
٨,٧	٨	- إدارة عليا	٢٥	٢٢	- أداب
٢٥	٢٢	- تاجر حر	١٦,٢	١٥	- علوم اقتصادية وإدارية
			٧,٦	٧	- شريعة وقانون
١٠٠	٩٢	الإجمالي	١٠٠	٩٢	الاجمالي

ولقياس إدراك المبحوثات لقدرات المرأة، لأغراض الدراسة، فقد تضمن الاستبيان مجموعة من العبارات الاتجاهية التي تعبر عن قدرة المرأة على العمل وقدرتها على الإدارة، وقدرتها على المشاركة في تنمية المجتمع، وقد بلغ عدد تلك العبارات ٦ عبارات - وقد طلب من المبحوثات تحديد درجة الاستجابة لكل عبارة وفقاً للخيارات المتدرجة التالية: موافقة كلية موافقة نسبية - غير موافقة، وقد تم تحويل تلك الاستجابات إلى قيم عددية حيث أعطيت الدرجة (٣)

للموافقة الكلية، والدرجة (٢) للموافقة النسبية، والدرجة (١) لعدم الموافقة. وبذلك بلغ الحد الأقصى لمقياس إدراك قدرات المرأة (١٨) درجة والحد الأدنى (٦) درجات. وقد تم حساب الدرجة الكلية لإدراك كل مبحوثة لقدرات المرأة واختبرت في علاقتها بمتغيرات السن، وعدد سنوات الدراسة، وعدد الأخوة والأخوات ومستوى تعليم الأسرة، وذلك بعد إجراء المعالجة الكمية لتلك المتغيرات على النحو التالي:

عمر المبحوثة : وقد تم قياسه بعدد سنوات العمر مقربة لأقرب سنة، أما عدد سنوات الدراسة، فقد حسبت بالسنين مقربة لأقرب سنة وذلك بعد طرح تاريخ الالتحاق بالجامعة من تاريخ جمع بيانات الدراسة وبالنسبة لعدد الأخوة والأخوات، فقد حسب بالرقم الخام لعددهم بغض النظر عن أعمارهم. وفيما يتعلق بمستوى تعليم الأسرة - فقد قدر من خلال إعطاء درجة واحدة للتعليم الابتدائي، درجتين للتعليم الإعدادي (٣) درجات للتعليم الثانوي، (٤) درجات للتعليم الجامعي، (٥) درجات للتعليم فوق الجامعي، ومن خلال ضرب تلك الدرجات في عدد الأخوة والأخوات المقيدين بكل مرحلة مقابلة فقد تم تقدير المستوى التعليمي للأسرة باستعمال المعادلة التالية:

$$\text{المستوى التعليمي للأسرة} = \frac{\text{(عدد الأفراد} \times \text{الدرجة المقابلة للمرحلة التعليمية المقيدين بها)}}{\text{العدد الكلي للأخوة والأخوات بالأسرة}}$$

وبالنسبة لتقدير التخصص الدراسي ومهنة الوالد، فننظرأً لكونهما متغيرات إسمية، فقد صنف التخصص الدراسي للمبحوثة إلى تخصص عملي (يشمل الكليات والأقسام العملية)، وتخصص نظري (يشمل الكليات الأدبية) وصنفت مهنة الوالد إلى فئتين: مهنة من فئة عمالية أو معاونة، ومهنة من فئة مهنية أو إدارة عليا أو تجارة حرفة.

ولاختيار علامة تلك المتغيرات الإسمية بدرجة إدراك المبحوثات لقدرات المرأة فقد تم توزيع الفئات المذكورة بعد تقسيم درجة الإدراك إلى ثلاثة فئات: مرتفعة من (١٥ - ١٨) درجة، ومتوسطة (١٢ - ١٤) درجة ومنخفضة (٦ - ١١ درجة).

واستخدم لتحليل بيانات هذا البحث إحصائياً معامل الارتباط البسيط (R) للمتغيرات الرقمية ومربع كاي (χ^2) للمتغيرات الإسمية ولاختبار معنوية

الفروق، بالإضافة إلى المتوسط الحسابي والعرض الجدولي بالأعداد والتكرار والنسبة المئوية.

النتائج ومناقشتها

أولاً : مقدرة المرأة على العمل والإدارة وتنمية المجتمع :

لمعرفة تصور المرأة لقدراتها الذاتية على العمل والإدارة والمشاركة في تنمية المجتمع، طلب من المبحوثات الاستجابة بموافقة الكلية أو الموافقة النسبية أو عدم الموافقة على كل من ست عبارات تعكس منها العبارتان الأولى والثانية تصور المرأة لقدرتها على العمل، والعبارة الثالثة والرابعة تصورها لقدرتها على إدارة المشروعات، والعبارة الخامسة والسادسة تصورها لأهمية دورها في تنمية المجتمع. وتم رصد الاستجابات على تلك العبارات وفقاً لقياس مكون من ثلاثة درجات كما هو موضع بالجدول رقم (٢).

وتشير استجابة المبحوثات أنه فيما يتعلق بتصورهن لقدرات المرأة على العمل أن هناك موافقة نسبية (٤٦,٧٪) على مقدرة المرأة على العمل والمشاركة في شتى مجالاته - وتدل هذه الموافقة النسبية على وعي المرأة بمحدودية قدراتها وطبيعة مشاركتها في هذا المجال مقارنة بالرجل.

وفيما يتعلق بتصور المبحوثات لفاء المرأة في إدارة المشروعات والإدارات مقارنة بالرجل تظهر استجاباتها موافقة نسبية أيضاً (٥٨,٦٪) على مقدرة المرأة على إدارة المشروعات والإدارات إلا أنهن يبدين تحفظاً على المساواة بالرجل من حيث كفاءة الإدارة. وفي هذه النتيجة إشارة واضحة إلى أنه يمكن للمرأة أن تساهم بفاعلية في إدارة المشروعات وشئون المجتمع إذا ما أتيحت لها الفرصة المناسبة وفي المكان المناسب.

وفيما يتعلق بتصور المبحوثات لأهمية دور المرأة في تنمية المجتمع أنت استجابتيهن لتصوراتهن الخاصة بالقدرة على العمل والإدارة، حيث أن موافقتهن كانت بصورة نسبية (١٦,٦٪) وفي ذلك اعتراف واضح بأن للمرأة دوراً هاماً في دفع عجلة التنمية وتطوير المجتمع. وتشير نسبية تقديرهن لقدرات المرأة بأنه ليس بالضرورة أن يكون في قيام المرأة بدورها هذا منافسة للرجل بل هو دور تكميلي وأساسي في ذات الوقت - لكونها نصف المجتمع من ناحية، ولأنها خير من يقوم بإدارة الكثير من شئونها من ناحية أخرى.

ولاختبار الفرض النظري القائل: يوجد اتجاه حقيقي لزيادة نسب الموافقة

الكلية من جانب المبحوثات على العبارات الخاصة بقياس إدراك قدرات المرأة، مقارنة بالموافقة النسبية، وعدم الموافقة عليها، فقد تم حساب المتوسط العام لنسب الموافقة الكلية والموافقة النسبية - وعدم الموافقة. على إجمالي عبارات المقياس. وتمت صياغة الفرض الإحصائي القائل بعدم وجود فروق معنوية بين نسب حالات الموافقة على عبارات المقياس». وتم استخدام (مربع كاي) لاختبار معنوية الفروق - وقد أظهر التحليل الإحصائي أن غالبية استجابات المبحوثات تميل إلى الموافقة النسبية (٤٢٪) تليها نسبة الموافقة الكلية (٣١٪) ثم عدم الموافقة (٢٧٪). وباختبار معنوية الفروق بين تلك النسب لم يتأكد وجود فروق معنوية بينها (جدول ٢). لهذا لا يمكن قبول الفرض النظري وبالتالي لا يمكن رفض الفرض الإحصائي.

وبصفة عامة تشير نسب الموافقة على عبارات مقياس إدراك قدرات المرأة إلى حالة وسطية من التقدير - حيث بلغ المتوسط العام ٦٨٪ ويعني ذلك وجود تجانس نسبي بين المبحوثات فيما يتعلق بإدراكتهن لقدرات المرأة - وأن إدراكتهن لتلك القدرات يميل إلى الاعتدالية وعدم التطرف بالتقليل أو المبالغة في تلك القدرات وقد يستنتج من ذلك أن المبحوثات يمثلن مرحلة انتقالية تربط بين الميل إلى المحافظة (Conservatism) والتجديدية (Modernism) في تصورهن للأدوار المرأة في تنمية المجتمع. وقد يرجع ذلك إلى كونهن شريحة ثقافية تربط بين مجتمعهن الأصلي ومجتمع الجامعة.

ثانياً : العلاقة بين بعض المتغيرات وإدراك المبحوثات لقدرارات المرأة :

لاختبار الفرض النظري القائل توجد علاقة جوهرية بين إدراك المبحوثات لقدرارات المرأة والمتغيرات التالية:

- ١ - السن. ٢ - عدد سنوات الدراسة. ٣ - عدد الأخوة والأخوات.
- ٤ - مستوى تعليم الأسرة. ٥ - مهنة الوالد.
- ٦ - التخصص الدراسي.

فقد تم حساب درجة كلية لكل مبحوثة تعكس إدراكتها لقدرات المرأة خاصة بالعمل والإدارة وتنمية المجتمع. ودرست العلاقة بين تلك الدرجة والمتغيرات المشار إليها باستخدام الفرض الإحصائي التالي «لا توجد علاقة معنوية بين درجة إدراك المبحوثات لقدرارات المرأة وكل من متغيرات العمر، وعدد سنوات

الجبل	العنبرة	حالات المواجهة		نسبة المواجهة
		متوسط	الإجمالي	
العمل	١ - المرأة مثل الرجل في القدرة على العمل.	١٧	١٨٥	٪ ٦٧
	٢ - تستطيع المرأة أن تشارك في شئون مجالات العمل..	٣٢	١٨٧	٪ ٦٧,٨
الإدارية	٣ - تدير المرأة المشروعات والإدارات بنفس كفاءة الرجل.	٣٤	١٦٠	٪ ٢٠٠
	٤ - المرأة لها القدرة مثل الرجل على إدارة شئون المجتمع.	٣٧	١٩٠	٪ ٢٠٣
المجتمع	٥ - دور المرأة في تنمية المجتمع لا يقل أهمية عن دور الرجل.	٣٩	١٣١	٪ ٦٥,٩
	٦ - من المفيد للمجتمع إلتحاق فرصه للمرأة متساوية مع الرجل للمشاركة والاندماج في جهود التنمية.	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١
الجبل	٧ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨
	٨ - قيمية كذا للفرق بين نسبة المواجهة	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١
٩ - معمليّة كذا الجبلية عدد درج	١	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١
	١٠ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨
١١ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
١٢ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
١٣ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
١٤ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
١٥ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
١٦ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
١٧ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
١٨ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
١٩ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٢٠ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٢١ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٢٢ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٢٣ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٢٤ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٢٥ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٢٦ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٢٧ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٢٨ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٢٩ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٣٠ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٣١ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٣٢ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٣٣ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٣٤ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٣٥ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٣٦ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٣٧ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٣٨ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٣٩ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٤٠ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٤١ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٤٢ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٤٣ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٤٤ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٤٥ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٤٦ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٤٧ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٤٨ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٤٩ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٥٠ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٥١ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٥٢ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٥٣ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٥٤ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٥٥ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٥٦ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٥٧ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٥٨ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٥٩ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٦٠ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٦١ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٦٢ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٦٣ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٦٤ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٦٥ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٦٦ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٦٧ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٦٨ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٦٩ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٧٠ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٧١ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٧٢ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٧٣ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٧٤ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٧٥ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٧٦ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٧٧ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٧٨ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٧٩ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٨٠ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٨١ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٨٢ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٨٣ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٨٤ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٨٥ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٨٦ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٨٧ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٨٨ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٨٩ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٩٠ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٩١ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٩٢ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٩٣ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٩٤ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٩٥ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٩٦ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٩٧ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٩٨ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
٩٩ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨
١٠٠ - متوسط	٣٧	١٠٠	٪ ٦٨,١	٪ ٦٨

بحوث ودراسات

الدراسة، وعدد الأخوة والأخوات، ومستوى تعليم الأسرة، ومهنة الوالد والتخصص الدراسي».

وقد استخدم معامل ارتباط بيرسون البسيط - ومربع كاي - في اختبار تلك العلاقات - ويعرض الجدول (٣) نتائج التحليل الإحصائي التي أظهرت أنه رغم وجود اتجاه لعلاقة عكسية بين متغير السن وإدراك قدرات المرأة.

جدول (٣) علاقة بعض المتغيرات بإدراك قدرات المرأة

قيمة كاي	التوزيع حسب درجة الإدراك						المتغير	قيمة معامل الارتباط (R) مع درجة إدراك قدرات المرأة	المتغير			
	منخفضة		متوسطة		مرتفعة							
	%	عدد	%	عدد	%	عدد						
١,٥٥							٥ - مهنة الوالد.	٠,٢	١- السن			
	٤٠,٤	١٩	٤٠,٤	١٩	٩,٤	٩	٦- مهنية وحرة					
	٣١,١	١٤	٥٣,٣	٢٤	١٥,٦	٧	٦- التخصص	٠,١٤	٢- سنوات الدراسة			
٣,٦							٦- التخصص	٠,٠٠٦	٣- عدد الأخوة			
	٣٧	١٧	٤٧,٨	٢٢	١٥,٢	٧	٦- الدراسي	٠,٠٥٩	٤- مستوى تعليم			
	٣٢,٦	١٥	٣٧,-	١٧	٣٠,٤	١٤	* علمي		الأسرة			
							* أدبي					

- قيمة (R) الجدولية عند د. ح ٩٠ ومستوى معنوية ٠,٢٠٥ = ،، - قيمة كاي الجدولية عند د. ح (٢) ومستوى معنوية ٠,٠٥ = ٥,٩٩١

وكذلك تميز المبحوثات من التخصصات العلمية بإدراك أكبر لقدرات المرأة مقارنة بالبحوثات من التخصصات الأدبية - إلا أنه لم تتأكد معنوية العلاقة بين أي من المتغيرات المدرسية بصفة عامة والدرجة الكلية لإدراكيهن لقدرات المرأة. وهذا يعني رفض الفرض النظري بجميع أجزائه وقبول الفرض الإحصائي الذي يقرر عدم وجود علاقة. ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء ما سبق ذكره من وجود تجانس نسبي في إدراك المبحوثات لقدرات المرأة - مما أدى إلى عدم ظهور أثر لتلك المتغيرات بصورة واضحة.

ثالثاً : المعوقات التي تقف في طريق مشاركة المرأة في مشروعات التنمية :

لعرفة نوعية المعوقات التي تعيق مشاركة المرأة في مشروعات التنمية كان لابد من تصنيف وترتيب هذه المعوقات من وجهة نظرها وحسب إدراكيها

ل نوعيتها . وقد تم تلخيص وترتيب إجابات المبحوثات على السؤال الخاص عن نوعية هذه المعوقات في الجدول رقم (٤) .

ويلاحظ أن العادات والتقاليد السائدة بالمجتمع تمثل ألم المشاكل التي تراها المبحوثات حجر عثرة أمام مشاركتهن في مشروعات التنمية حيث إن حوالي ثلثي المبحوثات (٦٤,٢٪) أوردت العادات والتقاليد كعائق يقف في طريق المشاركة الفعالة للمرأة في المشروعات التنموية .

وبالنظر لباقي المسببات التي تحول دون المشاركة الفعالة للمرأة في جهود التنمية نجدها جميعاً تدور في فلك المعوق الأول الذي تمثله العادات والتقاليد بالمجتمع وذلك إما كمؤثرات عامة تنطبق على المكون النسوي بالمجتمع على اختلاف تركيبة أفراده وإما كمؤثرات خاصة بشريحة أو عدة شرائح من هذا المكون دون غيرها . ونجد أن المؤثرات العامة تحتل مرتبة متقدمة في ترتيب المعوقات حيث أن ٤٠,٥٪ من المبحوثات أوردن عدم كفاية الوسائل المناسبة للمرأة للمشاركة بعيداً عن الاختلاط بالرجل وفي ذلك إشارة واضحة إلى افتقار المجتمع للحوافز التي من شأنها تشجيع المرأة للانخراط في شتى المجالات التي تناسب مع طبيعتها ومع مؤهلاتها في مختلف اتجاهات المشاركة .

كذلك احتل المعوق الخاص بعدم تفهم المجتمع لدور المرأة في المشاركة وتقدير أهمية ذلك الدور المرتبة الثالثة . بينما أنت مسئولية تربية النشاء على حساب المشاركة في الأنشطة الأخرى كمعوق في المرتبة الرابعة . ويلاحظ التداخل الواضح بين المعوقين الثالث والرابع إن الأخير ما هو إلا جزء من الذي قبله حيث إنه من المفترض أن يوفر المجتمع من الوسائل ما يكفل تحقيق الموازنة المطلوبة بين تربية النشاء والمشاركة في الميادين الأخرى .

وفي الجانب الآخر نرى أن المعوقات المتمثلة في القيود العائلية وعدموعي المرأة بدورها وارتفاع نسبة الأمية احتلت المراكز الخامس والسادس والأخير بنسبة ١٩، ١٦,٧، ٤,٨٪ على التوالي . وتدلل هذه النسب على أن هذه المعوقات ليست أساسية رغمما عن كونها جزءاً من المشكلة - وذلك لأنها لا تنطبق إلا على نسبة قليلة من أفراد المجتمع ليس من حيث العدد وإنما من حيث تأثيرها على فعالية المشاركة .

**جدول (٤) ترتيب المعوقات التي تحول دون المشاركة الفعالة للمرأة في
مشروعات التنمية وفقاً لنسب إدراك المبحوثات لها***

النسبة المئوية %	النوع التكرار	معوقات المشاركة	م
٦٤,٣	٥٤	العادات والتقاليد السائدة بالمجتمع	١
٤٠,٥	٣٤	عدم كفاية الوسائل المناسبة للمشاركة بعيداً عن الاختلاط	٢
٣٩,٣	٣٣	عدم تفهم المجتمع لدور المرأة في المشاركة وتقدير أهميتها.	٣
		عدم الموازنة بين مسؤولية تربية النشء والمشاركة في الأنشطة التنموية الأخرى.	٤
٢٠,٢	١٧	القيود العائلية التي لا تشجع المرأة على المشاركة	٥
١٩,٠	١٦	عدم وعي المرأة بدورها	٦
١٦,٧	١٤	ارتفاع نسبة الأمية.	٧
٤,٨	٤		

المصدر : استبيان نوفمبر ١٩٨٨

* بلغ عدد المبحوثات اللاتي أجبن على السؤال ٨٤.

ما تقدم يتضح أن أهم المشاكل التي تقف في طريق المشاركة الفعالة للمرأة في المجهودات التنموية بالمجتمع تمثل في تلك القيود التي هي من نسج المجتمع وتحدد بصورة مباشرة من مشاركة المرأة التكاملة وبناء عليه فإنه من المفترض أن تتم معالجة هذه المشاكل من منظور يعترف بكيان المرأة كوحدة واحدة وكجزء أساسي من المجتمع.

**رابعاً : مقتراحات النهوض بدور المرأة في عملية التنمية وفقاً
لإدراك المبحوثات :**

بسؤال المبحوثات عن مقتراحاتهن لكيفية النهوض بدور المرأة وحفزها للمشاركة الفعالة في عملية التنمية وفقاً لرؤيتهن الشخصية وترتيب إدراكيهن لهذه المقتراحات أوردن ستة مقتراحات لحل هذه المشكلة تم تلخيصها في الجدول (٥).

**جدول (٥) ترتيب المعوقات التي تحول دون المشاركة الفعالة للمرأة في
مشروعات التنمية وفقاً لنسب إدراك المبحوثات لها**

النسبة المئوية %	التكرار	المقترحات	م
٦١	٤٧	إيجاد إدارات ووظائف خاصة بالنساء تتيح المشاركة بدون تعارض مع العادات والتقاليد.	١
٤١,٦	٣٢	توعية أفراد المجتمع بأهمية مشاركة المرأة في عملية التنمية.	٢
٢٢,١	١٧	عقد دورات تدريبية وندوات إرشادية للنساء وتوعيتهن التوعية الدينية الصحيحة.	٣
٢٠,٨	١٦	توسيع فرص التعليم في مجالات خاصة بالنساء.	٤
١٩,٥	١٥	تشجيع المرأة وحفزها للمشاركة.	٥
٩,١	٧	تنشيط الجمعيات النسوية.	٦

ويلاحظ من الجدول أن إيجاد إدارات ووظائف خاصة بالنساء تتيح المشاركة دونما تعارض مع العادات والتقاليد السائدة يمثل المقترن الأول حيث تم اقتراحته بواسطة ٦١٪ من المبحوثات وهذا الاقتراح يتواافق من حيث الترتيب مع ما أوردته المبحوثات كعمق رئيسي في طريق المشاركة الفعالة للمرأة والذي يتمثل في العادات والتقاليد وعدم كفاية الوسائل المناسبة بعيداً عن الاختلاط وفي هذا دلالة واضحة على وجوب خلق المعادلة التي تمكن المرأة من المشاركة في ظل العادات والتقاليد السائدة بالمجتمع وذلك بإيجاد الفرص المناسبة في إدارات مخصصة لها بعيداً عن الاختلاط بالرجل.

ولما كان الاقتراح الأول مباشراً وواضحاً في معالجته للمشكلة من حيث التسلیم بالواقع المعاش نجد الاقتراح الثاني والذي أوردته ٤١,٦٪ من المبحوثات يتطرق إلى ضرورة توعية أفراد المجتمع بأهمية مشاركة المرأة في عملية التنمية - أيضاً نجد هذا الاقتراح يتواافق مع المشكلة الثالثة التي تم ذكرها سابقاً والتي تتلخص في عدم تفهم المجتمع لدور المرأة في المشاركة وفي هذا دلالة واضحة على أن المبحوثات يستشعرن إمكانية المساهمة في الجهود التنموية بنسبة أكبر وذلك في مقابل تفهم المجتمع لأهمية مشاركتهن - وفي الجانب الآخر يمثل هذا الاقتراح بعدها ثانياً لمعالجة المشكلة في اتجاه مضاد لاتجاه الذي يمثله الاقتراح الأول ولكن ليس بالضرورة أن يكون هنالك تناقض بين الاتجاهين.

ذلك يرى ٢٢,١٪ من المبحوثات ضرورة عقد الدورات التدريبية والندوات

الإرشادية الخاصة بالنساء مع التركيز على التوعية الدينية الصحيحة. وهذا الاقتراح يخدم الفرض الخاص بتفهم المرأة لمسؤوليتها وإدراكتها لواجباتها كما حددتها الشريعة كما أنه في ذات الوقت يخدم الفرض الخاص بكيفية مشاركة المرأة وذلك عن طريق البرامج الإرشادية المناسبة.

يلاحظ أيضاً أن بعض المبحوثات (٨٪، ٢٠٪) أبدين حرصاً على التأكيد على أهمية توسيع فرص التعليم في المجالات الخاصة بالنساء وفي هذا الاقتراح إشارة لمنح الفرصة الكاملة للمرأة لإدارة شئونها المجتمعية بنفسها مما يوسع من مشاركتها إضافةً لإمكانية تفوقها على الرجل في إدارة الشئون الخاصة بها. كذلك يأتي الاقتراح الخاص بتشجيع المرأة وحفزها للمشاركة في المرتبة الخامسة حيث يعالج هذا الاقتراح مشكلة عدم وعي المرأة بدورها واستسلامها لقيود التي تفرض عليها. ويأتي تشثيط الجمعيات النسوية في المرتبة الأخيرة حيث تم اقتراحته ب بواسطة (١٪، ٩٪) من المبحوثات. وهذا الاقتراح يخدم إشراك شريحة كبيرة من المجتمع النسوي في مجهودات التنمية لما فيه من تأثير مباشر وسهولة في التعامل.

بالنظر لما تقدم نجد أن هناك توافقاً تاماً بين ما أورده المبحوثات من معوقات تحول دون مشاركة المرأة في مجهودات التنمية وما اقترحته للنهوض بدور المرأة وذلك من حيث ترتيب المعوقات وترتيب مقترنات حلولها من جهة، ومن حيث منطقية الرابط بين المشاكل ومقترنات الحلول. وبوجه عام نرى أن تقديم المبحوثات لمقترنات الحلول أتى متطابقاً مع ترتيب المعوقات فقد تم التطرق لمقترنات التي تعالج المشاكل العامة التي تتعرض طريق مشاركة المرأة ككيان واحد أولأ حيث أشارت إلى ذلك نسبة كبيرة من المبحوثات (٦٪، ٤١٪) يلي ذلك المقترنات التي تعنى بالمعوقات التي تقف أمام مشاركة شريحة نسوية دون غيرها من باقي الشرائح.

وعند تطرق المبحوثات للمشكلة الرئيسية المتعلقة بكيفية التعامل مع القيود التي تفرضها العادات والتقاليد السائدة بالمجتمع نجد أن مقترنات الحلول التي قدمتها تتسم بالواقعية والمنطقية. فمن ناحية نرى أن هناك مقترنات للتعامل مع مشكلة العادات والتقاليد في المدى القصير بإنشاء الإدارات والوظائف الخاصة بالنساء بينما تمثلت مقترنات الحلول للمدى الطويل في توعية أفراد المجتمع بدور المرأة. من ناحية أخرى وبتصنيف العادات والتقاليد إلى صنفين أحدهما القيم والموروثات التي مصدرها الإنسان ويمثل الصنف الثاني المعتقدات الدينية نجد أن هناك مقترنات تناولت بوجوب التغيير في الصنف الأول. بينما هناك مقترنات أخرى تقييد بضرورة المعنى والمغزى في الصنف الثاني.

على وجه العموم نستطيع القول إن إدراك المبحوثات للمشكلة وتصورهن

بحوث ودراسات

لأبعادها وما يمكن أن يتخذ في سبيل التغلب عليها كان إيجابياً واضحاً الشيء الذي يجعل من تجاوبهن مع أي مجهودات لتذليل الصعاب أمراً حتمياً.

المراجع

- ١ - ثابت، ن ١٩٨٣ المرأة والتنمية والتغيرات الاجتماعية المرافقة - دراسة اجتماعية ميدانية على عينة من العاملات بدولة الإمارات العربية المتحدة - منشورات ذات السلسل - الكويت.
 - ٢ - ثابت، ن ١٩٨٦ دور الحكم الاتحادي في تنمية الإنتاج الزراعي - مكتبة الفلاح - الكويت.
 - ٣ - حسن، ح ١٩٨٩ المرأة ودافعي الإنجاز : دراسة نفسية مقارنة لدافعي الإنجاز وبعض الخصائص المعرفية والمزاجية المتعلقة بها لدى الذكور والإثاث في المجتمع المصري. مجلة العلوم الاجتماعية - المجلد السابع عشر. العدد الثاني صيف ١٩٨٩ - الكويت.
 - ٤ - رمزي، (وآخرون) ١٩٧٧ م. صورة المرأة كما تقدمها وسائل الإعلام: دراسة في تحليل المضمون للصحافة النسائية. المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة.
 - ٥ - غباش، م. ١٩٨٦ الهجرة الخارجية والتنمية - دراسة تطبيقية لأثار الهجرة الواقفة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً - دولة الإمارات العربية المتحدة - رسالة ماجستير جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية.
6. Abu Hatab, R. 1985
Situations analyse über Bestimmungsgrunde der Bauerlichen partizipation an Entwicklungsaktivitäten und konsequenzen für die Landwirtschaftliche Veratung (untersucht in einer Dorfregion Mittel - Ägyptens). ph. D. Thesis. Technische Universität Berlin, F.R.G.
7. Hinken, J. 1974.
Ziele und Zielbildung bei unternehmen im Gartenbau.
Forschungsberichte zur ökonomie im Gartenbau, Nr. 18. Hannover und Weihenstephan.
8. Sachs, R. 1972.
Wirtschafts - und Sozialverhalten von Landwirten.
Schriftenreihe für ländliche sozialfragen, 65, schaper, Hannover.
9. Schulz, M. 1973.
Landwirtschaftliche Neuerungsverbereitung an der Elfenbeinküste. Saarbrücken.

قدّعو مجلّة

شُؤون اجتماعية

الباحثين والمهتمين إلى الكتابة في المحاور
والموضوعات العامة التالية

- * محور الثقافة (يشتمل على قضایا الفكر العربية، والحياة الثقافية في الإمارات، وهموم الثقافة العربية).
- * محور النفط والتغير الاجتماعي (ويشمل عملية التغير الاجتماعي وأثر النفط عليها دراسات حول المنطقة).
- * القانون والمجتمع (على أن يتضمن دراسات تحليلية للقوانين وأثرها على المجتمع).
- * البناء المؤسسي الإداري (ويشتمل على بناء المؤسسات وطرق الادارة الحديثة وتطوير الخدمات الإدارية).
- * العمل الاجتماعي (ويشتمل على قضایا العمل الاجتماعي والعمل التطوعي والتعاوني).

ترسل الدراسات والابحاث باسم رئيس تحرير مجلّة شؤون اجتماعية
جمعية الاجتماعيين - الشارقة - ص . ب : ٣٧٤٥
الامارات العربية المتحدة



بحوث ودراسات

الجهاز الإداري الحكومي في الدول النامية بعد الاستقلال ودوره في التنمية (الواقع والطموح)

د. محمد حسن عبد
الماجد

مقدمة :

يعتقد الكثير من الدارسين والمفكرين في مجال الإدارة والتنمية أن الأثر الاستعماري على الجهاز الإداري في الدول النامية وأشكال الأدوات التي خلفها الاستعمار في تلك الدول لم تتعذر في الغالب الأعم مهامات إدارة الأمن والنظام، كما أن الإدارة الاستعمارية لم تكن تهدف إلى تنمية البلدان إلا بالقدر الذي يخدم أهداف المستعمر ويزيد من قبضته على مقدراتها ونهب ثرواتها.

وستناقش في هذه الدراسة المرحلة التالية، ونقصد بها مرحلة ما بعد الاستقلال، وندرس فيها الأجهزة الإدارية في تلك الدول وأضعين في الاعتبار توسيع

* جامعة الإمارات العربية المتحدة .

الأنشطة الحكومية فيها وشمولها لعدة مجالات وعلى رأسها قضية التنمية وما صحب هذا التوسيع من مشاكل وعقبات وضغط على الأجهزة الحكومية التي صارت تعيش في تنافس بين الصعوبات التي تصاحب التنمية والتوقعات السريعة للمواطنين من جانب، وإمكانيات الدولة الاقتصادية والإدارية من جانب آخر.

وقد كانت هذه الحال من أبرز المشاهد الأولى في تجارب التنمية بالنسبة للعديد من الدول النامية. فبعد الحصول على الاستقلال السياسي لابد من النهوض بالاقتصاد والتنمية لتعزيز الاستقلال الوطني - وهذه النهضة المنشودة لابد لها أن تلبي حاجات الشعوب الذين طالت معاناتهم، وأن تفك أسر الاقتصاد الوطني من سيطرة المصالح الأجنبية خلال عهود الاستعمار.

وتحقيق النهوض الاقتصادي السريع والمتكامل يستدعي الدخول في عمليات إنمائية متعددة المشارب - فمن الدول من رأت أن من ضرورات التنمية أن تضطلع الدولة وحدها بمهام التنمية وعليه كان التركيز على القطاع العام، ومنها التي ركزت على اقتصاد السوق والقطاع الخاص - ومنها التي أقبلت على التنمية بدرجة عالية من الحماس والتفاؤل فأقدمت على التأمين وتملك وسائل الإنتاج بدرجات متفاوتة على أساس أن ذلك يضع المزيد من الموارد في خدمة التنمية - ومنها التي ركزت على قطاع الصناعة بهدف إيجاد فرص لتشغيل الأيدي العاطلة وتحقيق حالة من الاكتفاء الذاتي أو التعويض عن الاستيراد...

وعليه فقد ظهرت تجارب إنمائية عدة اختلفت باختلاف الأقطار من حيث الظروف والخصائص المحلية - فلم تتطابق حركات التنمية ولكن تمثلت في بعض التفاصيل.

ورغم هذه الاختلافات فقد بقيت دلالات مشتركة، من ذلك مثلاً مبررات وتوجهات وأهداف التنمية نفسها. فالمفهوم السائد هو أن التنمية هي محاولة اللحاق بالمجتمعات المتقدمة، وهدفها الأصيل هو النهوض بالمواطن اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وسد الفجوة بين الدول النامية والدول الصناعية - وهذا هو ما سماه البعض بالتوقعات الطموحة.

فالفجوة كبيرة بين معدلات النمو والناتج القومي وبين معدلات النمو السكاني في الدول النامية بالرغم من الارتفاع النسبي في معدل النمو الكلي. فمتوسط دخل الفرد ينمو ببطء شديد قد لا يتجاوز ١,٥٪ في السنة(١) يؤدي ذلك إلى تفاقم مشكلة الأمية والغذاء حيث يوجد ١٠٠ مليون أمي الآن في الدول النامية،

كما أن ثلثي أطفال هذه الدول يعانون من مشكلة سوء التغذية ويموت منهم لهذا السبب ١٥ مليون طفل كل سنة.

فإذا سار معدل النمو على هذا المنوال (١,٥٪) فسوف تستغرق الدول النامية بين مائة إلى خمسمائة عام لتصل للمستوى التكنولوجي الذي بلغته الولايات المتحدة الآن. فالناتج القومي الإجمالي بالنسبة لفرد الأمريكي في عام واحد يساوي الزيادة المتوقعة للهند في مائة عام (١).

إن فالتفاؤل كبير لأن الفجوة أكبر بكثير مما نتوقع. فإذا استمرت معدلات النمو على النحو الذي ذكرنا بالنسبة للدول النامية واستمرت الولايات المتحدة مثلاً بمعدل نمو متواضع (٠,٣٪) فسوف تحتاج الهند وتونس إلى أكثر من قرنين للوصول لمستوى المعيشة الأمريكي، كما أن دولاً مثل يوغندا وماليزيا وبيرا تحتاج إلى أكثر من أربعة قرون، بينما تحتاج الباكستان إلى أكثر من سبعة عشر قرناً (٢).

الصعوبات الاستراتيجية التي صاحبت التنمية في دول العالم الثالث

قبل الدخول في تفاصيل وتحديد المشاكل التي واجهت التنمية في بلدان العالم الثالث، ينبغي أن نحدد الإطار أو الاستراتيجية التي ينظر من خلالها لهذه المشاكل. ويجدر بنا هنا أن نسأل أولاً هل هناك إطار أو مفهوم سائد لمعالجة المشكلات الاستراتيجية في العالم الثالث بما في ذلك قضية التنمية؟ ثم قبل ذلك ما هو معنى أو مفهوم الاستراتيجية؟

لقد ارتبط مفهوم الاستراتيجية في البداية بإدارة وتجيئ المعارك الحربية - أي أنها ارتبطت بالفاهيم العسكرية والجنود والسلاح. فهي من ناحية عسكرية تعني توجيه وقيادة الصراع المسلح من زاوية عسكرية ومن منظور قومي شمولي.

ثم تطور المفهوم ليتجاوز الحدود العسكرية ليشمل إدارة الأزمات والسيطرة على المخاطر ليس كأهداف فقط ولكن ليشمل أيضاً الوسائل التي تستخدم لتحقيق تلك الأهداف.

وكان لهذا التوسع في مفهوم الاستراتيجية أن عرفت الاستراتيجية بأنها «مجمل قوة الدولة أو مجموع إمكانياتها وقدراتها الاقتصادية والسياسية

والأيديولوجية والعسكرية وغيرها لتحقيق مجمل أهدافها في كل الميادين... أو هي في معناها الواسع كل فعل يحاول من خلاله أي مجتمع أن يضمن بقاءه أو أن يحقق مطامحه»^(٣).

ما يهمنا في هذا الصدد لمفهوم الاستراتيجية وعلاقتها بالتنمية أنه لابد لنجاح أية تنمية أن يكون هناك إطار مفاهيمي أو استراتيجية محددة لتلك التنمية. وهذه الاستراتيجية ينبغي أن تبني على أساس السمات المميزة لمشكلات البلد المعنى.

وعلى هذا الأساس يمكن تحديد أبرز المشكلات بالنسبة لمجموعة الدول النامية والتي تؤثر بدورها على استراتيجية التنمية وإدارة التنمية^(٤) فيها كالتالي:

١ - آثار الميراث الاستعماري :

ويتمثل ذلك في كل ما خلفه الاستعمار في تلك الدول من خلافات وصراعات ليست داخلية فقط وإنما أيضاً إقليمية كمشاكل الحدود، والفصل بين القبائل وما يدخل في ذلك من صراعات ومصادمات دموية وحروب كما هو حاصل الآن في معظم الأقطار الإفريقية والآسيوية ودول أمريكا اللاتينية من جنوب إفريقيا وأنجولا وناميبيا إلى الصحراء الغربية وتشاد والصومال وأثيوبيا والسودان إلى كمبوديا وأفغانستان وصولاً إلى نيكاراجوا. هذه الحروب والصراعات تفت من عض الدول وتبعثر جهودها وإمكانياتها المحدودة أصلاً، ليصبح هم الدولة الأول تأمين أنها الخارجي والداخلي. الواقع فإن جوانب الضعف التي تؤثر فيها العوامل الخارجية بالنسبة لدول العالم الثالث تزيد كلما كانت المصادر الداخلية نشطة وحية.

٢ - الفقر وندرة الموارد وانخفاض مستوى التنمية :

يعتبر الفقر من أكبر المهددات في العالم الثالث - لأن الفقر يرتبط بطلب العون من الخارج وهذا بدوره يؤدي إلى التبعية السياسية والاقتصادية وقد يؤدي إلى التبعية العسكرية التي قد تصل الحد الذي يفقد القطر حق السيادة على أراضيه. فالإعانت الخارجية هي قنابل موقوتة كما يقولون.

تعتمد أغلبية الدول النامية على المساعدات الخارجية وتعتبرها الخيار الأساسي وذلك بسبب نقص أو ندرة الموارد إضافة للنقص والقصور الشديد في المعارف التكنولوجية. يؤثر ذلك على قدرات هذه الدول في دفع معدلات التنمية. يؤدي ذلك ليس إلى خلق المشكلات الاجتماعية فقط، بل وللأزمات السياسية الحادة، والاضطرابات والانقلابات العسكرية... إلخ.

٣ - ضعف المشاركة السياسية :

وكان تدريجياً طبيعياً للمشكلة السابقة نجد أن معظم هذه الدول تتسم بضعف مستوى التنمية السياسية أو حتى انعدامها بين مواطنيها. يظهر أثر ذلك في ضعف المؤسسات والدور الذي يعكس أن تؤديه في المجتمع. وقد يكون هذا الضعف هو السبب وليس النتيجة. فتعدد الجماعات السياسية والفرق التي تتبنى أيديولوجيات متباعدة، مع عدم الالتزام بالصالحة القومية أو وضع مصلحة الوطن فوق كل مصلحة أخرى، أصبح كل ذلك من الظواهر التي تسم الممارسات السياسية في البلدان النامية. ينبع عن ذلك أيضاً عدم الاستقرار السياسي والاضطرابات والقلق وتكون النهاية بالانقلابات العسكرية وتعويق التنمية السياسية كما وقد تؤدي الانقلابات العسكرية إلى التشكيك في شرعية الأنظمة الحاكمة من جانب العلاقات الخارجية للدولة مما قد يؤثر سلباً في سعيها نحو توفير موارد للتنمية من المجموعة الدولية.

٤ - الافتقار إلى الإجماع القومي :

ونعني بالإجماع القومي الالتفاف حول الأهداف والمصالح القومية من جانب كل القوى الموجودة - وكما يكون الإجماع على قومية الأهداف فلابد وأن يمتد ليشمل ترتيبها ويرمجتها على الم الدين القصير والطويل. إلا أن شاهد الحال يقول إن معظم الدول النامية تفتقر إلى الإجماع القومي.

وبديهي أن فقدان الإجماع القومي يكرس الخلافات. من هذه الخلافات مثلاً تحديد نوعية التوجيه الأيديولوجي الذي يؤثر على استراتيجية التنمية - أو مثل الخلافات حول المسائل الأساسية الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية.

وقد لا يكون الخلاف في الرأي أو التوجه مرفوضاً في كل الأحوال والأوقات لكنه حين يؤدي إلى تغيير النظام السياسي (انقلاب عسكري مثلاً) فهذا يعني في غالب الأحيان تغيير الأهداف أو إعادة صياغتها وليس بالضرورة نحو الأفضل مما قد يجعل عملية بناء الأمة تعود إلى نقطة البداية كرة أخرى وهكذا تدور في حلقة مفرغة لا بداية لها ولا نهاية.

٥ - الافتقار إلى التكامل القومي :

وهذه المشكلة لا تبعد عن سبقتها، فسكان الدول النامية ينقسمون إلى جماعات مصالح متعددة على أساس عرقية أو دينية أو إقليمية أو حتى مهنية. فالبيروقراطيون في مواجهة مع الأكاديميين، والمدنيون ضد العسكريين ودين

مقابل دين والحضر في مقابل الريف وقبيلة ضد قبيلة وهكذا...

يتبين عن هذه الانقسامات مشاكل معقدة وتنشأ نتيجة لذلك أجواء غير صحية تضر بعمليات التحديث لتضاربها مع التقليدية. وعليه فقد لا نجد أثارةً تذكر لقوانين وتشريعات الدولة الهدافـة نحو تغيير البنـى الاجتماعية والاقتصادية. وبدلـاً من ذلك فقد تظهر الصراعـات والتـواترات مما يهيـء الظروف للفـزو الأيديولوجي الخارـجي بل وحتـى الهـيمنـة الأـجنبـية. كل ذلك ينعكس على خطـط التنمية فيعوقـها ويؤدي إلى خـلق تـضارـب وازدواجـية في الـبنـى الـاجتمـاعـيـة بين ما يمكن تـسمـيـته بالـقطـاع التقـليـدي والأـخـرـ الحديثـ.

٦ - شرعـية جـهاـز الدـولـة :

من المعـروـف أن غالـبية الدول النـاميـة نالت استقلـالـها السياسي في خـلال عـقد السـتيـنـيات من هـذا القرـن، ولم تـكن الفـترة كـافية مـنـذ ذلك الحـين وـحتـى الآن بالـنـسبـة لأـكـثـرـيتها لـتـكـمـلـ بـنيـانـها وـتـسـتـكـمـلـ الشـكـلـ النـهـائـيـ حتى يمكن اعتـبارـها ضـمـنـ النـظـامـ الدـولـيـ الحديثـ. والنـظـامـ الدـولـيـ الحديثـ هو ما يـرمـزـ بهـ إلى الدولـ فيـ العـالـمـ الغـربـيـ الصـنـاعـيـ، حيث إنـ الدـولـةـ قـوـيـةـ وـمـتـمـاسـكـةـ وـتـتـمـتـعـ بـشـرـعـيـةـ كـاملـةـ.

وعـلى العـكـسـ فإنـ أـغلـبيـةـ أـبـنـيـةـ الدـولـةـ فيـ العـالـمـ الثـالـثـ لاـ تـتـمـتـعـ بـهـذهـ الشـرـعـيـةـ الكـامـلةـ. وـنـتـيـجةـ لـذـلـكـ إـنـهاـ تـكـونـ مـعـوـقـةـ بـالـنـظـرـ إـلـىـ قـدـرـاتـهاـ فـيـ التعـالـمـ الـفـعـالـ معـ النـظـامـ الدـولـيـ وـالـذـيـ يـدـورـ أـسـاسـاـ حـولـ الدـولـةـ باـعـتـبارـهاـ فـاعـلـاـ رـئـيـسـياـ. فـمـنـ نـاحـيـةـ الـاستـقـرارـ السـيـاسـيـ مـثـلـاـ نـجدـ عمرـ (ـالـحـكـومـةـ)ـ فـيـ النـظـامـ الإـنـجـليـزـيـ يـتـراـوحـ مـاـ بـيـنـ ٤ـ -ـ ٥ـ سـنـوـاتـ، وـفـيـ أـمـريـكاـ حـدـدـتـ مـدـةـ اـسـتـقـرارـ رـئـيـسـ الـجـمـهـورـيـةـ بـأـرـبـعـةـ سـنـوـاتـ. وـكـلـ هـذـهـ حدـودـ دـنـيـاـ لـأـنـهـ كـثـيرـاـ مـاـ تـنـتـخـبـ الـوزـارـةـ فـيـ انـجـلـتـرـاـ أوـ رـئـيـسـ الـجـمـهـورـيـةـ فـيـ أـمـريـكاـ لـأـكـثـرـ مـنـ مـدـةـ وـاحـدةـ. وـعـلـىـ نـقـيـضـ ذـلـكـ نـجـدـ أـنـ أـعـمـارـ (ـالـحـكـومـاتـ)ـ فـيـ الـبـلـدـانـ النـامـيـةـ قـدـ لـاـ تـتـجاـوزـ أـصـابـعـ الـيدـ الـواـحـدـ شـهـورـاـ...

هـذـهـ المشـكـلاتـ كـمـاـ أـسـلـفـنـاـ تـحدـ مـنـ قـوـةـ الدـولـةـ النـامـيـةـ وـتـزـيدـ الـهـدـرـ بـالـنـسـبـةـ لـإـمـكـانـيـاتـهاـ وـقـدـرـاتـهاـ الـاقـتصـادـيـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ، فـقـدـ رـأـيـناـ كـيفـ أـنـ هـذـهـ المـجمـوعـةـ مـنـ الدـولـ مـاـ زـالـتـ تـشـغـلـهاـ قـضاـيـاـ السـيـادـةـ وـالـشـرـعـيـةـ وـأـزـمـةـ الـمـشـارـكـةـ السـيـاسـيـةـ، وـأـنـهاـ تـفـتـقـرـ إـلـىـ الـمـوـارـدـ وـتـواجهـ بـمـشـكـلاتـ بـنـاءـ الدـولـةـ بـشـكـلـ عـامـ. وـهـيـ بـالـفـعـلـ مـشـكـلاتـ اـسـتـراتـيـجـيـةـ لـأـنـهـ أـثـرـتـ وـتـؤـثـرـ لـيـسـ عـلـىـ أـهـدـافـ التـنـمـيـةـ فـقـطـ بـلـ أـيـضاـ عـلـىـ وـسـائـلـ تـحـقـيقـ تـلـكـ الـأـهـدـافـ.

الجهاز الإداري

ونحن بقصد الحديث عن أعباء الحكومة في الدول النامية بعد الاستقلال فلابد من التعرّض للجهاز الإداري والتعرّف إليه، ذلك بأنه جزء من المجتمع يعاني مما يعاني منه المجتمع بكافة مؤسساته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية... إلخ وأكثر ما يتعرّض هذا الجهاز للهزّات بسبب فترات الانتقال والتغيير. هذه الهزّات في خلال الفترات الانتقالية عانت منها كل البلدان النامية بدون تمييز أو استثناء.

وعموماً فإن أمراض الجهاز الإداري لا تختلف عن علل القطاعات الأخرى لأن مكمن الداء يكون في المجتمع كله. ولكن عيوب الجهاز الإداري تكون أكثر ظهوراً للعيان بحكم صلته الوثيقة بالجمهور مما يجعله أكثر عرضة للملاحظة والنقد.

الجهاز الإداري قبل وبعد الاستقلال مقارنة غير متكافئة : ونسبة للأعباء الجسم الملقاة على عاتق الجهاز الإداري في ظل نشأة الدولة النامية وقبل التعرّض للمشاكل التي نشأت نتيجة للضغط على الأجهزة الحكومية من جانب المواطنين لتحقيق آمالهم في مستوى معيشة أفضل، ولكي نكون منصفين لهذا الجهاز، نسبة لكل ذلك ينبغي على الدارس أن يتعرّف إلى ظروف نشأة هذا الجهاز نفسه. حتى لا نظلم الخدمة المدنية بمقارنة وضعها بعد الاستقلال بما كانت عليه قبله.

ونحن بهذا لا ننادي بأن لا يكون هناك مقياس أو ميزان تقوم على أساسه مستوى الكفاءة والأداء، إنما نهدف إلى القول بأنه ليس هناك وجهة مقارنة للجهاز الحكومي في الدولة النامية قبل وبعد الاستقلال وذلك للأسباب التالية:

١ - حساب الأرقام المتفاوتة :

بعد قيام الحكومة الوطنية تزداد أعباؤها لما تقوم به من مهام البناء والنمو الاقتصادي والاجتماعي الذي يستدعي بالضرورة زيادة الوحدات والمنظمات الحكومية والهيئات واللجان... وبالتالي زيادة أعداد الموظفين والعاملين - أي زيادة حجم الجهاز الحكومي بما يفوق أضعاف ما كان عليه خلال الحكم الأجنبي، وقد يكون ذلك في فترة زمنية قصيرة.

٢ - التعقيد بعد البساطة :

الجهاز الحكومي في خلال فترة الحكم الأجنبي يتصرف بالبساطة وعدم التعقيد سواء بالنسبة لإعداد العاملين أو لقلة المصالح والأجهزة الحكومية.

وحتى هذه لا تصعب إدارتها لأن معظم السلطات قد حضرت في أيدي قليلة. ففي السودان مثلاً كانت تنحصر القيادة الاستعمارية في ثلاثة أفراد هم السكريتير الإداري والقضائي والمالي.

أما بعد الاستقلال فعادة ما ينفرط العقد وتنشأ أنواع جديدة من الوحدات الحكومية وتتنوع علاقتها ببعضها البعض وترزدأ عليها الوحدات المحلية وشبه الحكومية وتظهر الأقاليم والمديريات والمحافظات. يؤدي ذلك إلى التعددية والتنوعية كما يؤدي إلى التعقيد بعد البساطة.

٣ - الغموض بعد الوضوح :

تكون مهمة الجهاز الحكومي (الإداري) قبل الاستقلال معروفة ومحددة تنحصر في القيام بتنفيذ سياسة الحكومة بالكفاءة والاقتصاد اللازمين بما يحقق حفظ الأمن وتهيئة الظروف لاستثمار الموارد الطبيعية المحلية لصالح الحكم الأجنبي.

أما بعد الاستقلال فقد يكتنف الجهاز الحكومي كثير من الغموض. من ذلك مثلاً تبعية الجهاز نفسه: هل تكون للحزب الحاكم أم لعامة المواطنين؟ وماذا لو تعارضت سياسة الحزب الحاكم مع الصالح العام؟ وما هو التحديد لهذا الصالح العام؟ وكثير من أمثل هذه الأسئلة التي تجعل قادة الجهاز في حيرة من أمرهم يتحسسون طريقهم في ظلام دامس كل حسب اجتهاداته.

٤ - أزمة القيادة السياسية والإدارية :

لا يكون هناك خلاف بين القياداتين السياسية والإدارية في فترة ما قبل الاستقلال وذلك بسبب أن هاتين القيادتين تكونان موحدتين في نفس الأشخاص والفتئات ويعمل تحتمهم كل العاملين بتعاون ونظم على اعتبار أن هذه القيادة الموحدة مقبولة للجميع.

وقد يختلف هذا الوضع بعد الاستقلال، فتتوزع وتتشتت القيادة السياسية والإدارية بين عدة مستويات - كما أنه قد لا يكون هناك رضا تام عنها من الجميع سواء على المستوى القومي أو المحلي.

٥ - نوعية المواطن :

من البديهي أن يكون هناك اختلاف في نوعية الحكم والحاكمين بين عهدي الحكم الأجنبي والوطني. وبينفس القدر فقد اختلفت نوعية المواطن (المحكوم) في

الحالين. فالشعوب أثناء الحكم الأجنبي تكون أقرب للبساطة والبداءة سهلة القيادة وذلك بالطبع بسبب سياسات ونهج المستعمر الذين سبق ذكرهما. أما عند بلوغهما السيادة الوطنية فإن الحال تتبدل بتغفل الوعي السياسي والاعتزاز بالنفس وذلك بسبب سبل الاتصال الحديثة والتوعية المهنية. وبفضل هذه الحرية (الديمقراطية) يصبح الفرد أكثر إحساساً بالحياة وأكثر انتقاداً للحاكمين - وعلى الإداري الوطني الجديد مجابهة كل هذه التحديات مع إمكانياته المحدودة.

٦ - تغيير أهداف الجهاز الإداري وطبيعته :

أسلفنا القول بأن طبيعة وأهداف الجهاز الإداري خلال عهود الاستعمار تتسم بالسلبية وتحدد في حفظ الأمن والنظام. ولكن في عهود الحرية والاستقلال فإنها بالإضافة لحفظ الأمن والنظام تصبح مطالبة بقيادة وتنفيذ البرامج الموسعة الطموحة للتنمية. فلا يكون دور الإدارة المالية مثلاً محصوراً في إيجاد إيراد بسيط لموازنة الميزانية المحصورة المتواضعة ولكنها تزيد على ذلك بأن تكون مسؤولة بتحقيق فائض كبير لتمويل البناء والتعمير والتنمية. كذلك الخدمة المدنية فلم تعد تهتم فقط بالنظام والكفاءة ولكنها توسع أيضاً لتشمل المشاركة والمراقبة الديمقراطية الشعبية ولتصبح إدارة تنمية بدلاً من بiroقراطية.

استعرضنا في الأسطر الماضية الاختلافات المتوقعة في الجهاز الإداري في خلال فترة الاستعمار وفترة ما بعد الاستقلال - وقد أرجعناها إلى ظروف التغيير والتحول والانتقال من عهد الاستعمار الأجنبي إلى عهد الاستقلال والحكم الوطني، ومن أيدي القيادة الاستعمارية إلى أيدي القيادة الوطنية الجديدة. والتي أثرت بصفة أساسية على الأجهزة الإدارية والتنفيذية - هذه الاختلافات تركت بالطبع بصماتها ونتج عنها ظهور مشاكل تتعلق بالجهاز الإداري وتأثر على أدائه.

فالجهاز الإداري الحكومي لابد وأن يعكس العوامل السياسية المؤثرة على تسيير الحياة العامة، وهذه بدورها تصور العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية السائدة في المجتمع - والجهاز الإداري بجانب كونه مرآة لأوضاع المجتمع فهو أيضاً الأداة التنفيذية التي تترجم التخطيطات السياسية - وفي بعض الأحيان الشعارات - التي ينادي بها المهيمنون على الشؤون العامة إلى أعمال تطويرية وتنموية.

فإذا أضفنا إلى هذه التوقعات والطموحات من جانب الشعب في حياة أرגד ومستوى معيشي أفضل، أضفنا إليها تلك التركة المثقلة من التخلف والجهل والفقر، لوضح لنا مدى الضغوط على الجهاز الحكومي من جهة، ومدى التنافس والصعوبات التي تصاحب التنمية والتوقعات الطموحة في مستقبل واعد وأكثر إشراقاً.

و قبل الخوض في مشاكل الجهاز الإداري الحكومي، ينبغي لنا أن نوضح في شيء من الإيجاز علاقته بالتنمية - أي علاقة الإدارة العامة (الجهاز الإداري) بالتنمية.

يقرر الدكتور عامر الكبيسي أن التنمية عبارة عن حالة عقلية وعقلانية محددة الأبعاد و معروفة المعالم تطرح من قبل المؤسسات كبديل للواقع القائم، وكهدف يمكن تحقيقه في المستقبل المنظور.

أما الإدارة العامة فهي إطار تنظيمي وسلوك موجه يتضمن أنشطة تخطيطية وتنظيمية وتنسيقية تهدف إلى الانتقال بالمجتمع من واقعه القائم إلى حالة الطموح من خلال ترجمة الخطط وتنفيذ البرامج وتشييد المرافق. إن هذا يعني أن لا تنمية بدون إدارة عامة فعالة وكفؤة. وإن كفاءة الإدارة العامة وفعاليتها رهن بتنمية المجتمع وتطويره. فهما والحال هذه مترابطان عضوياً وديالكتيكياً^(٥).

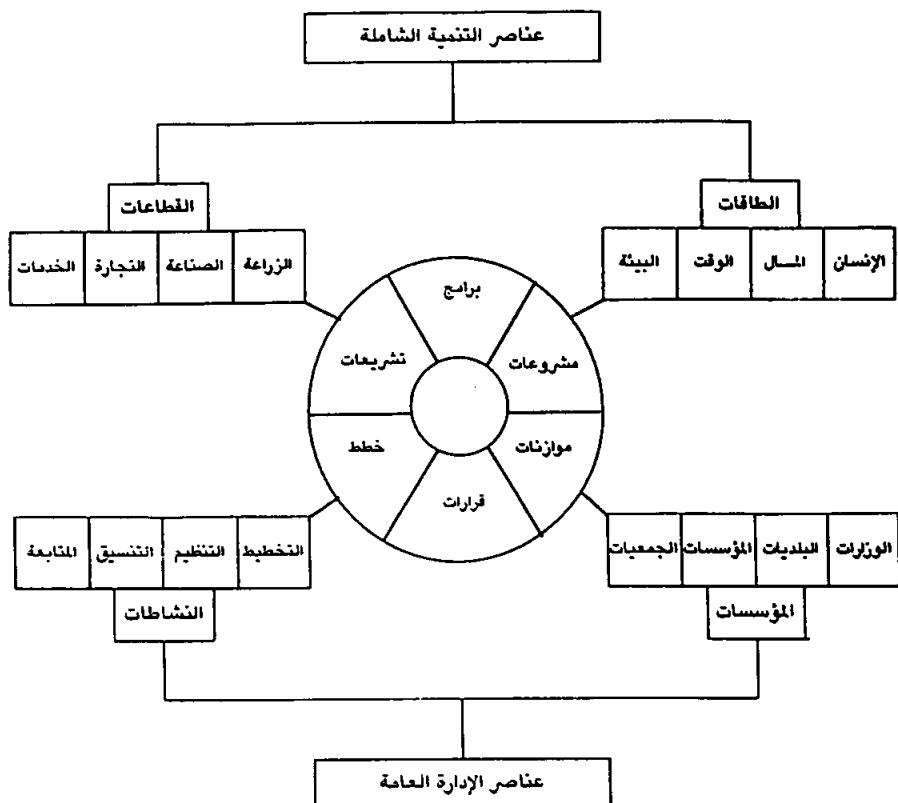
ويستطرد د. عامر الكبيسي في توضيح وجهة نظره من خلال التحليل الكلي (السيستمي) لمكونات الإدارة العامة والتنمية ليعكس العلاقات المتبادلة بينهما في شكل نموذج يمكن أن يستفاد منه في تحديد المعالم الاستراتيجية للتنمية الشاملة، انظر الشكل رقم (١).

فالعلاقة بين الجهاز الإداري وإدارة التنمية موجودة، وهي علاقة يمكن وصفها بأنها تكاملية وضرورية. فلا يكفي فقط أن تحدد الغايات والأهداف (موضوع التنمية)، إنما يتوجب أيضاً إيجاد الوسائل والأساليب لتنفيذ الأهداف والوصول للغايات (موضوع الإدارة).

وبسبب هذه الرابطة العضوية بين الإدارة والتنمية، فلا يمكن إبراز صعوبات ومشاكل التنمية في الدول النامية دون التعرض إلى المشاكل التي واجهت وتواجه الجهاز الإداري فيها.

مظاهر ضعف الجهاز الإداري الحكومي:

نموذج تحديد المعالم الأساسية للاستراتيجية التنموية الشاملة



بحث ودراسات

وقد يكون من المفيد قبل إبراز هذه المشاكل، أن نوضح مظاهر الضعف والتد وهو في الجهاز الإداري الحكومي، ومنها:

١ - هبوط الكفاية والأداء :

ونقصد بها الكفاءة الإنحازية والأداء حيث أن ذلك قد فقد بالنسبة للكثيرين من العاملين وفي جميع المستويات. فالعمل المتقن أصبح نادراً، تكاد تنعدم العناصر القيادية وقوة التوجيه والإشراف والرقابة الفعالة بالنسبة للإدارة العليا والوسطى. وقد يكون ذلك بسبب انعدام التدريب وقد يكون نتيجة لأسباب أخرى أيضاً. أما بالنسبة للإدارة الدنيا فالوضع أكثر سوءاً - وهذا شيء طبيعي نسبة لما حصل في الإدارتين العليا والوسطى.

٢ - اللامبالاة والإهمال :

وبرغم خطورتها فقد انتشرت اللامبالاة والإهمال وعدم تقدير المسئولية في جميع المستويات الإدارية - وسبب ذلك انعدام الرقابة الإدارية والمالية. فالكل يتصرف بالطريقة التي تروقه. نتج عن ذلك زيادة الهدر المالي الذي لازم كثيراً من المشروعات الإنمائية. ووسط هذا المحيط المتلاطم الأمواج من الإهمال واللامبالاة انتشرت الظاهرة حتى إننا نجد أن القلة الحاذقة المجددة من الموظفين وجدت نفسها في حيرة وانتهت بها المطاف إلى مجاراة الوضع السائد.

٣ - الفراغ الإداري وتضارب الاختصاصات :

أدى التضارب في الاختصاصات بين الأجهزة الحكومية إلى ضياع المسئولية. فلا تعرف الجهة المسئولة عن تأدية أو إنجاز موضوع بعينه. وفي هذا أيضاً ضياع لوقت وجهد وطاقة ومصلحة المواطن، أما في حالة حدوث خطأ ما فلما تعرف الجهة التي توجه إليها الشكوى أو التظلم.

ومن جهة أخرى فقد أدى هذا التضارب في الاختصاصات لقيام (الامبراطوريات) الإدارية. فكل مصلحة أو وزارة أو إدارة تتصرف وكأنها في عزلة واستقلال تامين عن بقية الأجهزة، فانعدم بذلك التعاون والتضامن بين الأجهزة الحكومية المختلفة.

٤ - المسوبيّة واستغلال النفوذ :

المسوبيّة وتشمل السياسية والطائفية والذهبية العصبية والقبلية والتي تصل إلى حد استغلال النفوذ تسود بشكل خطير في أوساط الأجهزة الإدارية.

وتظهر في أبشع صورها في التوظيف والتعيين والترقيات وحتى التنقلات من منطقة لأخرى، وهي من المظاهر السيئة التي أخذت تتسم بها دوائر الجهاز الحكومي. يؤدي ذلك إلى التنافر والانقسام وينعكس سلباً على العمل والإنتاج.

٥ - هبوط مستوى الإنتاج :

إضافة لما سبق فهناك ظاهرة التأخير الذي تتعرض له الأعمال الحيوية للدولة مما يؤدي لهبوط مستوى الإنتاج وفي جميع المرافق. فحسابات الدولة لا تتفق في مواعيدها وتتأخر بذلك مراجعتها - والأرقام الوهيمية التي تعطي كفائض للميزانية يتضح فيما بعد أنها عجز. تتغطى أعمال الجهاز وحتى التي تنجذ منها تأخذ وقتاً طويلاً وإبطاء شديداً وملاحقات مستمرة وتسود البطالة المقمعة في أوساط الدوائر الحكومية.

المظاهر السابقة الذكر والتي أوردناها على سبيل المثال لا الحصر، كافية رغم قلتها لتشير إلى التدهور والضعف اللذين أصابا الجهاز الإداري الحكومي في البلدان النامية بعد استقلالها - وهذه الظواهر هي بمثابة نقطة الانطلاق نحو البحث في تحديد أسباب هذه المشاكل التي أثرت بشكل مباشر على العملية التنموية لما أضافته من ضغوط على الجهاز الحكومي وساعدت وبالتالي على عرقفله وقوسه عن القيام بواجباته الأساسية.

ويمكن تصنيف المشاكل في هذا الصدد إلى نوعين على أساس تأثيرها على إمكانيات الدولة الاقتصادية والإدارية: المشاكل الاقتصادية والمشاكل الإدارية والتنفيذية المتعلقة بأجهزة الدولة:

أولاً : المشاكل الاقتصادية :

بعد أن تحررت الدول النامية من السيطرة الاستعمارية وكانت دولاً مستقلة، طمحت بعد ذلك لتحقيق استقلالها الاقتصادي ومواجهة مشاكل وتحديات الانطلاق في رحاب التقدم والرقي الاجتماعي. وقبل ذلك فقد كانت هذه الدول تعتبر كممتلكات مشروعة للدول الأوروبية. وعليه فإن أوضاع ومصائر اقتصادياتها كانت تناقش ضمن إطار الاقتصاد الأصل في الدولة الأوروبية التي ينتمي إليها البلد النامي (**المُستَعْمِر**) مما انعكس في عدم إفراد النظرية الغربية لأي باب أو فصل من فصولها لتختص بشئون تنمية الدول النامية. ولم يستمر الوضع هكذا بالنسبة للنظرية الاقتصادية الغربية إذ إنها وجدت نفسها محاصرة بتعقد واتساع ظاهرة (التخلف) في العالم النامي. فكان ما هو مطلوب

منها لكي تصبح عالمية وعلمية أن تتناول ظاهرة التخلف هذه في إطار المفهوم الرأسمالي. وحتى تضمن بقاء هذه الدول ضمن السوق الرأسمالية العالمية، أدخلت في هذه الدول المنهج الرأسمالي للتنمية – كما عملت في نفس الوقت لإفراغ شعارات حركات التحرر الوطني حول الاستقلال والتقدير.

وكنتيجة لهذا وذاك وجدت الدول النامية حديثة الاستقلال وجدت نفسها مكبلة بأكثر من رابط وخيط يربطها بالسيد القديم ويفرض نموذجاً معيناً في التنمية والاستهلاك. كما أنها قد اعتمدت على مبادئ ومسلمات هي بمثابة الشباك الأساسية للمصيدة والتي تتلخص في أن مشكلة الدول المتخلفة تنحصر في وجود العديد من (الحلقات المفرغة) والتي يمكن قياسها كمياً. ويمكن الحل في كسر هذه الحلقات إلا أن هذه الدول النامية لا تستطيع إنجاز هذه المهمة بمفردها بل يتوجب عليها الاعتماد على الخارج ليس كإضافة للجهد المحلي، بل كبديل له حيث أن رأس المال والتكنولوجيا الحديثة لا تتوافران إلا لدى الاقتصاد المتقدم في الغرب.

ساعد ذلك في حصر التنمية واختزالها في الجانب الاقتصادي وشاع مفهوم مفاده أن التنمية إن لم تتبع خطى الغرب فمسيرها الفشل لا محالة.

وهكذا أصبح الجهد الخارجي بديلاً للجهد المحلي الوطني – فلكي يمكن الشراء من الخارج فلابد من العملات الصعبة، إضافة إلى أن التمويل الأجنبي مطلوب لسد الفجوة بين كل من الاستثمار القومي والإدخار القومي. والنتيجة الحتمية لتزايد الطلب على عمليات الغرب مع تدني حصيلة الدول النامية منها هو الاعتماد على الغرب والارتماء في أحضان مؤسساته.

ما أوردهنا في الأسطر السابقة كان كمقدمة لابد منها لتساعد في فهم المشاكل الاقتصادية التي واجهت العالم النامي – وبما أن هذه المشاكل الاقتصادية متعددة ومتشعبية إلا أننا سنختصر الحديث على أهمها، والهدف من إبرازها في هذا الإطار ليس بقصد مناقشتها أو تحليلها علمياً حيث إن ذلك لا يدخل في إطار هذه الدراسة ولكن بقصد بيان أثر هذه المشاكل على الدور التنموي الذي من المفترض أن يلعبه الجهاز الإداري الحكومي في الدول النامية. أسلفنا القول بأنه إذا وضعنا استراتيجية للتنمية فإنه من شروط نجاحها أن تصحبها استراتيجية أخرى لتنمية الإدارة حتى تصبح الإدارة في مستوى يؤهلها للقيام بواجبها في قيادة السفينة نحو بر الأمان. فالتنمية عملية متكاملة تتطوّر على تنمية جميع الموارد المتاحة والممكنة سواء في ذلك الجوانب الإنتاجية المباشرة

(الاقتصادية) أو المرافق التي تقوم بتأدية الخدمات المختلفة (الإدارية).

وخلاصة القول إن التأثير متبادل بين الجهازين حتى ولو غلب الشكل الاقتصادي على المشكلة. فالجانب المادي هو الأكثر ظهوراً لشكليته وسهولة إدراكه، ولما كان الاقتصاد هو عصب هذا الجانب المادي، اتخد كمعيار يوزن على أساسه حظ المجتمعات من التقدم والتخلف.

والمشاكل التالية التي سنتعرض لها يغلب عليها الجانب الاقتصادي بالرغم من مظهرها الاجتماعي عند البعض، والآن إلى هذه المشاكل:

١ - إدارة مشكلة الانفجار السكاني :

تحتل هذه المشكلة جزءاً كبيراً من الفكر التنموي وذلك لأنه في رأي الاقتصاديين أن هناك رابطاً قوياً بين التنمية والزيادة في السكان - فالقول عندهم إن الزيادة في الناتج القومي يجب أن تتفوق على الزيادة في أعداد السكان وإذا فاقت الثانية الأولى، فهذا يعني عدم القدرة على نمو الناتج القومي لأن الزيادة السكانية ستبتلي الزراعة في الناتج القومي ويتوقف بذلك نمو الدولة.

حسبت معدلات الزيادة السكانية في الدول النامية فوجدت أنها ستتضاعف خلال الثلاثين سنة القادمة، وسيبلغ عددهم أربعين بليوناً على مدى قرن من الزمان، حيث أن العدد قد بلغ ٢,٥ بليون في عام ١٩٧٠ م.

والخوف من هذه الزيادة أنها تحدث في المناطق التي توصف بالخلف أساساً، وهي المناطق التي يقل فيها معدل تزايد الإنتاج عن معدل تزايد السكان، وهي المجتمعات الزراعية الفقيرة، وهي المناطق التي تهددها المجاعات وتنتشر فيها الأمراض ويقل فيها التعليم.

كل ذلك خلق أبعاداً خطيرة ومتعددة تشمل بالإضافة إلى ما سبق ذكره مشكلة التشغيل وبقية الخدمات وهذه عوائق تقف في طريق التنمية.

والسؤال كيف تتمكن حكومات الدول النامية من حل هذه المشكلة؟ هل يكون ذلك بتحديد النسل أو تنظيمه كما يعبر أحياناً؟ أم بالهجرة أم بالتصنيع؟

فتتحديد النسل أو تنظيمه تقف أمامه حوايل منها المفهوم الديني لدى البعض، ومنها انتشار الجهل وقلة التثقيف ومنها المفاهيم المجتمعية السائدة في هذه المناطق بأن كثرة المواليد تعني أعضاء جددأ يعملون كأياد عاملة.

أما الهجرة فرغم أنها من أقدم الوسائل التي عرفها الإنسان إلا أن هناك

عقبات تحول دونها لاختلاف الحضارات واللغات ولقلة المهارة الفنية عند سكان المناطق المختلفة حين يذهبون لمجتمعات متقدمة صناعياً، ومنها بعد الاجتماعي والنفسي الناشيء من عدم القدرة على التأقلم والتكييف وطريقة تكوين العلاقات. أضاف إلى كل ذلك تدخل الدولة في حرية الهجرة سواء بالنسبة للبلد المهاجر إليه أو البلد الأصلي الذي تتم منه الهجرة.

أما التصنيع فهو أحد الاحتمالات الجادة في تنمية تلك البلدان إلا أنه يحتاج إلى جهود كثيرة من الإمكانيات المادية والفنية، كما يجب أن يتم ب بصيرة وتحفيظ وأعيين حتى لا تتعرض معه النظم الاجتماعية لهزات أو انتكاسات لأن التصنيع عملية مركبة يمتد أثرها إلى كثير من هذه النظم.

نقول ببقى التصنيع أحد السبل للتغلب على مشكلة الانفجار السكاني بإحدى ثلاثة طرق:

(أ) **الطريق الأول** : أن يؤدي التصنيع إلى زيادة الرخاء المادي فيدفع عن تلك البلاد شبح الماجاعات والفقر.

(ب) **الطريق الثاني** : أو أن يكون ذلك عن طريق تحرير المرأة وتعليمها ودخولها ميادين العمل وإكسابها مفاهيم جديدة بالنسبة لتحديد أو تنظيم النسل.

(ج) **الطريق الثالث** : أو أن يؤدي التصنيع إلى زيادة استغلال الإمكانيات البشرية في استغلال الإمكانيات الطبيعية وزيادة الموارد وتبادل الخبرات وتطوير وسائل الإنتاج وزيادته وعدالة توزيعه.

٢ - إدارة مشكلة الطعام :

تتصل مشكلة الطعام وتترابط مع مشكلة الانفجار السكاني، حيث إن عدم التوازن بين عدد السكان والموارد الغذائية المتاحة لإطعامهم يولد ما يسمى بالفجوة الغذائية - وهذه الفجوة أكثر ما تكون اتساعاً في البلدان النامية لعدم قدرتها على إنتاج ما يكفي حاجتها من موارد غذائية إما بسبب المناخ أو بسبب التخلف.

أورد الدكتور فضل الله في كتابه إدارة التنمية أن الفرد يحتاج إلى ٩٠٠ من الهكتار بمستويات استصلاح المنتجات الزراعية الحالية في الولايات المتحدة. فإذا استمرت أنماط الاستغلال الحالية فإنه يلزم استصلاح ٦,٣ بلايين هكتار في عام ٢٠٠٠ - أي حوالي ١٥ بلايين فدان للاستصلاح الزراعي إذا أردنا أن

نوفر المستوى الحالي للمعيشة في الولايات المتحدة للبلائيين السبعة الذين سيشكلون جملة سكان العالم في عام ٢٠٠٠م (٦).

ورغم تهويل هذه الأرقام نجد أن علماء الزراعة يجهرون القول بأن الأرض قادرة على إعالة أبنائهما كثروا فوقها. وفي هذا الخصوص يقول أحد الزراعيين: «وفي أغلب الأحيان فإن وجهة النظر المتفائلة فيما يختص بالإمكانيات العالمية وقدرتها على الوفاء بالإنتاج الغذائي وبزيادته كانت تصدر عن العلماء الزراعيين. أما وجهة النظر المتشائمة فكانت تصدر عن غير الزراعيين» (٧).

وحتى تتحقق هذه النظرة المتفائلة فلا بد من تطوير الوسائل والأساليب العلمية الزراعية، ولابد من دعم وتشجيع والقيام بالابحاث الخاصة بالزراعة وبالتربيه وما يتعلق بهما... ويطلب ذلك ضمن أشياء أخرى المال والتعليم - ومن أين للدول النامية بذلك؟ فلا المال لديها ولا التعليم، وحتى إن وجد المال فأغلبه يذهب للتسلح أو لخدمة وسداد الديون. وإذا تركنا الأرقام تتحدث في هذا المجال فإننا سنرى ستر العجب ولا بأس من إيراد بعضها:

إذا قارنا الزراعة وما يقابلها من صرف التسلح فإننا نجد أنه لو تنازلت دولة واحدة من الدول النووية عن إنتاج صاروخ ترايدنت واحد (وهو يكلف ٤٠٠ مليون دولار حسب تقديرات ١٩٨٤) لتمكن العالم الثالث من شراء ٥٠٠ ألف الجرارات الزراعية، إذ ٢٥٠٠ جرار زراعي تكلف حوالي ٥٠ مليون دولار.. فكم من الجرارات يمكن شراؤها بمبلغ ٤٠٠ مليون دولار؟

كما نجد أن تكلفة ١٠ طائرات من طراز إف ١٦ تبلغ حوالي ١٨٨,٠٠٠ مليون دولار، بينما تحتاج زراعة وتعمير عشرة ملايين هكتار إلى مبلغ ٢,٥٠٠ مليون دولار!

كما نجد أنه وفي عام ١٩٨٦م بلغ إجمالي الصرف على التسلح ألف بليون دولار وهو رقم يوازي ضعف الناتج القومي لأفريقيا مجتمعة، وحوالي ٨٣٪ من الناتج القومي لأقطار أمريكا اللاتينية ويعادل ٧٢,٥٪ من الناتج القومي للأقطار النامية في آسيا مجتمعة.

إذا تتبعنا لغة الأرقام ولجانا لتكسير مبلغ ألف بليون (البليون يساوي ١,٠٠٠ مليون) لوجدنا أن صرف العالم على التسلح للفترة ذاتها كان كالتالي: كل يوم ٢,٧٤٠ مليون دولار - كل ساعة ١١٤ مليون دولار وكل دقيقة ١,٩ مليون دولار (٨)!!.

پژوهش و دراسات

إضافة إلى الصرف على التسلح، فهناك الديون وخدمتها التي أغرفت البلدان النامية. وحسب تقرير اللجنة الاقتصادية التابعة للأمم المتحدة فإن ديون الدول النامية قد تفاقمت خلال عام ١٩٨٧ لتصل إلى ١,١٩ تريليون دولار بزيادة قدرها ٧٠ مليار دولار عن عام ١٩٨٦.

وبحسب تقرير اللجنة نفسها فإن البلدان النامية قد دفعت خلال السنوات الأخيرة ٣٠٠ مليار دولار كفوائد و٥٢٦ مليار دولار من رأس مال الديون - كما نجد أن دول أمريكا اللاتينية دفعت وحدها إتاوة ١٠٦ مليار دولار لدائنيها - ويقول المحللون إن هذه المبالغ كانت كافية لبناء ٢٥٠٠ مدرسة تسع ٤٠ مليون طفل في القارة هم الآن محرومون من إمكانية التعليم.

إن عواقب هذه الديون مأساوية حقاً - فالبؤس يحتاج هذه البلدان النامية ومعدل دخل الفرد فيها بوجه عام أقل بإحدى عشرة مرة منه في البلدان المتقدمة، وإذا لم يتغير هذا الوضع فإن الديون الخارجية على البلدان النامية ستبلغ في بداية القرن القادم ثلاثة بلايين من الدولارات.

إن مشكلة الطعام لا تكمن في شح الأرض بقدر ما تكمن في قلة المال - فتطوير وسائل الإنتاج الحالية واستخدام الأسمدة وتكتيف الإنتاج الزراعي رأسياً واكتشاف بدائل جديدة وتحسين نوعية البذور والمحاصيل الزراعية، كل ذلك يؤدي في النهاية إلى إنقاص حجم الأرض المطلوبة للزراعة ويزيد من الإنتاجية. وعلى فلو استطاعت الدول النامية الحصول على رأس المال والمعرفة التكنولوجية لقل خطر أزمة الطعام فيها وأمكانها التغلب على هذه المشكلة.

٣ - إدارة مشكلة الفقر :

وما الفقر سوى عدم المقدرة على توفير الطعام والشراب والمأوى والكساء وقلة الإنتاج وقلة الدخل وسوء توزيع الدخل والجهل والمرض... إلى آخر القائمة السوداء.

على نطاق العالم الثالث فلإن حوالي ١٤٠ ألف عاطل عن العمل جديد ينضمون يومياً إلى ما يقدر بحوالي ٧٠٠ مليون شخص يعيشون في ظروف فقر مدقع في البلدان النامية مشكلين ٤٠٪ من مجموع السكان.

وتشير التجربة التاريخية إلى أن الفقراء من السكان قلما يساهمون بنصيب يذكر في عمليات التنمية وذلك لافتقارهم إلى الأصول الإنتاجية المولدة للدخل كالأرض ورأس المال والمعرفة والمهارات.

وقد اختلف المفكرون في مسئولية الفقر. فالرأسماليون يحملون الفرد الفقير مسئولية فقره لأنه لم يستثمر مواهبه ولم يستغل الفرص المتاحة له - أما الاشتراكيون فيعتبرون الفقر خطيئة اجتماعية تقع مسئوليتها على الدولة وعلىها تحملها.

وعلى أساس هذه النظرة لمسألة الفقر جاء اقتراح القضاء على الفقر. فقد قال الاشتراكيون بأن الفقر هو في الأساس مشكلة إنتاج وللقضاء عليه لابد للدولة أن تتمكّن وسائل الإنتاج والتوزيع. وقال الرأسماليون بأن الفقر هو في الأساس مسألة توزيع يكرر القضاء عليه باللجوء إلى ناميكيّة قوى السوق. واتفق الجميع بأن الفقر في الدول النامية هو مسألة إنتاج وتوزيع معاً.

وأيًّا كانت النظرة وأيًّا كان تبريرها، فالفقر حقيقة واقعة تعاني منها الدول النامية أشد ما تعاني - والفقر وإن كان موجوداً أيضاً في بعض الدول المطورة، إلا أنه يبقى نسبياً كما يبقى الاختلاف في الدرجة بينها وبين الدول النامية.

وفي هذا الخصوص فإن الفقير في الدول الغنية يسكن ويأكل ويشرب ويقتني سيارة ويتجول في حدائق البلديات، أما الفقير في الدول الفقيرة فخياراته قاسية. فإذا كان الخيار بالنسبة للأول بين أن يأكل لحم خنزير أم لحم بقرى، فإن الخيار بالنسبة للثاني هو في أن يأكل أو أن يموت جوعاً. فالأطفال في البلدان النامية يموتون نتيجة للفقر وسوء التغذية قبل أن يبلغوا عامهم الأول.

وبينما نجد أن خط الفقر (الحد الذي تبدأ فيه المعاناة المعيشية) يقدر في أمريكا بـألف دولار شهرياً، وـ٥٠% أساسه يعتبر أن أقل من ١٠٪ من سكان الولايات المتحدة فقراء، نجد في مصر مثلاً أن الأسرة محدودة الدخل الذي لا يتعدى دخلها خط الفقر (وهي الأسر التي يسمح دخلها بالكاد بالحصول على احتياجاتها من الوجبات الغذائية الشعبية) قد وصلت في الريف إلى ٤٢٪ من إجمالي حجم الأسر، وفي الحضر بلغت ٤٤٪ وذلك في عام ١٩٨١م. أي أن إجمالي نسبة العائلات الفقيرة (وليس الأفراد) في مصر وصل إلى ٤٤٪، وقد زادت هذه النسبة في ١٩٨٤م لتصل إلى ٤٩٪ من مجموع السكان.

وقد زاد من تفاقم مشكلة الفقر في البلدان النامية انخفاض القدرة الشرائية لديها إما بسبب الانخفاض الحاد في أسعار المواد الأولية والخامات التي تنتجهما هذه الدول وتبعها إلى الأقطار المطورة أو بسبب تناقل أعباء خدمات الديون الخارجية كما أسلفنا أو بالإثنين معاً.

وينبغي للخروج من هذه المشكلة أن تهب المنظمات والمؤسسات الدولية وتنتضافر جهودها إلى إعانة بلدان العالم الثالث على تطوير سياسات وبرامج تنمية تأخذ بعين الاعتبار أولوية مشكلات الفقراء وفي الوقت نفسه حمايتهم من الآثار السلبية التي تشمل عادة خفض الإنفاق العام على الخدمات في مختلف الميادين. فلو رفعت البلدان الصناعية مساهماتها في مساعدات التنمية إلى ١٠٪ من ناتجها القومي الإجمالي كما اقترحت منظمة الأمم المتحدة للتربية والتنمية (أونكتاد) بدلاً من نسبة ٥٪ الحالية لأصبح ممكناً مواجهة مشكلة الديون العالمية المرعيبة والتفاقم الخطير لمعدلات البطالة والفقر وذلك لتدخل العلاقة بين أزمة الديون والبطالة والفقير.

٤ - إدارة الاستثمارات والمدخرات

من بديهييات القول أن التنمية في الدول النامية تستدعي ضرورة زيادة معدلات إجمالي الاستثمارات والإدخار لدفع عجلة النمو. لكن واقع الحال يقول بأن جملة الاستثمارات المحلية في الدول النامية هو الآن أقل مما كان عليه في ١٩٦٠ - ويرجع ذلك أساساً إلى ضعف الموارد الأجنبية إضافة إلى انخفاض المدخرات المحلية وذلك بسبب استمرار انخفاض معدلات الدخول.

وقد أرجع د. عجمية^(٩) في كتاب مذكرات في التنمية والتخطيط الصعبوبات التي واجهت الدول النامية الفقيرة في زيادة مستويات الاستثمار فيها إلى ندرة طبقة المنظمين وطبقية الإدارة العليا وصعوبة زيادة المدخرات عند مستويات الدخول الدنيا، إضافة إلى المصاعب التي تحيط بالتعرف بدقة على المشروعات المريحة في الدول شديدة الانخفاض في الدخل. ومن الأسباب التي ذكرها أن المشروعات الحكومية في بعض الحالات لا تحقق الفوائض الذرية المقدرة وذلك بسبب أن هذه المشروعات كان عليها أن تحقق أهدافاً اجتماعية واقتصادية أخرى مثل امتصاصها لعدد كبير من قوة العمل الفائضة ومحاولتها الحفاظ على مستويات أسعار منخفضة لسلع رئيسية إضافة إلى ما تتصف به من إهمال وتکاسل - كما أن معظم الحكومات لم تنجح في ضغط النفقات حتى تستطيع تحقيق فائض أكبر من المدخرات العامة بل على العكس من ذلك يلاحظ تزايد واضح في الاستهلاك العام.

أما بالنسبة للاستثمارات الأجنبية فإنها ليست أحسن حالاً من الاستثمارات المحلية. فلم تجن البلدان النامية ثمرة الاستثمارات الأجنبية لأن حصيلتها منها أقل بكثير من أرباح الشركات الأجنبية بحيث يزيد تدفق الأموال خارج هذه

الدول عن حجم الاستثمار الأجنبي الداخل إليها، وتكون النتيجة عكسية على درجة النمو ودرجة الأدخار المحلي ونسبة رأس المال للإنتاجية ومستوى الاستثمار وميزان المدفوعات للدول النامية.

وإذ نكتفي بهذا القدر من المشاكل المتعلقة بإدارة الاقتصاد والتنمية في البلدان النامية بعد أن نالت استقلالها - لا نكون قد أحصيناها عدداً - فهناك دون شك صعوبات ومشاكل أخرى لم تتعرض لها بحيث أن المجال لا يسعها كلها.

ثانياً : مشاكل الأجهزة الإدارية والتنفيذية :

أوردنا فيما سبق أن جميع الدول النامية قد ولدت وهي مثقلة بالخلاف الشامل : الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والتعليمي والثقافي إضافة لاحمال ضخمة من الفقر والجهل والمرض - وكل ذلك كان بسبب الاستعمار أو التجزئة والتشتت أو بسبب افتقارها للموارد الطبيعية أو كل هذه الأسباب مجتمعة.

ومن الطبيعي والحال كذلك أن ترث هذه الدول نظماً إدارية متخلفة أيضاً وغير قادرة على القيام بتحقيق التنمية الشاملة رغم أنه وبالضرورة المرحلية يفترض أن تكون هذه الإدارات إدارات تنمية في المقام الأول باعتبارها الإدارة التي تحقق وظيفة الدولة في تحمل أعباء التنمية الشاملة.

ونتيجة ذلك أن عجزت أجهزة وتنظيمات الإدارة في هذه البلاد عن القيام بوظائف الدولة في فترة ما بعد الاستقلال بسبب عدم وجود الكفاءة الوظيفية لأن أغلب الوظائف الهامة وجميع الوظائف القيادية كانت بيد المستعمر، فلما تحقق الاستقلال أخل المستعمر تلك الوظائف ولم توجد كفاءات وطنية لشغلها في نفس الوقت.

وقد أصبح الموقف بعد الاستقلال في غاية التعقيد حيث لم تكن المشكلة هي إيجاد جهاز إداري مقدر فحسب، بل إن المشكلة هي في اجتثاث الجذور القديمة الفاسدة للبيروقراطية القديمة بأبعادها العميقة في مفاهيم المجتمع حيث أن الاستعمار قد أقام الجهاز الإداري لخدمته وتحقيق أغراضه فقط من خلال وظائف معينة تتفق و سياسته.

إذن فلابد من خلق جهاز إداري يتلاءم مع فترة ما بعد الاستقلال لتدعم him هذا الاستقلال أولاً ثم للوفاء بوظائف الدولة الحديثة النامية وإذا كان الجهاز الإداري الكفاء مطلوباً في جميع الدول المتقدمة، فهو أكثر أهمية وخطورة في الدول النامية لكونه هو الذي يتحمل عبء تحقيق التنمية حتى إن الإدارة العامة في هذه الدول قد سميت بإدارة التنمية أو إدارة التطور.

فهل نجح الجهاز الإداري الكومي في الأضطلاع بمهامه وواجباته هذه؟ الإجابة كلاماً... فما هي الأسباب يا ترى؟

في تحليله لهذه المشكلة أورد الدكتور إبراهيم درويش (١٠) بأن الأنظمة الإدارية في مجموعة الدول النامية التي كانت تحت الاستعمار قد ارتبطت بالدول المستعمرة من حيث البناء والتنظيم والوظيفة والأداء. وقد أوجد الاستعمار هذه الأنظمة الإدارية لغرضين:

١ - تكوين بيروقراطية قوية يعتمد عليها في حكم المستعمرة وتحقيق سلطة الاستعمار والاحتلال.

٢ - تكوين بيروقراطية مدربة تدريباً قوياً على الإدارة الاستعمارية لتحقيق أهداف الاستعمار وتنفيذ السياسة الاستعمارية. ولم يكن كل ذلك من أجل تلك البلاد المنكوبة، بل لتمكن المستعمر من البقاء فيها أطول مدة ممكنة كما حدث بالنسبة للاستعمار الإنجليزي في الهند ومصر والسودان وللاستعمار الفرنسي في الجزائر على سبيل المثال لا الحصر.

ونتيجة لذلك فقد ارتبطت الدول النامية بالاستعمار في مرحلة ما قبل الاستقلال، وقد ورثت من ثم بيروقراطية معقدة غير مهيأة بأية صورة للوفاء بتحقيق التنمية في فترة ما بعد الاستقلال. بل لم تكن قادرة أصلاً على أداء الوظائف العادلة للدولة لأسباب كثيرة لعل أهمها وجدت لخدمة أهداف الاستعمار وتحقيق سياساته وأنها غير مدربة وفتقر إلى الكفاءات كما تفتقر إلى الوسائل والأساليب الحديثة للإدارة. بجانب أن الاستعمار قد سحب مواطنيه من المراكز القيادية الإدارية في هذه الدول بل وبعض الخبرات الوطنية أيضاً لضعف هذه الدول أكثر وأكثر وإذلالها كي تطلب الخبرة الأجنبية وبثمن باهظ قد لا تستطيع تحمله. وهذا يزيد من ضعفها ويعقد مشاكلها ويزيد من حجم الصعوبات التي تواجهها. ولهذا السبب وجدنا أن الدعوة للإصلاح الإداري والوظيفي وإعادة التنظيم وإصلاح مساؤه في الدول النامية قد ارتبطت بالصراع ضد الاستعمار وبظروف ما بعد الاستقلال وبظروف تحمية تحقيق التنمية الشاملة.

ومن مجمل التحليل السابق تتضح ملامح الأنظمة الإدارية والتنفيذية للدول النامية بعد الاستقلال رغم اختلاف الدرجة من دولة لأخرى وذلك وفقاً لظروف كل دولة وإمكانياتها والرواسب التي ورثتها في فترة ما قبل الاستقلال والمساعدات والخبرات المتاحة لها..

نجد هذه الملامح من خلال تكسد العاملين في الأجهزة الإدارية ومن التمسك

بحرفيّة القانون بل والتحايل عليه، كما تظهر من خلال صور الإهمال والمحاباة والواسطة والمركزية الشديدة وإضفاء طابع السرية دون مبرر على العمل الإداري، والاعتماد على غير الكفاءات في القيادات الإدارية مما نتج عنه التعقيد والروتين والبعد عن استعمال الوسائل العلمية الحديثة في الإدارة والجنوح نحو النمطية والبيروقراطية السلبية.

الآن وقد استعرضنا مشاكل الأجهزة التنفيذية والإدارية، وقبلها تعرضنا للمشاكل الاقتصادية المتعلقة بإدارة الاقتصاد فرأينا كيف أنها قد تتنوع وتعدّدت وشملت جوانب شتى بحيث أدت في نهاية المطاف إلى الضغط على الجهاز الإداري الحكومي فكبنته وقيادته حتى بدا واضحًا للعيان حجم التناقض بين الواقع الذي تعشه الأجهزة الحكومية الإدارية وهي بهذا الوضع والتوقعات الطموحة لمواطنيها في تحقيق تنمية شاملة وسريعة تمحو آثار المستعمر البغيض وتضع تلك الدول في مسار التقدم والنمو.

ونحن نختم هذه الدراسة يجدر بنا أن نشير إلى أنه يجب لا نكتفي بذكر السلبيات والأمراض بل ينبغي أيضًا أن نقترح العلاج والحلول... وهذا ما سنجيب عليه من خلال دراسة قادمة إن شاء الله.

الهوماش

- (١) أنظر د. فضل الله علي فضل الله، إدارة التنمية : منظور جديد لمفهوم التحديث، المطبعة العربية، دبي، ١٩٨٥.
- (٢) المرجع السابق..
- (٣) التقرير الاستراتيجي العربي، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، القاهرة ١٩٨٦ م.
- (٤) أنظر المصدر نفسه، ص. ك.
- (٥) د. عامر الكبيسي: الإدارة العامة والتنمية بدولة الإمارات العربية المتحدة، الواقع والطموح، مطابع دار الخليج، ص ٢٢٥.
- (٦) د. فضل الله علي، إدارة التنمية، مرجع سابق، ص ١٧٩.
- (٧) د. محي الدين صابر: التغير الحضاري وتنمية المجتمع، منشورات المكتبة العصرية بيروت، ص ٢٠٠.
- (٨) جريدة الأيام السودانية - العدد ٦١٢١ بتاريخ ١٢/٩/١٩٨٧ م، ص ٤.
- (٩) محمد عبد العزيز عجمية وأخرون، مذكرات في التنمية والتخطيط، دار النهضة العربية، بيروت، ص ٢٠٥.
- (١٠) إبراهيم درويش: الإدارة العامة في النظرية والممارسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ١٩٧٨، ص ٢٥٦ - ٢٥٨.

صدر للآن عن جمعية الاجتماعيين

أول كتاب في
“سلسلة الدراسات الاجتماعية”

ظاهرة هناء الأحداث
في مجتمع الإمارات

ظاهرة هناء الأحداث في مجتمع الإمارات

أحمد راشد عن ظاهرة هناء الأحداث
أشمل دراسة صدرت في الإمارات

الكتاب متوفّر في المكتبات

بوريع

مؤسسة بيار للصحافة والطباعة والنشر

ص.ب : ٢٧١٠ - هاتف : ٤٤٤٤٠٠

دبي - الإمارات العربية المتحدة



بحوث ودراسات

ديناميات شخصية المدمن
دراسة لثلاث حالات بقسم
الأمراض النفسية بمستشفى راشد بدبي

د. محمد هويدى*

مقدمة :

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أهم خصائص ديناميات الشخصية للأفراد الذين اعتادوا على تعاطي المخدرات والخمر، وذلك من خلال عرض لثلاث حالات تم اختيارها من قسم الأمراض النفسية بمستشفى راشد بدبي بحيث يمثلون ثلاثة حالات متنوعة في نوع المادة المخدرة: هيرoin وحبوب مخدرة وخمر.

وقد تم اختيار مادة الهيرoin بالذات لدراسة من اعتادوا على تعاطيها نظراً لما تشير إليه إحصاءات

* جامعة الإمارات العربية المتحدة - الشارقة

* قدم هذا البحث في الندوة العلمية الأولى حول المخدرات في مجتمع الإمارات التي نظمتها جمعية الاجتماعيين بالتعاون مع اللجنة الوطنية لمكافحة أضرار المخدرات والمسكرات في الشارقة ٢٤ - ٢/١٩٨٨ م.

وزارة الداخلية من التزايد السريع للكميات المصدرة من هذه المادة سنويًا، إلى جانب أنها تعتبر من المخدرات الخطرة في آثارها الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية، حتى أن بعض الباحثين^(١) يشير إلى ظهور ما يسمى «بمهنة الهايروين» بين العديد من معتادي التعاطي، ويقصد بهذه المهمة أو الوظيفة أن كل أنشطة المتعاطي وسلوكه وعلاقاته الاجتماعية تدور حول استخدام هذا المخدر، الذي يصبح محوراً لحياته، لدرجة تصل عند البعض إلى أن يكون الهايروين بديلاً عن الشراب والطعام والناس، وكأنه يعيش ليتعاطي الهايروين بدلاً من أن يتعاطى لكي يعيش، ولو بمفهوم ومضمون مرضي.

أما الحبوب المخدرة في نتاج العلم الحديث، وهي مثال لكيفية إساءة استخدام اكتشافات العلماء التي تم التوصل إليها من أجل تطور الإنسان وتحقيق رفاهيته باستخدامها من قبل البعض للإضرار بالإنسان وتدميره. والإنسان المعاصر لا يستطيع الاستغناء عن الأدوية والعقاقير. فكم أنقذت أفراداً من الموت ولهم خفت من آلام وأوجاع. وكيف حققت القوة والصحة للبعض، ثم جاء تطور العقاقير النفسية لكي يضاف إنجازاً مثيراً للعلماء في مجال شخصية الإنسان وسلوكه، وحققت هذه العقاقير بعض أحلام الإنسان في الجانب النفسي منه. والحالة التي نقدمها لمعتاد تعاطي الحبوب المخدرة تكشف عن العلاقة بين طبيعة ديناميّات شخصية الأفراد الذين ينشأ الطفل بينهم ومن خلالهم وبين إدمان هذه الحبوب كوسيلة للاستمرار في الحياة.

أما الخمر فهي من أقدم أنواع المخدرات التي عرفها الإنسان في تاريخه المكتوب، ولا يوجد مجتمع في هذا العالم يخلو من إنتاج أو استيراد الخمور، فهي آفة الأفراد والمجتمعات منذ القدم، لذلك فهي المادة المخدرة الوحيدة التي حرمتها الله تعالى بشكل صريح ومحدد في القرآن الكريم». والحالة التي تعرضها من نوع الإدمان الحاد الذي يتعاطي الخمر طوال اليوم ولفترات طويلة، ولا يتوقف إلا بنقله إلى المستشفى. إنها تمثل الدائرة المفرغة التي يدور فيها مدمن الخمر، الشعور بالللاقيمة والقصور والضياع، الشعور بالعدم في عالمه الداخلي والخارجي حيث تأتي الخمر لإنقاذه من كل ذلك.

إن أحد أهم الآثار الضارة للاعتماد على المخدرات أنها تقنع المتعاطي بسحر الكيمياء، حيث إنه يشعر بالتجربة أن مشاكله النفسية لها حلول كيميائية، إن تعاطي المادة المخدرة، إنه يرى إمكانية تحقيق حياة نفسية سهلة وأفضل، ويستطيع تجنب مواجهة المشاكل والصعوبات والألام عن طريق الكيمياء، وليس

پژوهش و دراسات

عن طريق ممارسة الحياة نفسها ومعايتها. إنه يحقق بطريقته السحرية ما فشل في تحقيقه في حياته الواقعية، وي Shirley عن إشباعه من حاجات من خلل الارتباط والانتماء لمجتمع وثقافة المتعاطفين (٣).

والأسئلة التي ستحاول هذه الدراسة الإجابة عنها هي :

- ١ - كيف بدأت مشكلة الإدمان لدى الفرد، وكيف تطورت؟.
 - ٢ - ما هي الأسباب والدوافع التي أدت بالفرد إلى الإدمان؟.
 - ٣ - ما هي الخصائص المميزة لديناميات شخصية المدمن؟.

وقد وضع الباحث شروطاً ثلاثة يتم على أساسها اختيار الحالة في البحث، هي:

(١) أن يكون من المواطنين الذكور في دولة الإمارات، حيث إن الاحصاءات تشير إلى ندرة أو عدم وجود الإناث بين معتادي تعاطي المخدرات في دولة الإمارات، إلى جانب أن هناك من الدراسات والبحوث ما يشير إلى دور العوامل الثقافية والاجتماعية في انتشار التعاطي في المجتمع. لذلك فإن دراسة غير المواطنين قد تعرض الباحث للخطأ في تفسير بعض هذه العوامل بحكم عدم معايشته المباشرة لثقافة ومجتمع غير المواطنين.

(ب) أن يتعاطى الفرد المخدرات أو الخمر يومياً، بغض النظر عن عدد مرات التعاطي، ولدة سنة واحدة على الأقل بشكل مستمر. وذلك لأن خصائص الشخصية ودينامياتها للشخص الذي يتعاطى المخدر بشكل متقطع أو في بعض المواقف والمناسبات الاجتماعية فقط تختلف عن تلك الموجودة لدى المتعاطي اليومي. فهناك شرطان لابد منهما لاعتبار الشخص معتاداً على التعاطي، الأول هو الحاجة المتزايدة للجسم لجرعات مستمرة من المخدر للوصول إلى نفس الآثار والمشاعر الناتجة عن التعاطي، والشرط الثاني هو ظهور الأعراض الانسحابية المعروفة عند الانقطاع عن تناول المخدر، وذلك نتيجة للاعتماد الفسيولوجي والنفسي عليه.

(ج) أن تبدأ دراسة الحالة بعد انتهاء مرحلة الأعراض الانسحابية، حيث تظهر هذه المرحلة مجموعة من الأعراض الجسمية والنفسية التي تغير من الصورة ال葵ينيكية للمتعاطي، وقد تعطي لنا خصائص وдинاميات تعبر عن هذه المرحلة وليس عن المتعاطي. مع ملاحظة أن البناء النفسي والديناميات لن تختلف بمجرد التوقف عن التعاطي نتيجة التدخل العلاجي، فنحن نتحدث عن

تكوينات داخلية عميقة تحتاج إلى أساليب علاجية متنوعة وإلى فترة زمنية طويلة حتى يحدث التغير المنشود.

وقد قام الباحث باستخدام ثلاثة أدوات لجمع البيانات عن حالات الدراسة، هي الاستبار الأكلينيكي واختبار تفهم الموضوع واختبار رورشاخ لبقع الحبر. وكان الهدف من الاستبار جمع معلومات حول ظروف ودوافع بدء التعاطي ومراحل تطوره، ثم عن مسيرته الدراسية والمهنية، ثم عن أفراد أسرته وخاصة الوالدين، ونوعية الأصدقاء في مراحل حياته المختلفة، ثم أهم الخبرات والمواضف ذات الدلالة النفسية خلال مرحلة الطفولة والراهقة.

أما بالنسبة لاختبار تفهم الموضوع فقد تم اختبار إحدى عشرة بطاقة هي:
١ - ٢ - ٤ - ٦ - ٧ - ٨ - ١٠ - ١١ - ١٣ - ١٨ نظراً لما كشفت عنه الدراسات الخاصة بالاختبار (١٢) عن أهمية هذه البطاقات في إعطاء صورة متكاملة عن أهم أبعاد شخصية المفحوص. كما تم اختيار اختبار رورشاخ للكشف عن الجوانب الأكثر عمقاً في الشخصية وعن الحاجات الوجودانية الأساسية (٩، ٨).

وقد تم جمع المادة من كل حالة من خلال ٢ - ٤ جلسات، كل جلسة تستغرق حوالي ساعة ونصف، وتم التزام الباحث بترتيب واحد لكل الحالات، حيث بدأ بالاستبار الأكلينيكي ثم اختبار تفهم الموضوع وأخيراً اختبار الرورشاخ. وفيما يلي عرض لهذه الحالات.

الحالة الأولى :

حسين، يبلغ من العمر ٢٥ عاماً، غير متزوج، ترك الدراسة في منتصف الصف الثالث الإعدادي، عاطل حالياً بعد الالتحاق بوظيفتين، استقال من الأولى على أثر مشاجرة مع مديره بسبب نقله إلى مدينة أخرى، وفصل من الوظيفة الثانية بسبب تعاطيه الهيرويين.

الأب توفى منذ حوالي عشر سنوات عن عمر يناهز السبعين، وكان يعمل تاجراً، والأم ربة منزل وغير متعلمة، له أخان وأربع أخوات، وترتبه في الأسرة الأوسط.

بدأ التعاطي في حوالي سن الخامسة عشرة عندما ذهب لأول مرة مع ابن خالته المدمن على الخمر حيث شرب علبتين من البيرة، وتزايدت كمية البيرة وعدد المرات إلى أن أصبح بعد سنتين يتعاطى ٦ - ٨ علب يومياً، ثم زادت إلى ١٢ علبة يومياً إلى جانب تعاطي نوع من الخمور اللبنانية. وبعد انضمامه لمجموعة

بحوث ودراسات

من مدمني الخمر والحسيش تعلّم تعاطي الحشيش بعد تدرج سريع إلى تعاطي ١٠ - ١٢ سيجارة حشيش يومياً، مع استمرار تعاطي الخمر.

ومنذ حوالي ثلث سنوات بدأ في الاعتماد على الهيروين حيث أدمى عليه بعد أسبوع من استخدامه لأول مرة، وتدرج في شم الهيروين إلى أن وصل إلى استخدام ٤ - ٥ جرامات يومياً، ثم بدأ في تعاطي الهيروين عن طريق الحقن وتدرج إلى متوسط عشر حقن يومياً. وخلال ذلك انخفض تعاطيه للبيرة والحسيش.

وإلى جانب إدمانه على الهيروين قام بالمتاجرة فيه، حتى أمسكت به الشرطة وحكم عليه، وأمضى في السجن عاماً واحداً أفرج عنه بعفو من الحاكم، وبعد الخروج من السجن عاود الإدمان والاتجار في الهيروين إلى أن ذهب إلى المستشفى بإرادته طلباً للعلاج.

بدأت مسيرة الآلام في حياة صديقنا بصدمة نفسية شاملة اهتز لها بناؤه النفسي الهش، وبدأ علىثرها أولى خطواته في طريق الاعتماد على المخدرات حتى وصل إلى تعاطي عشر حقن هيروين يومياً. هذه الصدمة النفسية هي وفاة الأب نتيجة إصابته بمرض في القلب وقد بلغ من العمر سبعين عاماً.

حدثت الوفاة «وحسين» في منتصف العام الدراسي من الصيف الأول المتوسط في المدرسة الصناعية (الخامس الابتدائي الآن) والتي انتقل إليها بعد انتهاء المرحلة الابتدائية، وبعد الوفاة اهتز مستوى الدراسي، والذي كان متواصلاً منذ البداية، ورسب ثم نجح في العام التالي، واضطربت مسيرته الدراسية بعد ذلك حيث تكرر رسوبيه في أكثر من صف دراسي حتى ترك الدراسة نهائياً - في الصف الثالث الإعدادي وقبل انتهاء العام الدراسي - سعياً وراء المال الذي احتاجه لتغطية تكاليف تعاطي الخمر والحسيش اللذين كان قد اعتاد عليهما.

في عام الوفاة هذا يقول حسين «كان في واحد أعرفه من الفريج»، وكان عايد السنة، وخلالني أخرج معاه من المدرسة، نروح نصيد سمك وطيور وبعدين نروح البيت». وفي نفس العام «اتعلمت السجاير من أصحابي في الفريج». وفي العام التالي «... اتعرفت على مجموعة من التلاميذ المشاغبين في المدرسة، وكنا ندوخ في المدرسة ونهرب... كنت أحضر ٣ حصص بس وأطلع من المدرسة أشرب سجاير» وفي العام التالي للوفاة «... كان ابن خالي بيشرب خمر، وفي يوم رحت معاه وشربت علبتين بيرة... كنا شلة بنروح سوا ٢ مرات في الأسبوع. وتسارعت خطواته في الطريق بعد ذلك.

هل كانت وفاة الأب هي السبب المرسب الذي أدى إلى هذا الانحراف في طريق الإدمان؟ يقول حسين «... لغاية الصف الرابع الابتدائي كنت عادي خالص، أروح المدرسة كل يوم، وأحضر الدروس كلها، وفي البيت أعمل الواجبات اللي على «فهل حقيقة كان «عادي خالص»، وما هي طبيعة علاقته النفسية بأبيه؟.

كان الأب يعمل تاجراً في دولة خليجية ولمدة عشرين عاماً متصلة، وكانت عائلته تقيم في الإمارات طوال هذه الفترة، ورغم وجوده في دولة قريبة نسبياً إلا أنه لم يكن يأتي لزيارة عائلته إلا مرة واحدة كل عام، ويكتفي بإرسال المصاريف الشهرية لهم.

وبعد هذه الفترة الطويلة عاد واستقر في الإمارات مع أسرته، وكان حسين في ذلك الوقت قد بلغ الخامسة من عمره، وقضى مع أبيه حوالي تسع سنوات حيث توفي الأب وقد بلغ حسين الرابعة عشرة.

نلاحظ هنا غياب الأب خلال أهم مرحلة في بناء شخصية الإنسان، وهي السنوات الخمس الأولى، حيث يتفق علماء الشخصية على اعتبارها الفترة التي تحدد فيها الجذور العميقه والأساسية للشخصية، والتي يصعب تغييرها بعد ذلك، ثم إن الوفاة حدثت مع بداية المراهقة، وهي المرحلة التالية في الأهمية في تكوين الشخصية. ومعنى هذا أن حسين قد تكونت وتحددت أبعاد شخصيته في غياب الأب، ورغم إقامة الحال مع الأسرة وإشرافه عليها إلا أن دوره النفسي كان هامشياً في النمو النفسي لحسين. ويلعب الأب في حياة طفله الذكر دوراً بالغ الأهمية، فهو مصدر الحماية والسد والدعم الوجداني وفي نفس الوقت هو مصدر الأوامر والنواهي، وتكونين الضمير في حياة الإنسان يتم أساساً من خلال التوحد مع الأب الذي يمثل سلطة المجتمع وقيمه ومعاييره السلوكية (٦، ٥).

يضاف إلى هذا سمات شخصية الأب، يقول حسين «... كان حنوناً معاناً، وأوقات قليلة يتتعصب علينا، كان إنساناً طيباً.. كان ساكتاً، ما يتكلم مع حد، يطلع من المسجد للبيت ويطالع التلفزيون.. ما يدخل في مواضيع الناس». معنى هذا أن الأب يعيش في عالمه الداخلي النفسي أكثر مما يعيش في العالم الخارجي الواقعي، وقد يكون بعده المادي والنفسي الطويل عن الأسرة دعم لديه الإحساس بالغرابة وعدم القدرة على التفاعل الإيجابي مع أفرادها، فلنا أن نفترض أن هذا الأب قام بممارسة جانب واحد فقط من دوره النفسي وتناسي أو لم يستطع أن يقوم بالجوانب الأخرى الهامة باعتباره رمزاً للقيم والمعايير ومصدراً لتكوين

بحوث ودراسات

الضمير، ومن ثم فقد حل محله أفراد آخرون في حياة حسين، خاصة شلة الأصدقاء.

وكان من قدر حسين أن اختاره أبوه - سيكولوجيا - من بين إخوته جميعاً ليكون أقرب الأبناء إليه، يقول حسين «... كان يحبني، ودائماً يأخذني معاه السوق أو أي مكان يروح فيه... أنا بالذات». ثم تأتي شخصية الأم «... عايشة في البيت على طول، قليل لما تخرج... ما عندها شخصية... طيبة كثيراً من اللازم... بتصدق أي حاجة تسمعها».

هذه هي الصورة الوالدية التي نشأ من خلالها حسين في طفولته ومرافقته، حياة بلا معنى حقيقي وأصيل، بلا أهداف، اللهم تربية الأبناء بالمعنى الضيق المحدود، وجود هامش في الحياة، علاقة ضعيفة مع العالم ومع الناس. ما هو شكل الهوية التي يستطيع حسين أن يكونها في ظل هذا النموذج النفسي، من يشبع له حاجاته الوجدانية العميقة، كيف تنشأ الثقة الأساسية في نفسه وفي العالم، ما هو نوع القيم والمعايير التي تكونت في أعماقه، ما مدى قوة الضمير لديه.

وتكشف استجابات حسين على الاختبارات النفسية عن الصورة اللاشعورية للأب المندمج داخله وعن علاقته النفسية اللاشعورية بمفهوم الأسرة، فالاب الداخلي ضعيف، فقير - نفسياً - حاضر غائب، بمعنى أن وجوده بين القوى النفسية الأخرى غير مؤثر أو فعال، يتعرض لضغط قوية وعدوان من البيئة لا يستطيع مواجهتها. وإذا حاول هذا الأب الداخلي التعبير السلوكى عن العدوان في موقف ما فإنه سرعان ما يتراجع عنه خوفاً من ردود الأفعال المتوقعة. بل نجد قلباً للأدوار في بعض المواقف حيث الابن هو الذي ينصح الأب ويوجهه.

أما الأسرة كما ظهرت في الاختبارات النفسية فهي موجودة غالباً في شكلها الخارجي فقط، وحتى هذا الشكل ناقص دائماً، حيث يغيب أحد ركنيها الأساسيين إما الأب أو الأم، والعلاقات الوجدانية بين أفراد هذه الأسرة النفسية سطحية ورسمية والدعم والحماية النفسية لبعض أفرادها يأتي من أشخاص من خارج الأسرة.

في ضوء هذه الصورة لماذا نعتبر إذن وفاة الأب بمثابة المرسib الذي أدى إلى الاعتماد على المخدرات، نلاحظ أولاً الارتباط الزمني بين هذه الوفاة وبداية مظاهر سوء التوافق، والذي ظهر في مسيرته الدراسية أولاً سوء في شكل الهروب من المدرسة أم الرسوب المتكرر، ثم ظهر في بدء تعاطيه الخمر. ثانياً

فإن هذه الوفاة أدت به إلى مواجهة الواقع النفسي المؤلم، إلى الشعور بذلك الفراغ الوجداني الداخلي، إلى الاعتماد على نفسه في إشباع حاجاته ورغباته الداخلية.

ثم إن توقيت الوفاة في حد ذاته كان عاملاً أساسياً بدوره حيث جاءت في بداية مرحلة المراهقة، وهي مرحلة تتميز باضطراب البناء النفسي للمراهق نتيجة للتغيرات الفسيولوجية والنفسية التي تحدث له، هي مرحلة البحث عن هوية واضحة لذاته، وهي مرحلة التمرد على السلطة سواء الوالدية أو الاجتماعية كمحاولة لإثبات الذات (٤).

ومع ضعف السلطة الوالدية عند حسين وضعف العلاقة الوجدانية بأسرته، ورغبته في الشعور بالانتماء وإشباع حاجته للتقدير من الآخرين كان لابد أن تبرز شلة الأصدقاء لإشباع وتحقيق هذه الحاجات والرغبات، وكانت كل الشلل التي انضم إلى عضويتها طوال حياته بعد ذلك تمارس سلوكاً سيكوباتيا.

في الصف الأول المتوسط «... اتعرفت على مجموعة من التلاميذ المشاغبين في المدرسة، كنا ندوخ في المدرسة ونهرب». وعندما بدأ في تعاطي الخمر «... كنا شلة بنروح سوا»، كما تعلم تعاطي الحشيش أيضاً عن طريق شلة جديدة «... اتعرفت على شلة بيشربوا خمر وحشيش وشربت معاهم سيجارة حشيش واحدة». وتطور الاعتياد على الحشيش إلى أن ظهر الهيروين «... مرة خلص عندي الحشيش ورحت لصديق أشتري منه، فقال مفيش، عندي حاجة أحسن تعال جربها». وكانت الهيروين. واستمر يتعاطى الهيروين يومياً ولدة عام ونصف حتى قبضت الشرطة عليه، وسجن لمدة عام واحد، ورغم انقطاعه عن التعاطي طوال مدة السجن إلا أنه فور خروجه: «... رحت اتفسح في المتنزه، قابلت صديق قديم وقال عندي ١٠٠ جرام هيروين وعايز أروجهم، لكن تعال أول نشرب». وأدمن مرة أخرى إلى أن ذهب إلى المستشفى للعلاج.

من هنا ندرك الدور الحيوي الذي يلعبه الأصدقاء في دفع الفرد نحو طريق التعاطي وفي تدعيم هذا السلوك، ولكن الأمر ليس بهذه السهولة التي قد تبدو فالفرد الذي ينضم لعصوية مثل هذه الجماعات يختارها بإرادته الشعورية أو اللاشعورية فهو في حاجة إلى هذه الجماعة إذ إنها تتناسب مع بنائه النفسي ومع حاجاته غير المشبعة، فماذا عن حسين فلنبحث عن الإجابة في الاختبارات النفسية.

تكشف استجابات حسين على الاختبارات النفسية عن قوة الحفظات البدائية الداخلية والتي تتطلب الإشباع الفوري والماضي، بحيث لا يستطيع الآنا - نظراً

لضعفه - على تحمل هذه الحفزات، فيذهب جزء كبير من طاقة الأنما لمحاولة المحافظة على تماسك الشخصية خوفاً من التفكك أو الانهيار في مواجهة هذه القوى الداخلية، وبالتالي فإن حسين منشغل بذاته أكثر ومتمركز حولها، يضاف إلى هذا وجود تأثيرات انفعالية قوية من البيئة الخارجية، ولكن الأنما ليست من الضعف بحيث لا يستطيع السيطرة على هذه الحفزات، فهو ليس مريضاً نهائياً، ولكنه يلجأ إلى تشكيل العالم الخارجي بناء على حاجاته الداخلية ورغباته الداخلية ثم يستجيب بعد ذلك لهذا العالم، مما يسهل هذه العملية النفسية أن العالم بالنسبة له محدود، فلديه فقر في إدراك هذا العالم، وينظر إليه نظرة ضيقة ونمطية، لا توجد لديه اهتمامات وأنشطة متعددة، علاقاته بالآخرين قليلة ومحدودة وسطحية، إلى جانب شعور داخلي بعدم الكفاءة.

مثل هذا البناء النفسي ودينامييات الشخصية تجد نفسها في مجتمع المتعاطفين، لذلك فحسين في حاجة إلى عضوية هذا المجتمع بقيمه واتجاهاته ومعاييره، فهو مجتمع يعيش أفراده من أجل إشباع رغباتهم البدائية وبطريقة فورية و مباشرة، تدور الحياة فيه حول المخدر سواء شراؤه، أو بيعه أو تعاطيه، فليست هناك اهتمامات أو ميول أخرى، مجتمع يقبل فيه كل فرد الآخرين بدون قيد أو شرط، ليست هناك أحكام قيمية أخلاقية أو اجتماعية على السلوك، شعاره وهدفه البحث عن اللذة المؤقتة بدون تأجيل أو كبت.

وإذا حاولنا تلخيص حياة حسين نجد الصورة التالية: نشأ في أسرة كبيرة العدد تعاني من ضعف السلطة الوالدية التي أتاحت له قدرأً كبيراً من الحرية في السلوك والتصرف في سن مبكرة، لم يتعلم كبت أو تأجيل إشباع حاجاته ورغباته بالدرجة الكافية، ف تكون لديه أنا ضعيف نسبياً وأنا أعلى أضعف، مما جعله يهتم وينشغل بعالمه الداخلي على حساب العالم الخارجي، توف أبوه في بداية المراهقة حيث كانت بينهما علاقة خاصة دون بقية الأسرة، بحث عن جماعة أصدقاء لتوفير الحماية والأمن النفسي للذين يحتاجها بشدة في بدء دخوله عالم الكبار، وإشباع حاجته إلى الانتماء والتقدير. كان مجتمع المتعاطفين هو الملاجأ والملاذ المناسب، فأن يصبح متعاطياً له كيانه ووجوده في هذا المجتمع أفضل من أن يصبح لا شيء في مجتمع الأسوياء، أن يصبح الهيروين محوراً لحياته أفضل من أن يصبح عاطلاً بلا هدف.

يقول حسين ملخصاً بكلماته لسيرة الآلام هذه «... تضائق من نفسي، حسيت أني لا شيء... ضاعت مني سنين بدون فائدة، كل يوم شارب... نائم...»

مشاكل فقلت ليه أسوى هالشكل، لازم أبطل حكاية الهايروين... أتعالج وأكون صاحي ونظيف، وأرجع للعمل... عشان أضمن مستقبلني».

الحالة الثانية :

خميس، يبلغ من العمر ٢٢ عاماً، غير متزوج، ترك الدراسة في الصف الثاني الثانوي صناعي، عاطل، له شقيقان واحد أكبر منه وأختان من الأم. توفي الأب أثناء حمل الأم به ثم تزوجت منذ حوالي ثلاث سنوات، زوج الأم يعمل ساعياً بإحدى الدوائر المحلية.

بدأ طريق الأدمان في سن الثالثة عشرة بتعاطي دواء «الكودايين»، وبعد ثلاثة٠ أشهر بدأ في تعاطي الحبوب المخدرة وتدرج من حبة واحدة إلى ٣٠ حبة في اليوم وخلال ذلك أدمى على الحشيش الذي وصل تعاطيه إلى متوسط ست سجائر في اليوم، ومنذ حوالي سنة بدأ في تعاطي الهايروين بمعدل ثلاث مرات في الأسبوع. وهو يتعاطى هذه المخدرات معاً، ولكن التعاطي اليومي المستمر مقتصر على الحبوب والحسيش.

تكشف هذه الحالة عن أن الاعتياد على تعاطي المواد المخدرة قد يكون هو السبيل الوحيد أمام الفرد لكي يظل إنساناً على قيد الحياة، حتى ولو بمعنى خاص وكيف يتمزق الإنسان في داخله وينسحق في أعماقه أمام قوى خارجية متناقضة - شعورياً - تتجاذبه بين أشد قسوة وعدوان وأقصى حب وحنان. وكيف أن هذين النقيضين يؤديان إلى مصير واحد، إلى الحيرة وعدم التيقن من ذاته ومن العالم، إلى إنسان بلا هوية واضحة، إلى صورة سلبية للذات. وتصبح المواد المخدرة هي السلاح المتواقر والمؤكد لإثبات وجوده ومكانته كما يراها، وللدفاع عن نفسه أمام عدوان الآخرين(٢).

يحكى عن أمه فيقول: «مثيل ملاك، وايد زينة وياي، ما مقصرة في أي شيء... ما تنام إلا لما أدخلت البيت، إنشا الله الساعة ٥ الصبح... أعتبر أمري أحسن من الذهب... لو لا أمري ما كنت عايش لحيته». ثم يحكى عن اخته غير الشقيقة «عندي اخت أحبها حب جنوبي... تسمع كلامي دايماً، لو أقل لها موتى، تموت». ثم يحكى عن شقيقة الوحيد الأكبر «لما أسوى شيء غلط، يعني أروح البحر لوحدي، ما أسمع كلامه... كان يخليني ألبس ملابس الميدان العسكرية وأجري حول المنزل كذا مرة، وبعدين يصعد بي فوق سطح المنزل وأرقد على بطني مدة طويلة الساعة اثنين الظهر». وأحياناً أخرى... كان يقيد أيدي

ويضربني بالخيرزنة على كل جسمي... في أماكن للجين في جسمي علامات من ضرب الخيرزنة».

قد تكون صورة هذه الأم مقبولة اجتماعياً، ولكنها من الناحية النفسية تسبب اضطراباً نفسياً في ابنها يعادل دينامياً الااضطراب الذي سببته العلاقة مع الشقيق، ورغم ما يبدو في الظاهر من تناقض واضح بينهما، فهناك الحب المفرط من قبل الأم والعدوان القاسي من قبل الشقيق.

يحتاج الطفل الصغير لكي ينمو بشكل سليم إلى توافر الشعور بالثقة والأمان في نفسه، ويكتسب هذا الشعور من علاقته بالأخرين المحيطين به، فإذا افتقد هذا الشعور في العالم الخارجي لم يتكون في داخله، وتصبح علاقته بذاته وبالعالم مخضطبة في أعماقه اللاشعورية. وتكوين أنا قوي ومتماسك يرتبط ارتباطاً قوياً بالشعور بالثقة والأمان^(٤)) وأم خميس لم تتوفر له هذا الشعور، ذلك أن علاقتها به لم تكن علاقة إنسانية عادلة، لأن الأم نفسها لم تكن إنسانة بالمعنى المادي فهي «أحسن من الذهب» وهي «ملاك» بل يعطيها صفات إلهية «لولا أمري ما كنت عايش لحيته» فالعلاقة إذن مع فرد له مثل هذه الخصائص لا بد وأن تكون من طرف واحد، ذات اتجاه واحد، ومن ثم فهي علاقة غير عادلة. فالعلاقة الإنسانية توجد أولاً بين فردتين يستقل كل منهما عن الآخر، وهي علاقة أخذ وعطاء متباذلين. فعلاقة الأم بجنيها وعلاقة الشخص مع نفسه ليست علاقة إنسانية وإنما علاقة نفسية ذات خصائص معينة، كما أن علاقة الرضيع بأمه في الأساس الأولى ليست علاقة إنسانية، فهو وأمه والعالم كتلة واحدة. لذلك نجد علماء النفس يتحدثون عن الفطام النفسي في العلاقة بين الأم وطفلها وكيف أن هذا الفطام يتأخر لسنوات كثيرة من عمر الطفل نتيجة لخوف الأم من هذا الفطام، ونحسب أن هذا ما حدث لخميس، فعلاقته بأمه إذن لم تكن بين إنسان له كيانه الخاص المتميز والمتفرد وجوده المستقل وإنسان آخر له أيضاً كيانه الخاص المتميز والمتفرد وجوده المستقل، ولكنها علاقة بين أم تحضن وتبتلع وتحتوى رضيعها الكبير العاجز المستلم.

وإذا كانت علاقة خميس بأمه في اتجاه الحب المرضي المعوض للنمو، فإن علاقته بشقيقه الوحيد تسير في الاتجاه المضاد تماماً. فهي علاقة تسلط وعدوان عنيف لا بد وأن يؤدي إلى قهر وسحق لشخصية خميس. وقد بدأ هذا العدوان في مرحلة الطفولة ولأخطاء سلوكية لا تتناسب مع نوع العقاب، فهذه الأخطاء مثل «... يعني أروح البحر لوحدي، ما أسمع كلامه «مما يشير إلى أن

القضية تتعدى حدود توقيع عقاب على سلوك خاطئ. فعندما يقييد الشقيق يدي خميس ويضربه ضرباً مبرحاً يصل إلى درجة «في أماكن للحين في جسمي علامات من ضرب الخزانة». فلنا أن نتصور حجم هذه المشاعر العدوانية التي توجه نحوه ورد فعله النفسي تجاه هذه المشاعر، فهو طفل - مثل أي طفل آخر - عاجز جسرياً ونفسياً عن مواجهة هذه القوة الهائلة، فلم يكن أمامه بديل سوى الاستسلام والهرب إلى رحم الأم مرة ثانية، خاصة وأن الأم من جانبها أيضاً تريده ذلك.

ونجاجاً بتقييم خميس الآن لهذا الشقيق «كان يحبني... لو ما يحبني ما يضربني». لقد لجأ إلى إلغاء وإنكار إرجاعه الانفعالي الداخلي المتوقع، أن خوفه الشديد من هذه القوة العدوانية لم يقف عند حد الخوف من التعبير عن مشاعره تجاهها ولكنه وصل إلى حد الخوف من الوعي والاستبعاد بهذه المشاعر في داخله، فكان الإلغاء والإنكار هما الحيلتان اللاشعوريتان اللتان لجأ إليهما، وهو لم يكتف بذلك وإنما استخدم أيضاً حيلة التكوين العكسي، فقد انقلب العدون إلى حب.

والعامل الأهم الذي أثر في تكوين شخصية خميس وفي تحديد علاقته بنفسه وبآخرين وبالعالم، ليس ذلك الحب المرضي من قبل الأم أو العدون القاسي من الشقيق، ولكن تواجدهما معاً في نفس الوقت، ذلك أن اتساق الآباء في مشاعرهم وتصرفاتهم تجاه ابنهم هو الضمان الأول لتماسك شخصيته واتساقها، فإذا كان الآباء يعبران عن مشاعر عدوانية ولو بدرجات وأشكال متفاوتة فسينشأ لدى الطفل إدراكاً متsonsق بأن هذا العالم شرير وعدواني ويتعامل معه على هذا الأساس، سواء بالتعبير عن عدوان مضاد أو الاستسلام والعجز أو بالهرب في أحد أشكال الاضطراب المرضي، المهم أنه اتساق في صورة الآخر وبالتالي في صورة الذات.

ولكن خميس وجد أمامه عالماً متناقضاً أشد التناقض، وجد ذاته تتارجح بين قوتين متضادتين ومتتساوietين تقريباً في الأهمية، قوة الأم وقوة الشقيق - الأب، وثار في داخله سؤال بلا جواب: هل الآخر يحبني أم يكرهني، هل العالم طيب أم شرير؟ هل أنا مقبول أم ملعون؟ وانتقل عدم اليقين والصورة الفامضة المترددة إلى عالمه الداخلي وإلى صورته عن نفسه، ذلك أن صورة الذات تبدأ تتكون عند الإنسان من خلال صورة العالم المحيط به. و كنتيجة لذلك كان لابد من اهتزاز مسيرة النمو النفسي عند خميس، وعدم مواصلة الانتقال إلى المرحلة

الأكثر تطوراً ونضجاً، بمعنى آخر عدم القدرة على تكوين وإتاحة هوية واضحة ومحددة لذاته^(٧).

وما يرجح كل ذلك وصفه لشاعره عندما بدأ لأول مرة من تعاطي الكودايين، وكان في الثالثة عشرة من عمره: «... أتخيل حاجات حلوة أدامى ... يعني ما أفكر في شيء يضايقني»، وعندما سأله الباحث عن هذه «ال حاجات الحلوة»، أجاب «... تنسى هموم البيت والمشاكل، ومشاكل المدرسة». ثم يضيف في موقف آخر «... الكودايين يخليك حاسس براحة... ما تحب الازعاج... ما تحب الكلام». إنها الراحة الأبدية والسكون الميت، إنه الظلام النفسي حيث يختفي وعيه واستبصره بمشاكله. حيث يختفي الشعور باللامعنى واللادهودى من حياته.

وإذا فحصنا علاقته بالشخصية الثالثة ذات الأهمية في حياته، وهي اخته غير الشقيقة نجده يقول «عندى أخت أحبها حب جنوبي»، أنه يضمنا مباشرة أمام علاقة إنسانية مرضية. مثل علاقته بأمه وشقيقه - الأب. ثم يستكمل وصفه لهذه العلاقة «تسمع كلامي.. لو أقول لها موتى، تموت». لقد ضمت علاقته بأخته النقيضين اللذين عاشهما من قبل، إنها نوع العلاقة الإنسانية التي يستطيع إقامتها مع الآخرين، حب مرضي وعدوان قاسي، أو لا علاقة حقيقة وصارقة.

كما ترجع استجاباته على الاختبارات النفسية هذه الأبعاد جميعاً، فنلاحظ أولاً: عدم التيقن وعدم التحديد، فاستجابته لأي موقف تأخذ احتمالات متعددة لا يستطيع حتى أن يرجع أحدها، ثم نجد ثانياً التناقض بين هذه الاحتمالات، فمثلاً «هذا يعبر عن واحدة زوجة حد اغتاله، أو هي قتلتة»، «هذا يعبر عن شخص زوجته مثلاً تخونه، أو هو يخون زوجته»، «... يمكن الأم كانت تسوي شيء في السابق أو تتتعاطى شيء مثلاً، وكذلك يمكن العكس البنّت كانت تسوي نفس الأشياء»، «... يمكن تكون زوجته أو أخته، أو إحدى أقربائه» (نلاحظ في العبارة الأخيرة المساواة النفسية بين الزوجة والأخت والقريبة ونربطها بطبيعة علاقته اللاشعورية مع أخته).

ويكشف تحليل هذه الاستجابات عن صورة العالم من حوله ونوعية القوى الموجودة في الظروف التي يتفاعل معها، فالعالم دائمًا مصدر تهديد وعدوان ضده، والعوامل البيئية معاكسة له ومحبطة، والظروف المحيطة به تدور حول الوفاة والقتل والخيانة الزوجية وما إلى ذلك. ويقابل ذلك ذات سلبية مقهورة وعجزة، فالذات إما أن تتنمى أو أن تفك أو أن تنوى عمل شيء أو تندم على

موقف أو تعرف، وهكذا لا تقوم بفعل واقعي إيجابي، وفي نفس الوقت لا يوجد تحديد للأمنيات والأفكار والنوايا، فهي متعددة ومتعددة.

وصورة الأم في استجاباته كما يلي «... واقفة كأنها مسيطرة على كل شيء في الكون هنا، بتأمر، وبتهيء، وبتسب، ويمكن تضرب»، «يمكن الأم كانت تسوي شيء في السابق، أو تتعاطى شيء مثلاً»، «... يجوز أن الأم تكون مريضة بمرض ما في له علاج»، فالأم مسيطرة في نظره أو منحرفة أو في طريقها إلى الموت، وقد يشير ذلك إلى رفضه واحتاجه اللاشعوري لأمه الحقيقة الخارجية. مع ملاحظة أن النماذج الأنثوية التي اختارها أكثر في استجاباته هي الزوجة ثم الأخت ثم الابنة، وتأتي الأم كأقل النماذج الأنثوية تكراراً.

أما صورة الأب داخله فهي أكثر اضطراباً، فال الأب إما ميت أو مقتول أو لا توجد إشارة إليه، أي أن هناك إلغاء للأب بأشكال مختلفة، وهذا من أقسى أنواع العدوان الذي يمكن أن يوجهه شخص تجاه آخر، فالتعبير عن عدوان لفظي أو مادي أو معنوي تجاه شخص معناه أنه موجود، أما الإلغاء فهو إلغاء لوجوده نفسه. وفي المرة الوحيدة التي عبر فيها عن وجود أب على قيد الحياة فإنه قلب الأدوار الاجتماعية في موقف بين هذا الأب وأبنه، فبعد أن تخيل الموقف على أنه ابن خرج عن طاعة أبيه وعاد إليه نادماً وبدأ الأب في نصح ابنه، إذا بخميسي يعكس الأدوار قائلاً ... أو يكون أبوه عايز يتزوج فيسأل ابنه هل أنا أتزوج زوجة ثانية، والولد في ها اللحظة مو موافق».

معنى هذا كله أننا أمام إنسان نشاً في ظل قوانين نفسيتين متناقضتين سطحياً ومتتشابهتين دينامياً، تهدف الأولى إلى احتواه تحت شعار الحب، بينما تسعى الأخرى إلى قهره باسم التقويم والتربية، وتضافرتا معاً في إجهاض مسيرته في النمو النفسي نحو الاستقلال والنضج. وانتقل هذا التناقض الخارجي إلى عالمه الداخلي، بحيث أدى إلى عدم النضج الانفعالي وصورة سلبية للذات وشعور بعدم الكفاءة وهوية غامضة باهته، ومشاعر عدوانية قوية في اللاشعور. إن تعاطي خميس للمخدرات قد لا يكون وسيلة هروبية من هذه الحياة كما قد يبدو، ولكنه وسيلة لممارسة الحياة، ليست الحياة التي يفرضها عليه الآخرون ولكنها الحياة كما يراها هو ويدركها، ورغم رفضه لها شعورياً إلا أنه متمسك بها لأشعورياً ومستمر فيها واقعياً، يقول خميس «... كله في تاني أعدادي، بدأت مرحلة الدمار حتى الآن».

الحالة الثالثة :

عدنان، ويبلغ الخامسة والعشرين من عمره، متزوج منذ أربع سنوات وله ولد واحد عمره ثلاث سنوات، ترك المدرسة في الصف السادس الابتدائي، عاطل حالياً بعد الالتحاق بعدها وظائف متنوعة حيث كان يلتحق بوظيفة لعدة أشهر ثم يستقيل ويتعطل إلى أن يجد وظيفة أخرى، وهكذا.

الأب توفى بأزمة قلبية منذ ست سنوات وله من العمر ٥٣ عاماً، أمي وكان يعمل في التجارة، والأم ربة منزل عمرها ستون عاماً، وأمية. ترتيب عدنان في الأسرة الثاني حيث تسبقه أخت وبليه أخان توأمان، فهو الولد الأكبر في الأسرة.

بدأ أولى خطواته في إدمان الخمر في سن الخامسة عشرة بتناوله البيرة بمفرده ولجرد التسلية على حد قوله، واستمر على ذلك لمدة عام حيث تعرف على مجموعة من الشباب يشربون البيرة، وبعد ذلك بدأت المجموعة، وهو منهم، في تناول الويسكي. ومنذ ذلك الوقت وهو يتعاطى الخمر يومياً وحتى الآن. أدخل المستشفى بسبب تعاطيه الخمر بشكل متواصل خلال الأيام التسعة السابقة على الدخول وبدون أن يأكل أو يشرب على الأطلاق، مع حالة قيء في الأيام الخمسة الأخيرة إذا أكل أو شرب أي شيء سوى الخمر. تكرر دخوله المستشفى للعلاج في الستين الأخيرتين بمتوسط أربع مرات في السنة.

تضعننا هذه الحالة أمام حجم الدور الذي تلعبه العوامل الاجتماعية في إدمان الخمر. فنحن لا نجد علامات باثнологية في حياته الأسرية، فلا يوجد انهيار أو تفكك أو تصدع في الأسرة، فال الأب لم يتزوج سوى الأم، ويعيشان معاً مع أبنائهما الأربع، وتتمتع الأسرة بمستوى اقتصادي فوق المتوسط، ولا يمارس أي سلوك منحرف وهو في نفس الوقت «... رجل طيب، محبوب بين الناس، مواطن على شفته، ومراعي بيته، محاسب علينا كلنا». يعود من عمله إلى المنزل عند المغرب، ويقضي معظم وقته مع الأبناء وكذلك الأم «ساعات تكون عصبية، وأوقات تكون طيبة زيادة عن اللزوم، بمعنى ما تقصير مع أي أحد... ساعات الطيبة أزيد». وعلاقة عدنان بهما عادلة، فمع الأم «... العلاقة زينه... مثل أبي طفل ويا أمه»، ومع الأب «... عادلة مثل الإخوان، كان وايد يحبني... اللي أبغيه يشتريه لي... من بعد المدرسة أروح وياه الشغل». فنحن إذن أمام أسرة عادلة تماماً، بناؤها متماسك، العلاقات بين أفرادها جيدة، واحتياجاتهم العادلة مشبعة، وهناك اهتمام ورعاية للأبناء.

وإذا انتقلنا إلى شلة الأصدقاء كأحد العوامل الرئيسية في الإدمان، سنجد أن

عدنان بدأ يتعاطى البيرة لأول مرة بمفرده وبدون شلة، والداعم إلى ذلك كما يزعم «... مجرد التسلية»، واستمر على ذلك لمدة عام على الأقل «... تاني سنة اتعرف على شباب يشربون البيرة، وبعدين غيروا وشربوا ويسيكي، وشربت معاه». أي أن الشلة جاءت لتدعم سلوكاً موجوداً بالفعل وتطوره في الاتجاه الذي بدأ منه. ويشير هذا إلى أن اختيار المدمن لأصدقائه يتم بإرادة ورغبة بشعرورية على الأقل، بمعنى أن الشلة لا تفرض سلوكها على المدمن بقدر ما يفرضها هو نفسه عليها، فإذا بها ترحب به لأنه جاء ملتزماً بمعاييرها وتقاليدها، وبالتالي فهي تشبع لديه حاجات نفسية واجتماعية غير مشبعة.

ولم يتعرض عدنان لواقف محبط أو خبرات صادمة نفسياً سوى تلك التي ترك المدرسة على أثرها، حيث حدثت مشكلة بين عدنان وصديق ومعلم لهما ضرب وأهان الصديق فانتظراه خارج المدرسة «... صديقي اتهاوش معاه، تاني يوم المدرس اشتكتي للناظر، فقال لنا الناظر اللي بيغفي يدش المدرسة لازم ينضرب أمام التلاميذ، أنا وافقت، لما ضرببني ما اتحملت وطلعت من المدرسة». والذي دفعه للموافقة على ذلك «... عشان أبيغي أكمل المدرسة... كنت أحب الدراسة». ورغم أن هذه خبرة مؤلمة نفسياً لأي تلميذ، إلا أنه يجب ملاحظة أن بدء الإدمان على الخمر حدث قبل هذه الخبرة.

هذه هي أهم المتغيرات الاجتماعية التي نشأ عدنان في ظلها: الأسرة والأصدقاء والمدرسة، وكان من المتوقع أن ينمو نمواً عادياً في ضوء ذلك، ولكن الذي جدث عكس ذلك. فلابد لنا من نظرة تعمق فيما وراء المظاهر الخارجية التي يبدو أنها خادعة. ونجد أولاً أن عدنان قد رسب في الصفين الثالث والرابع الابتدائي، فرسوب تلميذ في الصف الثالث الابتدائي يكشف عن حقيقة اهتمام الوالدين ورعايتهم للابن فلا توجد متابعة لدورسه وواجباته المنزلية. ولا يوجد اهتمام بمعرفة مستوى التحصيلي خلال العام الدراسي، والإكتفاء بإشباع الحاجات المادية فقط، كما يكشف عن مدى جدية اهتمام وحب عدنان للدراسة ومدى أصالة ذلك. فهو يحب الدراسة ولكن بدون بذل الجهد الكافي الذي يعبر عن هذا الحب. ولعل هذه إحدى سمات شخصيته، بمعنى الطموح العالي بدون امتلاك القدرات التي تحقق هذا الطموح، أو بدون ممارسة العمل الحقيقي الذي يتناسب مع هذا الطموح.

ثم نجد ثانياً موقف الأب عند ترك عدنان للدراسة، فلم يلاحظ الأب غيابه عن المدرسة إلا بعد عدة أيام، وهذا ما يرجع نوعية الاهتمام والرعاية التي تلقاها

عدنان وعندما ذهب الأب للتفاهم مع الناظر، أصر الأخير على عدم رجوعه للمدرسة وإن وافق على تحويله إلى مدرسة أخرى. ولكن عدنان رفض مبدأ استكمال الدراسة، وعندما لم يعارضه الأب في هذا القرار، والسلوك المتوقع من الأب أن يحاول إقناع ابنه بالاستمرار في التعليم، وخاصة وأنه في الصف السادس الابتدائي، ولكن الذي حدث عكس الاتجاه المتوقع مرة أخرى.

وإذا انتقلنا إلى تاريخه المهني نجد أنه سافر إلى إحدى الدول الخليجية للعمل مع أقارب له، ولكنه ترك العمل بعد أربعة شهور فقط، «عشان الغربة» ثم التحق بالقوات المسلحة في الإمارات لمدة حوالي سنة ونصف وتركها بسبب قرار نقله إلى إحدى المواقع العسكرية البعيدة، ثم التحق بوظيفة في إحدى الدوائر المحلية وتركها بعد ثلاثة شهور، ثم عاد إليها واستقال بعد شهور قليلة أيضاً، ثم عاد إليها للمرة الثالثة واستقال أيضاً. وكانت هناك شهور من البطالة بين كل عمل والأخر. يبدو هنا مرة أخرى أن اهتمامه بالعمل غير جدي وغير أصيل.

وتشير هذه الملاحظات إلى أننا أمام صورة زائفة، إطار خارجي بدون مضمون حقيقي. في أحد المواقف سأله الباحث: مش ناوي تبطل الشرب؟ أجاب: «شو أسوى، ما في شهادة وما في عمل». إنه الشعور بعدم الكفاءة واللاقيمة، والعجز، والضياع. إن المصادر الداخلية للإنسان العادي هي التي تساعده في مواجهة مشكلات الحياة اليومية، ولكن يبدو بالنسبة لعدنان أن هذه المصادر الداخلية قد ذابت وجفت سريعاً، لأنها كانت ضعيفة منذ البداية. ويعتقد الباحث أن غرائزه البدائية الطفالية هي التي تجعله مستمراً في الحياة من أجل العمل على إشباعها.

وتترجم نتائج الاختبارات النفسية هذه الصورة وتقدم لنا المزيد من التفاصيل المؤيدة. فهو يرفض في أعمقه صورة الأسرة، حيث «... كل واحد مشغول بنفسه... كل واحد يفكر بنفسه»، والأب «رئيس عصابة»، والعلاقة بالأم «سوء تفاهم بينهم... ما براضية عن والدته» و «... طاردنـه من المنزل». إنها صورة متناقضة كلية مع صورة الأسرة كما أدركها وعبر عنها على المستوى الشعوري.

وصورة الذات لديه سلبية، فهي عاجزة عن تحقيق طموحاتها لعدم توافر القدرات الداخلية وليس نتيجة لظروف خارجية معوقة. كما تكشف النتائج عن وعي عدنان بالحفزات الداخلية التي تطلب الإشباع الفوري. وهذه الحفزات تتبع من الطبقات الأكثر بدائية في الشخصية والتي تعتمد على الغرائز في وجودها. وفي نفس الوقت هو يشعر بالإحباط نحو هذه الحفزات لعدم استطاعته

مقاومتها أو تعديلها نظراً لضعف قوة الآنا أمامها.

والحالات الوجاندية العميقه لديه غير مشبعة، مثل الحاجة إلى الطمأنينة والأمن، وحاجته إلى أن يحب (بفتح الحاء) وأن يحب (بكسر الحاء). وقدرته على تحمل الإحباط ضعيفة إلى حد كبير، ففي المواقف المحيطة نجد أن الآنا تنهار أو تستسلم أو تنسحب من الموقف هرباً من مواجهته. لذلك نجده لا يتعارض مع العالم الخارجي كما هو موجود في الواقع الموضوعي، ولكن يعيد تشكيل هذا العالم بناء على رغباته وحاجاته هو، وبذلك فقط يستطيع التفاعل معه، وكأن العالم النفسي الداخلي ينساب ويغطي العالم الموضوعي الخارجي.

ومن الناحية العقلية نجد فقراً وأضحاً في الأفكار والتصورات، مع قدرة عقلية أقل من المتوسط، ونظرة ضيقة ونمطية للعالم، إلى جانب نقص الاهتمامات والميل، كما نلاحظ بعض أعراض اضطراب التفكير والرغبة في الضبط واختبار الواقع ضعيفة وعلى مستوى أقل من النضج.

وفي موقف يرمز إلى الاستبصار اللاشعوري بأعمقه يقول عدنان:

«بركان منتهي... مش موجودين ناس». وكأنه يلخص لنا موقفه السيكولوجي الآن، فراغ داخلي وشعور بالعدمية في الداخل والخارج. وبذلك فإن نتائج الاختبارات النفسية تؤيد مدى التزييف الذي عاشه في العلاقات والمشاعر مع النماذج الإنسانية المختلفة التي تفاعل معها خلال مراحل تكوين ونمو شخصيته.

ودرجة الإدمان على الخمر التي وصل إليها إنما هي مركز لرفضه الكامل لهذا العالم المزيف، وهذا الرفض في جوهره رفض لنوعية وجوده هذه في الحياة. ورغم أن احتمال الانتحار وارد بين هذا النمط من مدمني الخمر، إلا أنه احتمال ضعيف في حالة عدنان لأن أناه من الضعاف بحيث لا يستطيع اتخاذ هذا القرار، والبديل الأكثر احتمالاً هو الانتحار عن طريق الخمر، وهو ما ترجمه الاضطرابات الفسيولوجية الحادة التي بدأ يعاني منها جسم عدنان.

تعليق عام :

يعتقد الباحث الآن أن الأسئلة التي طرحتها هذه الدراسة في البداية ما زالت بدون إجابات شافية، ذلك أن الحالات الثلاث المطروحة يوجد بينها من الاختلاف بقدر ما يوجد من التشابه، وهي نتيجة تتفق مع بعض الدراسات المسحية التي بحثت نفس الموضوع (١١، ١) ويبدو أن التعدد في أنواع المواد

المخدرة وما يصاحب ذلك من تعدد في طرق الاستخدام والمواقف النفسية والاجتماعية المصاحبة لها، وتعدد الآثار الجسمية والنفسية والاجتماعية، كل ذلك قد يكون أحد العوامل المسئولة عن هذه النتيجة. ومع ذلك فهناك دراسات أخرى حاولت البحث عن السمات المشتركة بين من اعتمدوا على المخدرات المختلفة، وتوصلوا إلى تحديد بعضها (٢، ٧، ١٠).

وسنحاول فيما يلي استخلاص أهم الملامح المشتركة بين حالات الدراسة، ونجد أولاً أنهم جميعاً من الشباب، وهذا يشير إلى أن ظاهرة الإدمان على المخدرات ظاهرة حديثة في مجتمع الإمارات، فالإدمان يزداد في المجتمعات في مراحل التغيير الاجتماعي(٣). وهؤلاء الشباب بدأوا الإدمان لأول مرة في حياتهم مع بداية مرحلة المراهقة، ويسمىها البعض مرحلة الهوية(٤)، حيث يحاول فيها المراهق تكوين وإقامة هوية واضحة ومحددة لذاته، وتكشف حالات الدراسة أن هذه البداية ما هي في الحقيقة إلا نهاية لمسار مضطرب بدأ في الطفولة وظهرت ثماره مع بزوغ أزمة الهوية، عندما بدأ يبحث عن معنى لوجوده وهدف حياته. فإذا بالمشكلات السابقة تحيط به، وتلح عليه حاجاته الوجدانية العميقية غير المشبعة طلباً للإشباع. ويبدو أن بدء التعاطي يأتي في لحظة حرجة في مسار النمو للفرد حيث يكون فيها غير ممحض وقابل للانحراف والاضطراب(١).

كما نجد أن الحالات الثلاث قد توقفت عن استكمال التعليم، وإن تم التوقف في مراحل دراسية متباينة، إلى جانب ظاهرة البطالة في العمل سواء بشكل مستمر أو متقطع بعد الالتحاق لفترات قصيرة بأعمال متنوعة، ومع ذلك فهناك تصريح بمستويات للطموح أعلى من ذلك. ويكشف ذلك عن بعض السمات المشتركة بينهم، مثل الشعور بعدم الكفاءة الشخصية، والقدرة الإنتاجية الداخلية الضعيفة، وضعف المثابرة.

وتشترك هذه الحالات في قوة الحفزات البدائية الغريزية التي تطلب الإشباع الفوري، في مقابل ضعف قوة الآنا أمام هذه الحفزات، يصاحب ذلك سيطرة العالم الداخلي على إدراك العالم الخارجي والتفاعل معه، مما يؤدي إلى تزييف هذا العالم الخارجي. وبالتالي يتمركز المدمن حول ذاته ويتميز بالأنانية وال narcissism، ويبدو أن تصاعد وتزايد إلحاح الرغبات وال حاجات الداخلية قد يكون العملية الرئيسية المسئولة عن هذه الخصائص.

ولا نذكر دور عمليات التعلم الاجتماعي في تشكيل سلوك المدمن، من خلال عضويته في مجتمع وثقافة المدمنين حيث يتعلم الأنماط السلوكية والاتجاهات

والقيم المناسبة لهذا المجتمع، وبالتالي يتدعم لديه السلوك الإدماني، وبالرغم من وجود العديد من الدراسات التي تشير إلى أن شلة الأصدقاء تعد عاملاً رئيسياً في دفع الفرد نحو الإدمان، إلا أن الباحث يرى أن البناء النفسي للفرد وдинاميات شخصيته هو الذي يدفع بالمدمن للبحث عن هذه الشلة والانضمام لعضويتها، ذلك أن هذه العضوية تشبع لديه الحاجة إلى التقدير وإلى الانتماء وإلى المكانة الاجتماعية التي يعتقد بها في مجتمع غير المدمنين، أنه يجد ذاته السلبية الضعيفة في هذه الجماعة، أن المدمن عادة لم يتعلم في طفولته كبت أو تأجيل إشباع رغباته وغرائزه. فتعود على تحقيق اللذة الفورية، وهو ما يجده في هذه الجماعة المنحرفة.

والمشاعر العدوانية أحد الملامح المشتركة في حالات الإدمان، سواء داخله أو خارجه، فالمدمن يشعر بالعدوان من حوله. وبالرغم من أن هذا العدوان قد يكون صريحاً أو متخفيًا، إيجابياً أو سلبياً، حقيقياً أو متخيلاً. إلا أن المشاعر العدائية داخله والرغبة في الانتقام تكون قوية إلى حد كبير، وفي نفس الوقت لا يستطيع التعبير عن هذه المشاعر أو معارضتها.

وليس صحيحاً تماماً أن الشباب يتعاطى المخدرات هرباً من الحياة، ولكنه يهجر هذه الحياة إلى حياة أخرى يصنعها بنفسه ويمارسها بشكل إيجابي وفعال (١٢). إن الحياة الأولى، حياة العاديين من الناس، لا تقبله ولا تناسبه في نفس الوقت، إنه يريد حياة خالية من المشاكل والصعوبات الاجتماعية، بلا آلام ومعاناة نفسية، بلا آخر عليه أن يقيم معه علاقة إنسانية مسئولة، حياة فارغة بلا معنى ولا هدف سوى البحث عن اللذة المؤقتة الزائلة، حياة يشعر فيها أنه سيد الكون وخير الناس أو على الأقل كباقي الناس. فلماذا يترك هذه الحياة الخاصة إلى حياتنا العادية الصعبة.

إن هذه النتائج التي انتهت إليها الدراسة الحالية يجب اعتبارها مجرد فرضيات علمية مازالت في حاجة إلى المزيد من البحث للتحقق من مدى صدقها أو نفيها والبحث عن فروض أخرى تكشف لنا عن ديناميات شخصية المدمن.

قائمة المراجع

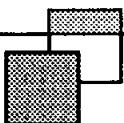
- 1 - Altrocchi, J. **Abnormal psychology**, New york: Harcourt Brace Jovanovich, 1980.
- 2 - Callahan, E. Alternative strategies in the treatment of narcotic addiction: a review. In: William Miller (ED.) **The addictive Behaviors**. Oxford: Perhamor Press: 1980.
- 3 - Cameron, D. Facts about drugs. In: Melvin Zax & George Stricker (ds.) **The Study of abnormal behavior**, 3rd ed., New York: Macmillan Publishing Co., 1974.
- 4 - Erikson, E. **Childhood and Rociely**. 2ed ed. New York: W.W. Norton & Company, 1978.
- 5 - Hurlock, E. **Devleplomental psychology**. 5th ed. New York: McGraw - Hill Book Company, 1980.
- 6 - Kaluger, G. & Kaluger. M. **Human development**. 2ed ed. St. Louis: The C.V. Mosby Company, 1979.
- 7 - Kleinmuntz, B. Essentials of abnormal psychology. 2nd ed. San Francisco; Harper & Row Publishers, 1980.
- 8 - Klopfer, B.; Alnsworth, M.; Klopfer, W. & Holt, R. **Developments in Rorschach technique**, Vol. I. New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1954.
- 9 - Kloper, S.; Meyerer, S., & Brawen, F. **Developments in Rorschach technique**, Vo. 1. III, New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1970.
- 10- W. Diagnosis of drug drpm dence. In: Stanley Einstein (Ed.) **Drugs in relation to the drug user**. New York: Pergamon Press, 1980.
- 11- Miller, W. The addictive behaviors. In: William Miller, (Ed.) **The addictive behaviors**. Oxford; Pergamon Press: `980.
- 12 - Nowlis, H. Prevention of drug abuse through education. In: Melviv Zax & George Stricker, (Eds.) **The study of abnormal behavior**, 3rd ed. New York: Macmillan. Publishing Co., 1974.
- 13 - Rapaport, D., Gill, M. & Schafer, R. **Diagnostic Psychological testing**, New York: International Universities Press, 1968.

تدعوه مجلة
شؤون اجتماعية

الباحثين والمهتمين في دولة الإمارات والدول العربية
إلى الكتابة في محور النفط والتغير الاجتماعي
وبخاصة الموضوعات التالية:

- قراءة اجتماعية في العائدات النفطية في الوطن العربي.
- أوضاع الأسواق النفطية الحالية والمستقبلية.
- النفط والتحولات الاجتماعية في دول الخليج العربي.
- اقتصاديات النفط والصناعات البتروكيميائية.
- دراسات نقدية عامة حول النفط والمجتمعات العربية النفطية.

بحوث ودراسات



*
الأسرة وجنوح الأحداث
في مجتمع الإمارات (حالات وخلاصات)

منى جمعة البحر

مقدمة :

نظراً للأهمية العلمية التي تحملها الدراسة الميدانية والتطبيقية في العلوم الاجتماعية حيث تكشف عن حقائق جديدة، إضافة إلى الخدمات الجليلة التي تقدمها بشكل خاص في مجال دراسة السلوك والتوافق كان لابد من النزول إلى الميدان.

ويقوم هذا القسم الميداني من الدراسة على ثلاثة اعتبارات هي:

- ١ - تدعيم الدراسة النظرية بواقع أمبيريقي يمكن تتبعه والوقوف على نتائجه وأثاره.
- ٢ - الإجابة عن تساؤلات الدراسة من واقع مجتمع الإمارات.

* هذا البحث هو في الأصل جزء من دراسة لنيل درجة الماجستير في علم الاجتماع بكلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٨٩.

٣ - تأكيد مدى أهمية التغير الذي طرأ على البناء الاجتماعي ومنه على البناء الأسري نتيجة للطفرة النطفية وما صاحبها من عوامل أخرى وأثر ذلك على كثير من مشاكل السلوك والتوافق.

توظف الدراسة منهج دراسة الحالة لإنجاز أهدافها التطبيقية لما يتصف به هذا المنهج من دقة وعمق وشمول. والذي يستند على مجموعة من الأسس الجوهرية أهمها:

١ - محاولة إقامة رابطة نفسية بين الباحث والباحث وذلك لنجاح المقابلة والحصول على معلومات وافية من المبحوث.

٢ - أن التناول الواقعي للوجود الاجتماعي يستمد دلالته من قدرة الباحث على فهم سلوك الناس في المجتمع في ضوء ما لديهم من معان وقيم ومعتقدات وطموحات تكمن في جوهر سلوكهم وفي اللغة التي يستخدمونها في حياتهم اليومية وهذا هو قاعدة الفهم السسيولوجي للسلوك الاجتماعي(١).

لذلك ترتكز جهد الباحثة على نحو تحاول فيه أن تكشف الواقع الاجتماعي لحياة الأحداث دون أن تفرض مقولاتها التي تصوغها في استماراة بحث مقتنة والاكتفاء فقط بمجموعة من الأسئلة المعايرة عن تساؤلات الدراسة لتوجيهه مسار الحوار والنقاش خلال المقابلة، والتي تمثلت في العناصر الآتية:

(١) تطور تاريخ الأسرة منذ ولادة الحدث حتى وقت الدراسة.

(ب) علاقة الأب والأم ومدى تحقق الاستقرار الأسري في داخل الأسرة.

(ج) علاقة الوالدين بالحدث وظروف تنشئته الاجتماعية.

٣ - محاولة التتحقق من صدق أقوال المبحوث وذلك عن طريق الرجوع إلى كل من له صلة بالحالة ويعرفه، بالإضافة إلى الرجوع إلى السجلات والوثائق المتعلقة بالحالة.

٤ - نظراً لأنه من القضايا الأساسية التي تواجه الباحث في دراسة مسألة حماية الشخصيات التي يقوم بدراستها إذا كانت هذه الشخصيات متورطة في الانحراف، لذلك حرصت الباحثة لتغطية هذه المسألة بعدم ذكر أسماء المبحوثين والاكتفاء بالحرروف الأولى من كل إسم.

٥ - محاولة جمع بيانات كافية وواافية ومتعمقة عن الحالة تشمل مختلف جوانب حياته النفسية والصحية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية(٢).

عينة الدراسة :

استخدمت الباحثة طريقة العينة العشوائية المنتظمة لاختيار حالات الدراسة فقد دونت الباحثة أسماء كل الأحداث الموجودين في المؤسسة في قائمة وبلغ عددهم حينذاك (٣٥) حدثاً وقامت الباحثة باختيار أسرة من كل خمس أسر، حيث تم اختيار الوحدة الأولى بين رقم (١ - ٥) بطريقة عشوائية فجاءت الوحدة رقم (٥) وكانت هي الحالة الأولى، ثم بعد ذلك أخذت الحالة الثانية بعد ترك خمس حالات قبلها وهكذا دواليك حتى تم اختيار العينة المطلوبة والتي تكونت من ست حالات*.

مجالات الدراسة :

تحددت الدراسة في ثلاثة مجالات وهي المجال البشري، والجغرافي، والزمني وستتناول الباحثة كل مجال بمفرده كالتالي:

أولاً : المجال البشري :

وتمثل في مجموعة من الأحداث الجانحين الذين تم اختيارهم بعينة عشوائية منتظمة والتي راعت الباحثة في اختيارها أن تكون ممثلة للمجموع.

ثانياً : المجال الجغرافي :

وقد حددت الباحثة هذا المجال في مركز أحداث الشارقة وذلك لأن هذا المركز يضم ويحول إليه كافة أحداث الإمارات الشمالية، أي أنه يضم أحداثاً من كل إمارات الدولة.

ثالثاً : المجال الزمني :

وقد استغرقت هذه الدراسة مدة ستة شهور، المرحلة الأولى منها شملت النزول إلى الميدان وقد استمرت من (١) فبراير حتى (٥) أبريل قضتها الباحثة في عمل مقابلات مكثفة مع عينة الدراسة. المرحلة الثانية وكانت في القاهرة واستغرقت من (١٠) أبريل حتى (٢٠) يوليو وكانت مرحلة تفريغ الأشرطة وكل المعلومات الأخرى التي تم الحصول عليها سواء من سجلات المركز، أو من معارف وجيران كل حالة، حيث تم جمع معلومات كل حالة على حدة وتدوينها.

(*) تم اختيار ست حالات وليس أكثر أو أقل وذلك لأن مجتمع البحث كان جمیعه من الذكور وكان يتسم بالتجانس حيث كانت الحالات كلها متشابهة إلى حد كبير، لذلك اكتفت الدراسة بست حالات منها والتي تضمن من خلالها إمكانية التعميم.

ثم المرحلة الثالثة وكانت في شهر يوليو وشملت النزول مرة أخرى إلى الميدان بعد أن وجد نقص في المعلومات بشأن بعض الحالات.

ديناميات الدراسة الميدانية :

أجرت الباحثة استبارات متعمقة مع الحالات الست التي تم اختيارها وقد تمت هذه الاستبارات في مؤسسة أحداث الشارقة بإمارة الشارقة، وهي مؤسسة يقضي فيها الأحداث المدة المحكوم عليهم بها، وتمت هذه المقابلات بشكل يومي وقسمت إلى فترتين فترة صباحية وفترة مسائية استغرقت مدة كل مقابلة حوالي أربع ساعات كما قامت الباحثة بالاطلاع على الوثائق الرسمية المتعلقة بكل حالة وسجلات الحالات المحفوظة بالمركز، وذلك للتحقق من عدد قضايا كل حالة وواقع مشكلة كل منهم من ملف قضيته بالمحكمة والإجراءات القانونية التي اتخذت إزاءه.

وقد تناولت الاستبارات كل ما يتصل بتطور حياة كل حالة والظروف التي مر بها منذ نشأتها وماضيه ونشاطه الحالي وردود فعله إزاء الماضي والحاضر، وقد حاولت الباحثة من خلال لقاءاتها بالحالات أن تعيد وتكرر بعض الأسئلة المتعلقة بحياة كل حالة حتى تتحقق من عدم تناقض أقوال الحالات مع أقوالهم السابقة وترك الفرصة كاملة لهم للتذكر والتعبير عن رأيهم من وجهة نظرهم الذاتية، وذلك في ضوء لغتهم الخاصة التي يستخدمونها في حياتهم اليومية. ثم قامت الباحثة أيضاً بمحاولة للتثبت من ثبات وصدق البيانات التي تذكرها الحالات عن طريق إجراء استبارات مع بعض الشخصيات التي تعرف أسرة الحال، وتعرف ظروف تنشئة الحال مثل الجيران والأصدقاء أو بعض المشتغلين بالمركز والذين تكون لهم صلات جوار مع بعض الحالات. وهذا يخدم هدفين، الهدف الأول التثبت من الواقع والأحداث التي تذكرها الحالات عن ماضيها وحاضرها، والهدف الثاني استكمال الصورة الواقعية لحياة الحال من مصادر أخرى بحيث يمكن إلقاء مزيد من الضوء على اتجاهاتها وسلوكها في مختلف مراحل ومواقف حياتهم من وجهة نظر الآخرين^(٣).

وسنقدم فيما يلي عرضاً لثلاث حالات من الحالات الست التي تمت دراستها:

الحالة الأولى :

التكوين الأسري للحالة :

تعيش الأسرة في منطقة الخان بإمارة الشارقة وهي المنطقة التي عاشت فيها

الأسرة منذ زمن بعيد، والتي يمثل المواطنون الذين يرتبطون ببعض برابطة القرابة أو النسب الغالية العظمى من سكانها.

ت تكون الأسرة من عشرة أشخاص وهم الأم والأب والجدة والدمة والأب وسبعة أولاد من البنات والبنين تتحل الحالة المرتبة الثانية بينهم يكبره أخ، وتعيش الأسرة في منزل شعبي به عدة غرف ومنافع أخرى يتشارك الحدث مع أخيه الذي يكبره في الغرفة.

والد الحالة يعمل بصيد السمك. ولكنه الآن يملك بمفرده مراكب صيد يعمل عليها صيادون، هذا بالإضافة إلى عمله كحارس في وزارة التربية والتعليم، وهو أمي ولم يسبق له الزواج قبل أم الحالة ولا بعدها. أما بالنسبة لأم الحالة فهي أمية أيضاً وربة بيت ولم يسبق لها الزواج من غير والد الحدث، وهي ذات ثقافة بسيطة جداً وتکاد تكون معدومة، وتعاني من مرض الضغط والسکر بالرغم من صغر سنها فهي تبلغ تقريراً خمس وثلاثين سنة. أما بالنسبة لأخوة الحالة فالأخ الذي يكبره عاطل وتارك للدراسة ويبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً وهو مدمن على شفط الغراء، أما باقي أخوته فجميعهم في المدرسة في المرحلة الابتدائية أما جدة الحدث فهي سيدة كبيرة في السن وتعيش معهم في نفس المنزل كما تقدم، وعلاقتها جيدة بالجميع وتحب الحاله كثيراً وهي لا حول لها ولا قوة وتعاني من أمراض الشيخوخة.

السمات الشخصية للحالة :

الحالة (ع. ع) شاب يبلغ من العمر (١٦) سنة، أسمرا اللون، معتدل القوام هادئ الطبع، له عدة سوابق، وهذه هي قضيته الثالثة، وله سجل في الشرطة وفي وحدة رعاية الأحداث. وهو ذو شخصية مهزوزة وضعيفة جداً، يسهل استدراجه وانقياده، بالإضافة إلى أنه غير مبال بأي شيء فالأمور كلها عنده سواء فقدرته على التمييز بين الأشياء معروفة وهو دائمًا في حالة كسل وترانح وشروع ذهني. أما مستوى ذكائه فدون المتوسط حيث طبق عليه اختبار الذكاء المصور وحصل على (٢٧) درجة خام وهذه تعبر عن مستوى ذكاء أقل من المتوسط.

الحالة الصحية والنفسية للحالة :

بالنسبة للحالة الصحية للحالة فهي جيدة ولا يعاني من عاهات أو تشوهات جسدية أو أي أمراض، أما بالنسبة لحالته النفسية فهو يعاني من خلل نفسي

حيث يتسم بشخصية سلبية ويميل إلى العزلة، وهو قليل الحديث هادئ الطبع بطيء الحركة كثير الشروق الذهني، غير مكترث بما يدور حوله، ولديه ميول أنثوية وطفلية، إحساسه بالمسؤولية ضعيف فهو يتخذ دائمًا الأساليب الانسحابية والهروبية لمواجهة أي موقف وهذا ما دفعه إلى إدمان شم الغراء والوقوع فريسة للواط السلبي الخاضع للآخرين.

قضايا الحال :

سبق للحالة الدخول إلى مؤسسة الأحداث - كما ذكر سابقاً - وبنفس التهمة وهي اللواط وتعاطي مادة الغراء المخدرة، فقد دخل الابن المؤسسة بتاريخ ١٩٨٧/٢/٩ بتهمة اللواط وحكم عليه شهرين إيداع في المؤسسة وبعد خروجه بفترة قبض عليه بتاريخ ١٩٨٧/٥/٢٣ م، بنفس التهمة وحكم عليه بالإيداع في المؤسسة والجلد عشرين جلدة. أما قضيته الحالية فهي كما ذكر في ملف القضية أنها حولت من قبل نيابة الشارقة بتهمة السماح للأخرين باللواط به، والمتهمون عبارة عن أربعة أشخاص، أحدهم في سن، والآخرون أكبر منه حيث يتراوح سن كل منهم بين (٢٢ - ٢٥) سنة، وكان الحدث يتزداد عليهم باستمرار. يشفط معهم الغراء ويسمح باللواط به. أما ملخص المشكلة من واقع أقوال الأسرة فيقول الأب :

«رجعت من البحر وسألت عن الولد ما لقيته، سألت أمه عنه قالت لي أنه من ثلاثة أيام ما رجع البيت، فسررت بسرعة وبلغت الشرطة وأخذت «ويايه» صورة من جواز السفر وصورة شخصية له ومن يومها ابتدت الشرطة «تدور» ألين حصلوه في واحد من الكراجات في المنطقة الصناعية وكان «مخلي اللي وياه» يفعلون به وكل مرة بعد وهو تحت تأثير هذا «الخياس» اللي يشفطونه الغراء.

سلوك الحال في المؤسسة :

الابن هادئ الطبع - كما ذكرنا سابقاً - وقليل الكلام يشارك في الأعمال الفنية والرياضية - مع أنه شديد الكسل، لا يشتكي منه أحد سواء من المشرفين أو زملائه.

مقابلة الحال :

بدأت المقابلة الأولى بالتعرف على الحالة وتعرف الحالة على الباحثة وكان الابن خجلاً جداً، لم ينزل يديه من على وجهه وشديد الحرج من قضيته، فبينما كان يجيب بطلاقة ومصرحة عند سؤاله عن شفطه الغراء وهروبـه المستمر من البيت

كان يخجل ويرتبك عند سؤاله عن قضية الواط ودائماً ما يغطي وجهه بيديه ويجب إجابات بصوت يكاد يكون غير مسموع.

وبدأت الباحثة بسؤال الحدث عن نفسه ودراسته فقال :

«أنا من منطقة الخالدين من الخان، كنت «طالب» في مدرسة الخليج العربي لكنهم السنة فصلوني «علشان أغيب وايد»، وأرسب في الدراسة». قال هاتين الجملتين وسكت. فتعلق الباحثة «كل، ليش سكت؟! فقال «ما عندي شيء أقوله انتي اسأليني وأنا بجاوب». أحسست الباحثة أنه مرتبك وخائف نوعاً ما فحاولت الباحثة الحديث معه في مسائل عامة لكسر الحاجز النفسي، ثم حاولت إقناعه بأن هذه المقابلة ليست تحقيقاً ولكنها مجرد دردشة أخوية حتى أحسست بارتياحه قليلاً، فتابعت معه أسئلتها فسألته: «وين تعيش؟»؟ فقال: «أعيش في بيتنا مع أهلي أمي وأبويه وجدتي وأخواتي». وتضيف الباحثة «بيتكم شعبي واللا فيلا؟» فيرد «بيتنا شعبي فيه أربع غرف ومجلس وصاله». وتسأله الباحثة: كيف تقضي وقتك في البيت؟» فيقول: «أنا ما أجلس في البيت أرجع بس أرقد ساعات وأحياناً بعد ما أرجع أرقد على البحر، يعني معظم وقتني أقضيه خارج البيت أرجع بس أكل وأسبح، يعني حسب الظروف».

وتسأله الباحثة: أنتين شو العلاقة بينك وبين أهلك في البيت؟

فيقول: «العلاقة زينة أمي وأبويه يعاملوني زين بس أنا ما أعاملهم زين، هم ينصحوني وأنا كله أسوى الغلط - ويتبع - أحبهم كلهم، بس أخويه العور دائم يضاربني «ويضربني» وأكثر وحدة أحبها في البيت أمي لكن أبويه ما أشوفه إلا ساعات، ودائم يكون مشغول يا في البحر أو في المدرسة علشان هو يشتغل حارس وبباقي أخوانى كلهم أصغر مني وأحبابهم وأنوله عليهم يوم أكون هني في المؤسسة».

وتسأله الباحثة: «ليش دخلت المؤسسة؟ وكم مرة دخلت؟

فيقول: «هذا المرة الثالثة، المرة الأولية كانت بسبب شم الغراء، والمرة الثانية وهذا الثالثة الأخيرة كانوا نفس القضية وهي لواط وشم غراء، بس أنا خلاص هذا إنشا لله آخر مرة ما أبغى أرجع المؤسسة مرة ثانية، وإذا طلعت بسير «المنامة» بشتغل في العسكرية».

وتسأله الباحثة: «كيف صارت قضيتك الأخيرة؟».

سكت قليلاً وارتبك - فلعلت الباحثة لا تخف وتأكد أن الكلام اللي بيدور بيبني

وبينك ما بيطلع لأحد. «فابتسم قائلًا: «كنا يالسين في بيت واحد وكنا أربعة أنا واحد صديقي في نفس سني وهو باكستاني واثنين كانوا أكبر عننا كلهم «بلوش» واحد منهم عنده الجنسية والثاني ما عنده وكلهم يشتغلون في العسكرية، وكنا يالسين نشفط غراء يوم هاجمتنا الشرطة بس أنا ما شافو عندي الغراء، ويوم زخونا الشرطة وحققا ويانا أنا ما اعترفت بس هاذيلا «الي أكبر عننا اعترفوا علينا وعقب ما ضربونا نحن بعد اعترفنا وبعدين حكموا علينا أنا وهذا الباكستاني إيداع في المؤسسة والإثنين اللي أكبر عننا في سجن الشرطة».

وتضيف الباحثة: «انزین شوهي علاقتك بهذيلا الشباب اللي أكبر عنك؟»
فيقول: «ماشي أصدقاء بس أنا عمري ما طلعت ويامن بس ساعات نيلس مع بعض».

وتسأله الباحثة: «هذي أول مرة تمارس فيها اللواط؟»
فقال: «لا. هذي المرة الثانية لأن قضيتي الثانية كانت نفس التهمة وهي شم غراء ولواط».

وتسأله الباحثة: «كيف تعلمت شم الغراء؟»
فقال: «وايدين كانوا اللي يشمون غراء في الفريج واتعلمت منهم. وأنا كنت أشم من زمان من يوم أنا صغير وتركته مرة وقصو عليه الربع ورجعت أشفط وأخويه العود بعد كان يشفط وكل الأولاد اللي في الفريج يشفطون وأيتمنون الين الصبح يشفطون على البحر ماحد يقولهم شيء، والحين أنا مفتوك لأنني لو رجعت الفريج مرة ثانية برجع «أشفط غراء، هنئه مرتاح وماحد يضاربني بس أبيغي أطلع علشان أشتغل».

وتعلق الباحثة: «بتطلع علشان تشتعل واللا علشان ترجع مرة ثانية تشفط غراء وتسوى الأشياء اللي مب زينة!!».
فقال: لا. خلاص أنا تبت».

وتضيف الباحثة: «يعني بتسمع كلام أمك وأبوك».
فيقول: «انشالله».

وتسأله الباحثة: «انزین ما خبريتني شو علاقتك بأمك؟»
فقال: «عادية مثل كل واحد يعني ما في شيء، الوالدة تزورني ساعات لأنها مشغولة بأختي الصغيرة اللي ما تخليها تسير مكان بس يدتي دوم تزورني،

والوالد طبعاً حالف إنه ما يمر عليه ولا يزورني.
وتعلق الباحثة: «ليش؟».

فيقول: «ما أدرى بس هو زعلان مني علشان أنا أسوى هالأشياء بس هو بعد ما يسأل عنِي وايد ودوم يضاربني، يعني مرة ضربني بالحبل وأخذ رأسي وضربه في اليدار علشان جذيه أنا بعد ما أحب أليس في البيت علشان محد يضربني».

وتسأله الباحثة: «عيل منو يعطيك مصروفك؟».

فيقول: «أمي دايماً تعطيني إذا طلبت منها وأبويه طبعاً ما أشوفه لأنه يرجع من البحر ويسير المدرسة وكله مشغول وأنا بعد ما أحب أطلب منه علشان ما يضاربني».

وتسأله الباحثة: «أنزین في حالة رسوبك أو يوم تشرد من المدرسة وتبلغ المدرسة أهلك شو يسون؟».

فيقول: «الأهل ما يدرؤن إذا أنا ساقط واللا ناجح، أبويه ما يسأل مول عنِي وما يدرِّي أنا صف كم في المدرسة ولا يدرؤن إذا كنت أداؤم في المدرسة واللا أشد إلا إذا زادت أيام غيابي واتصلت المدرسة بالبيت تسأل عنِي، عقب عاد يدرؤن».

وتضيف الباحثة: «شو يسون عقب ما يدرؤن؟».

فيقول: «ماشي ينزعوني شوية ويسكنون».

وتسأله الباحثة: «أنزین أغراضك وطلباتك في البيت منو يسون لك؟».

فيقول: «بروحي والأكل تراه يسويه البشكار، ويوم أقوله يوعان واللا أبغى أكل يحط لي وأكل واطلع».

وتسأله الباحثة: «أنزین شو علاقتك بالبشكار في البيت؟».

فيقول: «ماشي أنا أصلاً ما أليس في البيت وهو - يقصد البشكار - كله في المطبخ ويوم يخلص طبخ يطلع شوية عند ربعة البشاير اللي في الفريج، بس يعني ما في شيء».

وتسأله الباحثة: «أنزین (ح) ما خبرتني أول ما عرفوا أهلك انك تشفط غراء شو قالوك؟».

فيقول: «أول ما دري أخيه الكبير ضربني، وأمي نازعني شوية وتمت

تنصحني بس أخويه بعد روحه يشفط غراء وكل الشباب في الفريج يشفطون» - ويتابع - «أول شيء ما خبروا أبويه علشان ما يضربني وبعدين تميت أشفط وهم ما يدرون الا يوم حد يخبر عليه أخويه».

وتضيف الباحثة: «أنزين (ح) ما كلمتني عن أبوك مول ولا قلت لي كيف علاقتك وياه؟».

فيقول: «أمي تحبني أكثر وتراعيني، أبويه ما أشوفه إلا ساعات ويوم أشوفه دائم يضاربني ويعايرني وأحياناً يوم يكون في البيت أنا أكون برع ويا الربع ويوم أنا في البيت يكون هو محد، بس أمي أشوفها وأحبها بعد أكثر».

وتضيف الباحثة: «أنزين أبوك يوم ما يشوفك يسأل عنك؟».

فيقول: «يسأل ويوم ما يحصلني ويوقلون له برع يسكت ما يقول شي ساعات يوم يعرف إني مارجعت البيت من يوم أو شيء يضربني بقوة مرة ضربني بغي رأسى ينطر».

وتسأله الباحثة: «أنزين (ح) ربuk ما يزورونك في البيت؟»

فيقول: «لا. لأنى كله أطلع وأشوفهم برع، ساعات يمرون عليه ونطلع مع بعض».

وتضيف الباحثة: «يعني أهلك يرحبون بأصدقائك في البيت؟».

فيقول: «هيه. بس أنا محد يزورني علشان أنا كله أطلع برع وأشوفهم في الفريج».

وتسأله الباحثة: «شو علاقتك بيديتك؟».

فيقول: «يدوتي عيوز ما تسوبي شي، وتحبني وايد بعد أحبابها وكل مرة أبغي فلوس تعطيني، وهي اللي تزورني دائم في المؤسسة».

مقابلة أسرة الحاله :

وتمت المقابلة بتاريخ ٢٥/٢/١٩٨٨م. وعندما طلبت الباحثة مقابلة الأم لم تتأخر بل أسرعت بالقدوم ولكنها كانت خجلة وخائفة نوعاً ما، فتعرفت عليها الباحثة وعرفتها على نفسها وحاولت التحدث معها بشكل عام حتى تخفف من وجهاً وعندما ابتدأت الباحثة التحدث مع الأم عن ابنها كانت الأم متربدة وفي نفس الوقت كانت تزيد أن تقول أشياء كثيرة ولكنها خائفة، واتضاح للباحثة بعد ذلك أنها كانت خائفة أن يصل الكلام الذي ستقوله إلى مسامع زوجها مما

يمكن أن يسبب لها مشاكل، حيث أن زوجها يرفض أن يزور ابنه في المؤسسة ويمنع الأم من زيارته أيضاً، ويكره أن يكلمه أحد عنه. وظهر ذلك واضحاً عندما سالت الباحثة الأم عن الآب ولماذا لم يحضر معها للمقابلة. وعموماً طمأنت الباحثة الأم ووعدتها بأن الحديث الذي سيدور بينهما سيكون سراً.

وابتدأت الباحثة بسؤالها: «شو رأيك في (ح)؟».

فقال: «أنا أحب (ح) وايد وما أتمنى له كل هذا اللي يستوي ولكن شو أسوى لا حول لي ولا قوة، يعني أنا أتمنى أن يكون بخير ويكمel دراسته مثل الأولاد ويصللي ويصوم، تعبت وأنا أكلمه لكنه ما يأخذ بكلامي». وهنا امتلأت عين الأم بالدموع فأدارت وجهها ومسحت دموعها.

وتعلق الباحثة مهدئة للأم: «ولا يهمج يا أم (ح) انشالله بيكون مستقبله أحسن وببكيه ويستوي ريال وبينفعك في المستقبل».

وتكمel الأم: شو أسوى أنا كل اللي أقدر عليه أسويه حسب معرفتي لكنني أنا بعد مريضة وعندي الضغط، ويوم أشوف حالة هذا الولد جذبة يزيد عندي الضغط، الله يصلح حاله ويهديه».

وتسألها الباحثة: «أنزين متى عرفتني أن ولدج يشفط غراء ويمارس اللواط»؟

قالت: «الغراء الحين كل الأولاد يشفطونه ما حد منهم ما يشفط غراء وكل ما نسأله عن واحد قالوا يشفط، الحين مستوى شي عادي ما حد ما يستعمله وكم كلمناه - تقصد ابنها - عن الغراء وقلنا له بيضر صحتك بس ما نقدر نبيوده عنه تراه يطلع من البيت ويسير عند ربعة ويامهم وكلهم يشفطونه ما حد أحسن عن حد وإذا منعنناه من الطلعة ترانا ما نقدر نمنعه عن سيرة المدرسة وترامهم في المدرسة يحصلونه كل واحد منهم يحط في جيبيه واللاتراهم يشردون من المدرسة ويسيرون يشفطون.. شونسوسي!!! أما عن هذا الخياس اللي يسويءه - تقصد اللواط - ترانا مادرينا إلا يوم زخوه الشرطة وخبروا أبوه في المرة الأولى، ولكن بعدين عقب ما دخلوه مركز الأحداث علشان فعلته الأولىه وطلعوه تميت بروحى والله أرافقه ولا أخليه يخوز عن عيني حتى المدرسة كنت بروحى أوديه الصبح كل يوم لكن هناك اليوم اللي شرد فيه من المدرسة واستقتوت عليه هذى القضية كنت أنا مريضة وما أقدر أقوم من الفراش وأبويه كان في البحر فما قدرت أوصله المدرسة وبعدين اتصل المشرف الاجتماعي من المدرسة وقال إن (ح) اليوم ما حضر إلى المدرسة واختفى من يومها ثلاثة أيام. ألين زخوه

الشرطة في الكراجات اللي في المنطقة الصناعية عقب ما بلغ عنه أبوه، واللأنا والله، كنت أراقبه حتى مصروف ما كنت أعطيه اللا القليل علشان يشرب بارد ولكن مع ذلك سوى عاد اللي سواه.

وتسأله الباحثة: «كيف كانت طفولة (ح)؟

فقال: «عادي يعني ما في شيء غير باقي العيال كلنا نحبه لأنه هادي وحبوب وما كان يسو مشاكل أبداً في البيت اللي بيغيه نعطيه إيه وكل شيء في البيت متوفّر بدل التلفزيون فيه ثلاثة والفيديو اثنين وكل شيء بيغونه محظوظ أدامهم لكنه ما أدرى ليش استوى (ح) جديه - وتنابع - بس هو من يوم صغير من يطلع من البيت ما يرد إلا إذا سرنا ندوره ونرجعه البيت. وكان أول في المدرسة ويسيّر كل يوم وما في أي مشاكل، إلا الحين طلعت لنا هذى المشاكل».

وتسأله الباحثة: «أنزین ليش عيل هو يحب يطلع من البيت ويقضي وقته كل بربع؟».

فقالت الأم: «والله ما أدرى يعني ما في شيء في البيت قاصر ولا حد في البيت يأذيه وكم قلنا له إذا بيغي غرفة بروحه بنسوبي له، إذا ما يحب بيلس وبآخره بس ما يقول الأبو مثل ما قلت لج مب مقصر عليهم كل شيء بيغونه يعطيهم لكنه يضربه أحياناً إذا سوى الغلط».

فتطلق الباحثة: هل يعني هذا أن الولد يهرب من البيت علشان أبوه يكون موجود ويختلف منه يضربه أو شيء فيطّلع من البيت».

فترد الأم: «بالعكس الأبو ما ييلس في البيت، كل وقته في الشغل في البحر واللا في المدرسة وإذا عنده وقت يقضيه ويا أصدقائه يسهرون».

وتعلّق الباحثة - كيف يعني تكون سهراتهم يعني بوعيال يشرب!!؟ ارتبتك الأم وتراجعت قليلاً ثم ابتسمت وقالت: «كان يشرب لكن الحين ودر كل شيء».

وتنابع الباحثة أسئلتها فتسأّل الأم «شو علاقة (ح) بأخواته؟».

فتقول الأم: علاقته زينة ويام، كلهم أصغر منه ما عدا أخيه الكبير اللي دوم في مشاكل ويه لأنه يضربه يوم يشوفه مسوبي غلط وينازعه لأنه يرقد ويه في الحجرة - فتعلّق الباحثة - يمكن هذا اللي مخلية يترك البيت باستمرار؟

فتقول الأم: ما أظن لأنني كم مرة قلت له إذا ما تبغى ترقد ويا أخيك تعال

ارقد في المجلس أو بنسو يلوك غرفة ثانية، نحن ما بنقصر عليه لو يبغى شيء بس هو ما يقول أنه متضايق».

وتسأل الباحثة مرة أخرى عن الأب وهل يمكن مقابلته؟

فتقول الأم: «الحين هو اللي وصلني وبيرجع يأخذني بعد ساعة ويمكن إذا طاع تشويفينه، بس الله يخليج ما تقولين له شيء عن الكلام اللي قلته لك عن لا يسو لينا مشاكل مع انه حالف ما يدخل المركز ولا يشوف ولده أبداً».

وفعلاً عندما حضر الأب ليأخذ الأم طلبت منه الباحثة النزول لتتبادل أطراف الحديث عن الحالة (ابنه) لكنه رفض قائلاً:

«أنا حالف ما أدخل المركز وإنما تبغين تكلمي ممكناً واحدنا واقفين عند الباب لأنني مشغول ولازم أرجع شغلي.. وما عندي كلام عن الولد.. والأم تراها كانت عندكم جان سالتوها عن كل شيء ماشي فرق بيننا..».

وتعلق الباحثة: بس هل تعتقد أننا نقدر نتكلم بهذه الطريقة؟ ليش ما تتفضل داخل وندردش شوية».

فقال الأب منفعلًا «أنا قلت لج أني حالف يمين ما أدخل المركز وبعدين أنا مشغول ورايه شغل وما عندي كلام عن الولد، أنا بروحى تعبت من هذا الولد كل شيء يحتاجونه موجود في البيت، كل شيء متوفّر في البيت التلفزيون والفيديو والأكل وما يطلبون شيء إلا أعطيهم إيه، أقصر على عمري وأعطيهم عقب كل هذا يفصحونني بين الناس بشغلاتهم الخايسة هذي اللي يسوونها».

وتعلق الباحثة: «بس نحن لازم نبحث مشكلة الولد ولازم انت وأمه تساعدونا علشان نقدر نعالجها ونعلمه ونخليه إنسان نافع للمجتمع ويشرفكم ويرفع رأسكم».

في رد الأب «شو يعني» بيكون ناقصنه، نحن يوم كنا في سنهم هذا ندخل البحر ونجاسي البرد والتعب ولا حد يدلعنا ولا عندنا كل هذا اللي الحين هم يمتلكونه والحمد لله طلعننا رياييل ما حد يقدر يتكلم علينا في شيء، فتحنا بيوتنا وسوينا أسر وعيال وترانا مثل ما تشويفين لا تعلمونا ولا دخلنا مدارس ولا حصلنا على التربية اللي الحين هم تربوها - يقصد توفر الاحتياجات المادية المختلفة - لكن عيال هذا العصر مصيبة كل يوم يطلعون لنا بشيء مع أنه كل شيء متيسر عندهم حتى العلم ما يقدرون يتعلموه ويستون رياييل الولد إذا

تم على هذا الحال بتبرأ منه، والحين هو عندكم أدبواه وعلموه نحن تعينا ونحن نعلم ولكن جنا ناذن في مسید خراب». ويتابع - نحن تأخرنا كثير ولازم أرجع الشغل واستأند مع زوجته وطفلته.

التعليق العام :

من الواضح من عرضنا السابق للحالة أن شخصية الابن ضعيفة جداً ومهزوزة وسهلة الانقياد وراء الآخرين ولكن هذه الشخصية لم تتكون من فراغ فبطبيعة الحال هناك عوامل بيئية أسرية تعاونت جميعها لتشكيل هذه الشخصية، وإن كان اللوم الأكبر يقع على الأسرة باعتبارها هي المسئول الأول عن تكوين وتنشئة هذه الحالة وصياغة مبادئ هذه الشخصية، والتي تأتي بعد ذلك العوامل الأخرى من بيئته ومدرسة وأصدقاء ومواقف مختلفة لتصقل وتزيد أو تقلل هذه المبادئ.

وكما هو ملاحظ أيضاً أن أسرة الحالة غير متحملة هذه المسئولية، فالآباء مشغولون بمهنتهم - الصيد في البحر بالإضافة إلى عمله كحارس - هنا نجد الرقابة الآبوية تكاد تكون معذومة، تماماً ومتى كان هناك اتصال بين الابن وأبيه فيكون مشوباً بالقسوة الشديدة واللوم والضرب. إذن من الطبيعي أن يؤدي هذا إلى جنوح الابن وانحرافه، ومحاولته المستمرة للبحث عن الأمان والسبيل الأخرى المتيسرة أمامه التي تحقق له ذاته، وكما يقول بارسونز إن عمليات التفاعل الاجتماعي بين الفرد والآخرين تؤثر في توجيهه نحو مختلف المواقف وأنه متى أصبح نسق التفاعل هذا بالاضطراب أدى إلى إحباط نسق التوقعات عند الآنا نحو الآخر مما يؤدي في النهاية إلى وقوع الآنا في توتر وصراع يؤدي به إلى الانحراف.

هذا بالإضافة إلى أن والد الحالة معروف بتعاطيه الكحول، وأن أوقات فراغه يقضيها دائماً مع أصدقائه في بيوتهم أو في بيته، حيث يجمع أصدقائه للسهر والشرب على أنفاس العود، أما بالنسبة للألم فهي دائماً مريضة بضغط الدم بالرغم من صغر سنها بالإضافة إلى ضعف شخصيتها أمام الزوج وأميتها. هذا فضلاً عن أنها تدلل الابن كثيراً مما يؤدي في النهاية إلى تأرجح تربية ابن بين القسوة الشديدة والتدليل المفرط وما ترکه أو تشكله هذه التربية من اتجاهات سلبية في نفسية الطفل كما ذكرها شيلدون وجلوويك في دراستهما عن البيئة العائلية والجنوح.

أما الأخ الأكبر والذي كان ممكناً أن يكون قدوة وأن يتحمل مسؤولية إصلاح وإرشاد أخيه فهو بنفسه مدمن على شفط الغراء وعاطل وتارك للدراسة منذ مدة طويلة، إضافة إلى قسوته الشديدة على الحالة حيث إنه دائمًا يضربه ويطرده من المنزل في حالة غياب الأب. وهذا كله واضح على شخصية الابن فهو يعاني من اضطرابات في العلاقة الوجدانية مع الأب نظراً لضيق شخصية الأب وأسلوب معاملته القاسي مع الابن، وهذا الاضطراب دفعه إلى التوحد الجنسي الشاذ لما هو بديل عن الأب، كذلك أدى إلى توقف نموه الوجداني عند المرحلة الشرجية التي يستمد منها الاشباع وفقاً لمبدأ اللذة والمتعة وفي نفس الوقت لم يجد الاهتمام والرعاية الكافية من الأم التي أسرفت في تدليله، ولا من الأخ الذي كان يمكن أن يكون قدوة سليمة لأخيه، وتعاوناً له وحالاً مشكلاته باعتباره أقرب منه سنًا وأكثر تفهمًا له من أمه وأبيه، ولكن كيف فقاد الشيء لا يعطيه، فالأخ الأكبر نفسه مفلس من المبادئ والقيم العامة وقاد للتربية والتنشئة الاجتماعية السوية وغاب في الإدمان على الغراء، فهو يعاني من اضطرابات نفسية وفراغ وجوداني كبير، وبالتالي فهو يسقط كل صراعاته النفسية على أخيه فيضره ويقسو عليه. كل هذه العوامل خلقت من الحالة شخصية مكسورة ومقهورة إلى حد كبير، وهذا الكسر والقهر جعل منه شخصية سهلة الانقياد ويمكن إغرائه بسهولة مما دفعه إلى طريق الشذوذ وإدمان شفط الغراء محاولة لنسيان واقعه التعيس ووضعه الضائع المشتت وتعويض نفسه بأساسيات كثيرة تنقصه.

الحالة الثانية :

التكوين الأسري للحالة :

ولد الحال «في مدينة الشارقة سنة ١٩٧٠ من أب يحمل الجنسية العراقية، وأم مواطنة تحمل جنسية الإمارات العربية، ومن أسرة معروفة في المنطقة، تزوجت الأم من أب الحدث، وعاشت معه فترة أنجبت فيها الحالة وأخاً أكبر منه، توفى في حادث سيارة وأختاً أصغر من الحالة، ثم انفصلت عن أب الحالة بعد كثير من الخلافات والمشاكل، وتزوجت من آخر إيراني ولم تستقر معه إلا شهور وهرب منها راجعاً إلى بلاده، وأنجبت منه بنتين تدرسان الآن في المرحلة الابتدائية، أما الأب فلم يتزوج بعد أم الحالة وظل يعيش وحيداً وهو الآن يعيش مع أبنائه وأمهما في بيت واحد ولكنه مفصول، ويقوم برعاية أبنائه، وقد كان يعمل موظفاً في شركة «مكرمات» ولكنه تقاعد بسبب كبر سنه، ويعيش

الآن من دخل البيوت التي يؤجرها بالإضافة إلى الضمان الاجتماعي الذي تمنحه الدولة للأم باعتبارها مواطنة ومطلقة. أما الأم فقد كانت تعمل فراشة في إحدى مدارس البنات الحكومية وتتقاعدت بسبب كبر سنها ومرضها والعاهات التي تعاني منها، فهي لا ترى ولا تسمع وتعاني من مرض الوسواس، ويقوم الأب بخدمة أبنائه فيقوم بعملية الطبخ والغسيل وتنظيف البيت ورعايَة الأم حيث لا يوجد في البيت أي خدامات، فالاب متelligent بكل الأعمال المنزليَة، وتسكن الأسرة في منطقة معروفة وجيدة من حيث المستوى الاقتصادي والاجتماعي، وتعيش في منزل ملك لها، وتعتبر الأسرة ميسورة الحال إلى حد ما.

السمات الشخصية للحالة :

الحالة : أسمُر اللون، معتدل الطول، معتنٍ بمظهره وبنظافة ملابسه، درجة ذكاءه أقل من المتوسط وتبدي عليه علامات البلاهة، ولكنه ليس كذلك، وهو على وجه العموم يتمتَّز بالانسحابية والسلبية والاضطراب والصراعات النفسية، لكنه محبوب من الآخرين ومتعاون مع زملائه. أما بالنسبة للوضع التعليمي للحالة فقد وصل حتى الصف الخامس الابتدائي وترك الدراسة لأنَّه كثيراً الرسوب والغياب، وهو لا يعرف القراءة والكتابة، ونظراً لأنَّ ذكاءه أقل من المتوسط فإن قبولة التدريب والتعليم ضعيف، ومعلوماته العامة ومستواه الثقافي متذبذب جداً.

الحالة الصحية والنفسية للحالة :

لا يعاني الابن من أي أمراض جسمانية أو عاهات، فصحته البدنية جيدة ونمُوه طبيعياً وعادياً جداً، أما حالته النفسية فهي ممزقة للغاية فهو يعاني من اضطرابات وجدانية، ونظرته سوداوية للمحيط الذي حوله، ولديه نزعة تدميرية، ومزاجه العام متوتر، وعلاقته بأسرته مضطربة ولا يحمل أي تقدير لوالديه. ويمتاز بالسلبية والانسحابية ويعيش كثيراً في أحلام اليقظة، ويسهل انقياده، ولديه مشاعر وإحساس بالدونية وأنَّه أقل من الآخرين لأنَّه لا يملك جنسية أو جواز الدولة، وهذا يجعله مشتت الوجودان والاتجاه.

قضايا الحالة :

قضايا الحدث كثيرة منها ما هو مسجل في سجلات الشرطة ومؤسسة الأحداث وقبض عليه بسببها، ومنها ما هو خاف وغير معروف للمسئولين، وكلها قضايا سرقة واعتداء على أملاك الآخرين. وأول قضية قبض فيها عليه هي سرقة صيدلية في مدينة الشارقة وكانت بتاريخ ١٦/٣/١٩٨٣م، أما

قضيته الثانية فهي سرقة دراجة وسياقتها بدون رخصة والهروب من رجال الشرطة وكانت بتاريخ ١٦/٢/١٩٨٥، أما قضيته الثالثة فهي محاولة سرقة سيارة من «الحرقة» وهي مكان تجميع السيارات القديمة، وقضيته الرابعة هي الهروب من الحجر القانوني وكانت بتاريخ ٣٠/١٢/١٩٨٦ حيث حكم عليه بالجلد (٢٥) جلدة والإيداع في المؤسسة وهرب، أما قضيته الخامسة فهي التعدي على أملاك الآخرين وهي القضية التي بسببها أودع في مؤسسة الأحداث.

سلوك الحال في المؤسسة :

يمارس «الحالة» نشاطه في المؤسسة بدون آية عدوانية لأنه انقيادي بطبيعته، ويحب الانغماض في الشللية ويميل إلى الجلوس مع من أكبر منه سنًا، ويتكلّم كثيراً وهو على المائة ولكنه يتناول طعامه بطريقة عادلة، يشارك في النشاط الرياضي ولكنه يفتقد النشاط والحيوية، ويقوم بالأعمال الفنية المطلوبة منه في الحصة الفنية ودائماً يشارك زملاءه في العمل.

مقابلة الحال :

ابتدأت المقابلة بالتعرف على الحالة وكان المبحوث خجلاً، ويخفي وجهه بيديه ولكنه كان متعاوناً، ويجيب عن كل الأسئلة بوضوح وإسهاب، ويتحدث عن مشاعره بكل طلاقة وصراحة ولكن دون أن يرفع يديه عن وجهه إلا قليلاً عندما تكون الباحثة لا تنظر إليه، وفي بداية المقابلة سألتة الباحثة: «لماذا أنت في المؤسسة؟»

فقال: «سرقت بيت واحد سوداني».

وتضيف الباحثة: «كيف تمت السرقة؟».

فيقول : «كنت مع واحد ربيعي اسمه (م) وكان هذا يشرب وايد، وهذاك اليوم ما كان عنده خمر فقال لي تعال دخل بيت أي حد يمكن نحصل خمر، وإذا ما حصلنا بنسرق فلوس وبنسيير نشتري، ودخلنا بيت واحد سوداني وحصلنا فيه خمر وسرقناه، أنا ما كنت ناوي أسرق أي شيء، بس كنت ويه ولكن يوم دخلت البيت وشفت فيه مسجل سرقته، لأنني ما عندي مسجل أتسمع فيه الأغاني، وسرقت بعد سلسلة أعطيتها واحد من الربع، وفي اليوم التالي سار صديقي (م) السينما وسرق واحد هندي وأخذ منه حوالي ٦٠٠ درهم، فزخوه الشرطة

بحوث ودراسات

وصربيوه فاعترف بكل السرقات اللي سواها ومنها سرقة بيت السوداني وقبضوا عليه وحكموا علينا هو خمس شهور في السجن المركزي، وأنا حكموا عليه عشر شهور إيداع في المؤسسة.

ثم سأله الباحثة عن نفسه ودراسته؟ فقال: «كنت طالب في مدرسة علي بن أبي طالب في الصف الخامس، لكنهم فصلوني لأنني ضربت المدرس، ولأنني كنت أسقط وايد وأشرد من المدرسة كثيراً، وكانت يوم صغير أسوى مشاكل كثيرة بس ما كان حد يزخني، لكن الحين قاموا يزخونا ويحطونا في المؤسسة واللا أول محد يدرني كنت كله أسرق لعب علشان العب فيها».

وتعلق الباحثة: «ليش تسرق اللعب؟».

فيقول: «علشان أهلي ما كانوا يشترون لي لعب، وما كانوا يعطوني فلوس علشان أشتري، كانوا يعطوني روبيتين بس علشان أشتري حلاوة علشان جذيه كنت أسرق اللعب».

وتسأله الباحثة: «الحين انته ويامنو عاييش؟».

قال: «أنا أمي وأبوتي منفصلين وأمي تزوجت عقب أبوتي واحد «إيراني» وبعدين طلقها، وهي الحين ما تشوف ولا تسمع، وأبوي بعد ما طلق أمي سار يعيش في عجمان بس الحين رجع الشارقة ويعيش وياما في البيت الثاني - ويتابع - لو ما طلق أبوتي أمي جان - أي كان - ما استوى لي هذا كله ولا كنت سرتق وسوية هذي المشاكل».

وتسأله الباحثة: «ماذا كانت علاقتك بزوج أمك؟»

فيقول: «أنا ما شفته لأنه عقب ما تطلقا أمي وأبويه ما كنت أحب إيلس في البيت وأقضى كل وقتني برع، ولا أحب أرقد عند أي واحد منهم، كنت أول أحبهم لكن الحين ما أحب أحد فيهم حتى «يدي» - يقصد جده أبا أمه - أكرره لأنه هو السبب اللي خلي أمي وأبويه يطلقون».

وتعلق الباحثة: «كيف؟»

فيقول: «كان يحرض أمي علشان تسوي مشاكل مع أبوتي، ويقول لها لازم تطلقين منه علشان هذا عقب بيأخذ عيالج وبيشرد وبيوديهم العراق، علشان جذيه أنا أكرره، وبالرغم من أنه غني وكان يقدر يطلع لنا جواز لكنه ما كان يرضي وهو السبب اللي مخلنا الحين بدون جواز وجنسية والحين مات ولا عطى أمي شيء كل فلوسه أعطاها أولاده اللي يحبهم، علشان جذيه أكررهم كلهم».

بحوث ودراسات

حتى أمي أكراها لأنها يوم حكموا عليه ما طلبت لي «استئناف» مثل أميات باقي الشباب، وكل مرة تسير تبلغ عن الشرطة ويوم يزخوني تقولهم خلوه عندكم. وتسأله الباحثة: أنتين أنت شو سويت يوم انفصلوا أمك وأبوك؟.

فيقول: «كنت أصبح طول الوقت وكنت كله برع البيت أدور في الشوارع وأكره أرجع البيت، أحياناً أسير عند أبويه في عجمان وأحس أنني مشتاق لأمي، وأسير عندها، وكانت في نفس الوقت أحس إنني مشتاق لأبويه وأسير عنده، وكانت دوم - أي دائماً - أطلب من أبويه أنه يرجع البيت ويعيش معاناً، لكنه ما يطيع وبعد سنة تقريباً رجع أبويه مرة ثانية الشارقة وعاش ويانا لكن في البيت الثاني».

وتسأله الباحثة: «كيف كانت العلاقة بين أبيك وأمك قبل ما ينفصلون؟».

فيقول: «كانوا كل يوم يتضاربون وكانت يوم أشوفهم جذيه أشد من البيت، أسيء إلى دبي وأبوظبي أتمشي في الشوارع وكانت أيمع مصروفي لأنني أعرف أنهم بيتضاربون وما بيتمون جذيه فأيمع - أي أجمع - مصروفي، ويوم تستويي الضرابة - أي الخناقة - أخذ فلوسي وأشد - ويتابع حدبيه - وفي بداية انفصالهم حسيت بالراحة علشان ما يستوي مشاكل ثانية، وبينفتك من الحشرة، لكن بعدين حسيت إني أشتاق لأبويه وكانت أتمنى أنه يرجع البيت ويعيش ويانا وكل مرة أسيء عنده أحاول ويه بس ماشي - أي بدون - فايدة، لأن أبويه قبل ما يطلق أمي استويت ضرابة بينهم أبويه ضرب أمي وطر - أي شق - رأسها فسارت إلى الشرطة واشتكت عليه وسجنوه لمدة يوم لأن أمي سارت بعدين تنزلت عن القضية بعد ما ترجيناها أنا وأخواتي.

وتسأله الباحثة: «شو يكون موقفك يوم يتضاربون أمك وأبوك؟».

فيقول: «كل مرة يتضاربون يسببون لي فضائح ومشاكل بين رباعي في الفريج لأنهم دائم يسألونني ليش أمك وأبوك يتضاربون وليش كله في بيتكم صراح، وأنا أفتح وأستحي أرد عليهم، وكل مرة أكلم أبويه وماشي فايده».

وتسأله الباحثة: «شو دور أهلك الباقيين من ضرابة أمك وأبوك المستمرة؟

فيقول «أهل أبويه كلهم في العراق لأن أبويه أصلاً عراقي بس مهاجر تقريباً من (٢٨) سنة وعايش في الإمارات، أما أهل أمي فكلهم موجودين في الإمارات بعضهم في دبي وبعضهم في الشارقة لكنهم مقاطعين أمي ولا يزورونها، ومعظمهم ما أعرفهم ولا هم يعرفوني إلا أولاد خالي أعرفهم بس من بعيد يعني

بالسلام ما في بيننا صلات، وساعات أسيء أوصل أمي عند بيت خالي وأرجع من برع من غير ما أدخل عندهم، وعندي أخوال وايد لكنهم ما يعرفونا ولا يسألون عنا.. ونحن ألين - أي حتى الآن - الحين ما عندنا جوازات ولا جنسية مع أن كل أهلي عندهم ومع أتنا ولدنا في الشارقة وعشنا فيها وأخوالي يقدرون يطلعون لنا جوازات لكنهم ما بيغون والحين أنا لو أطلع من المؤسسة وخلاص أبغى أشتغل وأتوب وأصرف على عمري ما بقدر أشتغل لأن ما عندي جوان، وهذا كله من أهلي».

وتعلق الباحثة: «انتو قدمتوا طلب للجوازات ولا لا؟».

فيقول : «قدمنا وكل مرة يقولون لنا تعالوا بعد شهر أو شهرين وبدون فايده، اللي غيرنا لبنانيين ويمينين وهنود عندهم جوازات يقدمون ويعطونهم علشان عندهم واسطات لكن نحن اللي تربينا في هذى البلد ما يعطونا».

وتسأله الباحثة: «انته تتعاطى أي مخدرات أو خمور؟».

يقول: «كنت أتعاطى الغراء لكنني الحين تركته بعد ما مرضت وتميت أنزف دم من حلقي فودرته - أي تركته - وبس وبعد ما استعملت أي شيء آخر مع أن الشباب اللي ويايه يستعملون أشياء وايده وأشوفهم جدامى لكن ما جربتها ولا أحب أسويها بعد».

وتسأله الباحثة: ما هي هذى الأشياء؟».

فيقول: «مثلاً حد منهم يغص الجكاراة - أي السيجارة - في أي عطر رخيص ويتركها بعدين الدين أي إلى أن - تجف ويدخنها وينسطل، ومنهم اللي يأكلون التمر وكريم نيفيا ويسكرن على طول، وحد من الشباب يستخدمون الريحان يجفونه في الشمس وبعد يحطون عليه نوع من الخمر ما أعرف شو هو بس لونه أحمر والفرشة مرسوم عليها ثعلب، وبعد ما يصبون عليه الخمر يخلون بعد فترة ويخلطونه زين ويشمونه وي Sinclair وآشياء وايد يسونونها منها اللي شفته ومنها أسمع عنه بس».

وتعلق الباحثة: «الحمد لله إنك تخلصت من هذى السموم إن شاء الله الحين بتطلع من المؤسسة عن قريب وبتحصل شغل وبتترك السرقة وغيرها، وأتمنى أنك ترجع مرة ثانية بعد الدراسة»..

ويقاطع المبحوث هنا الباحثة ويقول: «أنا خلاص أبغى أتوب وأشتغل وأعتمد

بحوث ودراسات

على نفسي مثل باقي الشباب الزيتني لأنني تعبت جذبها ولو كان اللي صار بين أبيه وأمي ما صار أساساً جان أنا ما استويت جذبها ولو أهلي يساعدوني ويطلعن لي جواز جان انحلت كل المشاكل وحصلت شغل».

مقابل أسرة الحالة :

زارـتـ البـاحـثـةـ الأـسـرـةـ فـيـ منـزـلـهـ سـكـنـهـ بـإـمـارـةـ الشـارـقـةـ حـيـثـ اـسـتـقـبـلـهـ كـلـ مـنـ الـأـمـ وـالـأـبـ، وـكـانـ الـبـيـتـ عـبـارـةـ عـنـ فـيـلاـ صـغـيرـةـ مـرـتـبـةـ وـمـؤـثـثـةـ بـشـكـلـ بـسـيـطـ حـيـثـ دـخـلـتـ الـبـاحـثـةـ مـعـ الـأـبـوـيـنـ إـلـىـ الـمـجـلـسـ لـتـبـادـلـ أـطـرـافـ الـحـدـيـثـ، الـأـمـ كـانـتـ جـالـسـةـ لـمـعـ الـأـبـ وـلـاـ تـسـمـعـ وـلـاـ تـرـىـ إـلـاـ بـشـكـلـ بـسـيـطـ وـهـيـ طـوـيـلـةـ الـقـامـةـ صـحـتـهاـ جـيـدةـ، أـمـاـ الـأـبـ فـهـوـ قـصـيرـ الـقـامـةـ ضـعـيفـ الـبـنـيـةـ يـبـلـغـ مـنـ الـعـمـرـ حـوـالـيـ (٦٠ـ)ـ سـنـةـ يـدـخـنـ الـبـابـ وـيـقـومـ بـكـلـ أـعـمـالـ الـمـطـبـخـ. وـبـمـاـ أـنـ الـأـمـ لـاـ تـسـمـعـ وـلـاـ تـرـىـ لـذـاـ دـارـ الـحـدـيـثـ مـعـ الـأـبـ حـيـثـ سـأـلـتـهـ الـبـاحـثـةـ فـيـ الـبـداـيـةـ عـنـ ظـرـوفـ حـيـاتـهـ الـأـسـرـيـةـ وـحـيـاةـ الـابـنـ فـيـ الـأـسـرـةـ».

فيقول: «سلوك (ع) - يقصد الحالة - مب زين في البيت، يطلع من بعد الغدا وما يرجع إلا الساعة اثنين في الليل أو الصبح، ويوم أسأله وين كنت يقول نايم عند ربعمي».

وتعلق الباحثة - «ما تعرف ليش هو يطلع من البيت وما يحب ينام فيه؟ فيقول: «والله ما أدرى، أنا فترة كنت في عجمان أعيش والولد كان موجود مع أمه، وكان قبل ما نفترق زين، بس الحين احترت ما أدرى ليش، وأنا ما خذ بالي منهم زين بعد ما رجعت أعيش معهم مرة ثانية، أسأل عنهم باستمرار وأسوبي لهم كل شيء لأن أمهم الحين تعبانة خلاص ما تقدر تسوي شيء».

وتسأله الباحثة: «ليش انتو انفصلتوا؟

فقال: «نحن تطلقنا من ثمانية سنوات وأول ما تزوجنا كنت أنا أشتغل في شركة ماكدرموت وكان حالنا زين، وكل شيء تبغيه - يقصد زوجته - أوفره حقها في البيت بس، بعدين ما أدرى شو صار لها تمت تعاريفني بأنني شيبة وعجز وبذلت المشاكل بيننا، وفي تلك الفترة تعلقت بواحد إيراني وحبته ويوم تطلقنا تزوجته، وتم عندها مدة بسيطة وهرب بعد ما حملت منه والين الحين ما تعرف هو وين».

تسأله الباحثة: «شو كانت علاقة الحالة بالزوج الثاني؟».

فيقول: «ما في كانت علاقة الولد كان صغير وما كان فيه بينهم أي شيء، وبعدين هذا الإيراني ما أخذ إلا فترة بسيطة مع الأم وشرد الين الحين ما تعرف شيء عنه؟».»

وتسأله الباحثة: «شو هي علاقة الابن مع أمه وأخواته؟».»

فيقول: «الأم أصابها شويه خلل بعد ما مات ابنها الكبير اللي هو أكبر من - الحالة - وأصابها وسواس وتمت تخاف على الولد الصغير - الحالة - فكل ما يغيب عن البيت أو يسوبي شيء لو حتى بسيط سارت وبلغت الشرطة، ويوم يزخونه ترتاح وتقول خلية عندهم، لأنها كانت تعتقد أنه كل ما كان عايش برع ويطلع وهي ما تدربي يروح وبين يمكن يستوي عليه شيء مثل أخيه، وتحس بالأمان يوم يكون عند الشرطة أو في المؤسسة علشان جذبه الابن كل ما تسير الأم تزوره يرفض رؤيتها، أما أخواته فعلاقته معهم زينة كلهم يحبونه ويحافظون عليه، وأحياناً كانوا يحصلون في غرفته على غراء أو فوق المنزل ويوم يكلمونه ينكر ويقول إنه ماله خص».»

وتسأله الباحثة الأب: «فيه أصدقاء عند الحالة يزورونه في البيت؟»

فيقول: «فيه عنده أصدقاء، الذين منهم اللي نعرفه زين وسمعته زينة يدخل البيت ويلبسون في الميلس يطالعون أو يلعبون ورق، ولكن اللي مب زين منهم وبطالي ما ندخله لكن بعد كل هذا اكتشفنا أنهم بيلبسون يشفطون غراء عندنا في البيت فمنعناهم من الدخول في البيت».»

وتسأله الباحثة: «منو يصرف على البيت ومسئولي عنده؟».»

فيقول: «أنا الحين ما أشتغل، والأم كانت تشتلل فراشة في المدرسة لكنهم عطوها تقاعد علشان أنها ما ت Shawf وما تسمع زين، فالحين نحن عندنا بيتبين للإيجار نصرف منهم بالإضافة إلى فلوس الشئون الاجتماعية التي تصرف حق الأم لأنها مواطنة وعاجزة وأنا قايم بكل المسؤوليات أطبع وأنظف البيت، وأشتري كل حاجة البيت ونحن الحين مطلقين بس هم ما عندهم حد يراعيهم، أهل الأم مايسألون عنها مع أنهم أغنياء وهذيلا الأطفال كلهم عيالي وأنا المسئول عنهم علشان جذبه أنا مهم بكل أمور البيت وأمور الأم والأولاد لأن ما عندهم حد.

التعليق العام :

الصراع سمة نفسية عند الجانحين، وهو سطحي أحياناً حين يكون عارضاً

نتيجة لما يعانيه الحدث من ضغوط البيئة، وإلحاح وحرمان وتناقض القيم، وهو عميق لا شعوري أحياناً أخرى، حين تمتد جذوره في أغوار نفسه نتيجة لما يصيب ذاته من اضطراب وفشل في أداء وظائفها المختلفة من إدراك ل حاجاته الداخلية وإدراك للواقع وتنظيم.

وضاع الابن في الوسط حيث فقد الحنان والدفء الأسري والتوجيه والرعاية الأبوية، فأصبح يهيمن في الشوارع ينضم إلى كل من يهيمنون مثله بدون رعاية ويقومون متعاونين بالأعمال التخريبية والتعدي على أملاك الآخرين إثباتاً لوجودهم وإسقاطاً لحقدتهم على المجتمع.

الحالة الثالثة :

التكوين الأسري للحالة :

ولد الحاله في إمارة أم القيوين بدولة الإمارات العربية سنة ١٩٧١، حيث كان أبوه يعمل ضابطاً في المنطقة العسكرية بأبوظبى، وله أعماله التجارية الخاصة مثل بيع الأثاث والمفروشات، والأم تعمل ممرضة في مستشفى أم القيوين.

تزوجت الأم أب الحاله سنة ١٩٦٩ وولدت ابنها - الحاله - سنة ١٩٧١ وفي سنة ١٩٧٣، انفصلت عن زوجها، وكان الابن يبلغ من العمر سنتين، وبعد سنة من الانفصال رجع الأباون مرة أخرى إلى بعض، واستمرت العلاقة بينهما عشر سنوات، أنجبا فيها اخت الحاله الصغرى، حيث كان الحاله قد بلغ ثلاثة عشرة سنة تقريباً، وبعد ذلك انفصلا نتيجة للخلافات الكثيرة بينهما بسبب عمل الأم كممرضة ورفض الأب لعملها.

بعدها تزوج الأب امرأة أخرى واستقر في إمارة دبي مع زوجته وأطفاله، أما الأم فلم تتزوج وظلت تعيش مع ابنها وابنته وأمها في إمارة أم القيوين ولكنها تركت عملها كممرضة وأصبحت تمارس الأعمال التجارية.

السمات الشخصية للحالة :

الحاله طويل القامة، أسمراً اللون، شاحب الوجه تظهر على وجهه البلادة والاصفرار لكثره تعاطيه ل المادة الغراء والأوكسي، هادئ الطبع ويميل إلى الوحده دائمًا والابتعاد عن الآخرين، كما أنه مؤدب جداً في تعامله ويحافظ على جمال شكله وهندامه وصل الحاله في تعليمه حتى الصف السادس الابتدائي، ولكنه كان ضعيفاً جداً رسب ثلاثة مرات ولم يستطع أن يتخطى هذه المرحلة إلى أن فصل من المدرسة نهائياً لضعف مستوى، وكثرة تغيبه ورسوبه المستمر، ثم

التحق بالتعليم المسائي ولم يواصل أيضاً، وهو ضعيف في القراءة والكتابة.
سلوك الحالة في المؤسسة :

الحالة هادئ لا يثير أية مشاكل في المؤسسة، قليل الكلام يشارك في الأنشطة الفنية، أما الأنشطة الرياضية فهو يتحرك ببطء ويكره المشاركة فيها، وعلاقاته بزملائه جيدة في الوحدة ودائماً يحب الانعزal والجلوس منفرداً، أما استجابته للمدرسات والمدرسین في التعليم فهي ضعيفة جداً.

مقابلة الحالة :

أبدى المبحوث تجاوبه مع الباحثة منذ البداية وبدون أي خجل، وعرض على الباحثة أن تسأله ما تشاء وهو مستعد للإجابة عن كل شيء، وابتداط معه الباحثة بعد أن عرفته على نفسها وهدفها من هذه المقابلة وبعد أن تعرفت عليه أيضاً.

وفي البداية سألته الباحثة: «متى ابتدأت تتعاطي الخمر والمخدرات؟»
فقال: «من زمان يوم كنت صغير، بس ما أتذكر كم كان عمري هنالك الوقت،
بس أول شيء كنت أستخدم الغراء، وبعدين قمت أشرب الويسيكي مع الغراء.
وتعلق الباحثة: «كيف تعرفت على الويسيكي».

فيقول: «الله يسلمج كان خالي يعيش ويانا في البيت ودوم يشرب خمر وأول مرة سرقت من عنده شوية ويسكي وشربته فعجبني وتميت أسرق دوم من عنده الي ما أدمنته، بعدين ما صرفني أسرق كل يوم شويه، فقمت أيمع مصروفي وأتشارك مع الربيع ونسير نشتري من الكازينو لأنه قريب من بيتنا ومفتوح باستمرار وعندهم الخمر رخيص، وبعدين عقب ما فصلوني من المدرسة وسرت أشتغل في العسكرية تعرفت هناك على شباب يتعاطون الحشيش فجربيه وتميت أدخنه فترة بس بعدين تركته لأنني ما أحصله باستمرار ولأنه بعد غالى أغلى من الويسيكي والغراء والأوكى».

وتسأله الباحثة: «بس هذي كل المخدرات اللي استعملتها واللا في شيء بعد غير؟».

فيقول: «هناك أنواع وايد جربتها مثل الجرت وهو اللي يسمونه الهيروين».
وتعلق الباحثة : «كيف تحصل على الهيروين؟».
فيقول: كنت أعطي الفلوس حق بعض الربيع، وربعي هذيلا يعطونها لناس هم

يعرفونهم وهذيلا الناس يعطونها لشباب غير الين ما توصل للناجر اللي عنده هذى المخدرات ويبيعها على الناس اللي يعرفهم وجذبه، بس الهيروبين وايد غالى، بس أنا كنت أشتغل في العسكرية وكان راتبى كله أصرفه على هذى الأمور، ويوم تخلص مني الفلوس آخذ من عند أمي وخالى».

وتسائل الباحثة: إنزين ليش تأخذ هذى المخدرات وشو فايدتها؟.

فيقول: «عندى وقت فراغ وايد ما أعرف شو أسوى فيه، وفي نفس الوقت كنت أسمع عن الخمر والمخدرات من عند الشباب، وكان خالي يشرب عندنا في البيت فقلت أجيء وأعرف شو هذا اللي يشربونه، فجربته وعجبني وأدمنت عليه، والحين ما أقدر أصبر عنه - ويتابع حديثه - «تعرفين يا أبله هذا الخمر والمخدرات مشكلة، يعني لو يوم ما توفرت عند أى واحد مدمن عليها يتبع ويمكن يسافر برع البلاد علشان يشتريها إذا ما حصلها أو يمكن يسرق أو يسوى أى شيء».

وتسائل الباحثة: «كيف تعلمت أول مرة تعاطي المخدرات وأي نوع ابتدت به؟».

فيقول: «الله يسلمج ترى ولد خالتي كان يشفط غراء وهو اللي علمني أول شيء وكل مرة أقول بودرها، يقول لي تعال بشفط مع بعض ويقنعني وأرجع أشفط وياد، والحين هو ترك الغراء بس أنا مب قادر أتركها، لا هي ولا الأوكى - ويتابع حديثه - تقريراً أنا الحين أشتري كرتونة أوكى وأحطها عندى في الغرفة وما أحد يدرى شو أسوى بها ولا أحد يسألنى، وعلى فكرة الأوكى تراه أقوى من الغراء بس تشبهه في الريحنة والطعم شوية».

وتسائل الباحثة: «شو تحس يوم تستخدم هذى الأشياء؟».

فيقول: «أنسى الدنيا كلها، وأعيش في خيال وايد حلو، وبعدين أحس أني قوي وما أخاف حد أو من أى شيء ولا أهتم بأى أحد، وأشوف الناس اللي حواليه كلهم مثل السبلان - أى القرود - حتى أمي وأبويه أشوفهم مثل السبلان لا أهتم بهم».

وتسائل الباحثة: «متى أهلك دروا أنك تستعمل هذى المواد؟».

فقال: «أنا أول كنت أشتري الغراء بالكرتونة وأحطها في غرفتي علشان أنا أشتغل وأسوى لوحات من الواقع وكل أهلي يتحررونني أشتري الغراء علشان أقص الواقع فقط، ولكنني أنا كنت أيلس في غرفتي وأشفط. وما حدى يدرى،

والأهل كلهم دروا يوم زخوني الشرطة أول مرة خبروا الوالدة، ومن هذاك اليوم دروا، واللا أول كنت أحطه في علبة الكولا وأتمشى في البيت أشفط وكلهم يتحروني أشرب كولا».

وتتابع الباحثة سؤاله: «أنزين يوم عرفوا أهلك أنك تشفط شو سولك أو كيف يعني كان تصرفهم وياكم؟».

فيقول: «ماشي الوالدة أول نصحتني وقالت لي ليش تستعمل هذا الخياس وببس، أختي الصغيرة كانت تسرق مني ساعات الغراء علشان ما أشفطه وأنتضارب وياماها وأخذه عنها أو أسيير أشتري لي غيره، والوالد طبعاً ما يدربي علشان أنا عايش ويا أمي».

وتتابع الباحثة: «يعني بعد ما عرفوا أنك تشفط غراء وغيره خلوك بعد تدخل هذي الأشياء البيت مرة ثانية وتشفطها؟» فيقول: «كنت أدخلها عادي وهم ما يدرؤون وخصوصاً «الأوكى» لأنه هذا بعدهم ما عرفوه فكنت أشتري بالكرتونة وأحطها في غرفتي وأحياناً أيلس في الغرفة أقفل على عمري وأشفط، وأحياناً أسيير فوق البيت وأيلس خمس ساعات تقريباً أشفط وما حد يدربيبي».

وتسأله الباحثة: «أمك ما تسألك شو تسوی فوق البيت خمس ساعات أو يعني ما تطلع تشوفك شو تسوی؟».

فيقول: «لا.. هي تدربي إني أنا فوق البيت بس ما تسألني شو أسوى ولا تطلع تشوفني وأنا يوم أخلص بروحى أنزل».

وتتابع الباحثة: «أنزين وحالك في البيت شو علاقتك به؟».

فيقول: «ما شيء خالي دائمًا سكران، مودر عياله وزوجته في دبي، وساكن عندنا علشان الكازينو مال الخمر قريب، وهو يرتاح عندنا في البيت أكثر.. وأول يوم كنت أسرق من عنده الويسكي يوم عرف ضاربني وخرج عليه، وبعدين تم بروحه يزجرني علشان أيلس أشرب وياه».

وتسأله الباحثة: «وأبوك ما يسأل عنك أبداً ولا انتو تزوروه؟».

فيقول: «أول ما طلقوا كان يسأل عنا دوم بس من تزوج وياب - أي جاب - أعيال الحين ما يسأل عنا إلا ساعات.. أنا كم دخلت المؤسسة وقبضوا عليه الشرطة وهو ما يدربي بس يوم يطلبوه ضروري يحضر ساعات.. هو يعني ما يخصه فينا ولا يصرف علينا أمي تقريباً مسئولة عن كل شيء.. بس هو يوم يقولولي تعال اشتغل عندي في المحل واسكن ويابه يعني ويا زوجته وإخوانى،

إن شاء الله ألحين إذا طلعت بسيير عنده وبشتغل ويه وخلاص بعد، ما أبغى أسوبي أي مشاكل».

مقابلة أم الحالة :

حاولت الباحثة مقابلة أم الحالة واتصلت بها عدة مرات ولكنها كانت تتهرب، وأحياناً ترد ابنتها على التليفون وتقول إن أمها خرجت، وأحياناً لا يرد أحد على التليفون، وطلبت الباحثة من الحالة أن يتصل بأمها، ويطلب منها الحضور، وفعلاً اتصل الابن بالمنزل ولم يجدها واتصل بيبيت خالته وطلب منهم إبلاغها بالحضور إلى المؤسسة واستمرت الباحثة لمدة أسبوعين تقريباً تحاول الاتصال بها حتى اتصلت أخيراً وقالت أنها ستأتي حوالي الساعة العاشرة صباحاً، واعتذررت بعد ذلك عن عدم قدومها في الفترة السابقة لأنها كانت مشغولة جداً حيث كانت أمها مريضة.

وتعرفت عليها الباحثة وكانت في عقدها الرابع أي يتراوح سنها بين (٣٥ - ٤٠) سنة وهي طويلة القامة، ضخمة، سمرة اللون، متشبهة بالرجال في طريقة مشيتها وطريقة تفصيل ملابسها، هذا كما أنها كانت تتنعل نعلاً رجالياً، وكانت رائحة الخمر تفوح منها وتحاول أن تداري ذلك بوضع العباءة على فمهما، وكانت عيونها حمراء جاحظة وابتداطات الباحثة بالحديث معها - بعد أن وضحت لها هدفها من المقابلة وعرفتها على نفسها، حيث سألتها: «شو سبب انفصالج عن زوجك أبو (ص)؟».

فقالت: «كان أبو الحالة من إمارة دبي وأنا من إمارة أم القيوين وكان أبو الحالة يأتي إلى مستشفى أم القيوين لأنه كان عنده شغل، وشافني لأنني كنت أشتغل ممرضة في المستشفى، وتعارفنا على بعض وبعدين تزوجنا.. يعني تزوجني وأنا أشتغل ممرضة، واستمرت حياتنا مدة أربع سنوات، وبعدين ابتدأت المشاكل وتطلقتنا وفضلتنا مدة متطلقات وبعدين رجعنا إلى بعض مرة أخرى واستمرينا بعدها تقريباً عشر سنوات، لكن المشاكل ما كانت تنتهي».

وتتعلق الباحثة: «ما هي هذى المشاكل؟».

فتقول: «يبغيوني أترك شغلي في المستشفى وأنا ما رضيت لأنه يوم تزوجني وعرفني كنت أنا أشتغل ممرضة وكان موافق، ليش الحين يغير رأيه!!! ألمهم نحن انفصلنا الحين وسار هو وتزوج وباب عيال من زوجته الثانية».

وتسأّلها الباحثة: «ما يتصل بعياله اللي عندج ويصرف عليهم؟».

فتقول: «يتصل أحياناً ويرم عليهم يسأل، بس ما يصرف عليهم من يوم ما

انفصلنا حتى قبل لا يتزوج زوجته الثانية كان أحياناً يمر ويأخذ الحالة ويأه
ويخلية عنده يوم أو يومين ويعطيه بعض المصروفات لكن عقب ما تزوج، تم ما
يسأل عنهم إلا ساعات وأخذه مرة يعيش عنده مع زوجته الثانية وأولاده بس
الولد ما قدر يعيش ويأه لأنه ما أخذ راحته».

وتسأله الباحثة: «متى عرفتني أن الولد يشفط غراء؟».

فتقول: «والله ما دريت إلا من مدة بسيطة وكان المشرفين والمدرسين يوم كان
في المدرسة يشتكون منه دائماً لأنه كله يرقد في الصف فكانوا الإخصائين
يتصلون بالبيت ويسألون عن حالته هذي إذا كان يعني مريض أو تعان
نفسياً أو شيء لدرجة أني أخذته ووديته عند طبيب نفسياني وفحص عليه لكن
ما عرفناه شو علته، الذين ما قبضوا عليه الشرطة وهو يشفط من هذا الغراء
وخبرونا عنه، وبعدين تراهم حظوه في مؤسسة الأحداث، وكم نصحناه عن هذا
الغراء، بس ماشي فايده. أحياناً أدخل عليه الغرفة والقاه لبس أحسن لبسه،
وحاط الفترة والعقال ويالس يكلم نفسه جدام المنظرة وكأنه يالس في ميلس بين
يمعه ريايل ويعقد صفات ويخرّب ما أدرى شو يقول».

وتسأله الباحثة: «أنزین شو كان موقف يوم عرفتني أنه يشفط غراء؟».

فقال: «كلمته ونصحته وأكثر من جديه - أى هكذا - شو أقدر أسوى له، ما
أقدر ما أعطيه مصروف وأخليه يحتاج حق الناس، وأبوه طبعاً ما يسأل عنه ولا
يهتم، وأقول أنه بيكبر وبيعرف روحه الصح من الغلط وبيودر هذى الأشياء
كلها».

وتسأله الباحثة: «منو يعيش ويأكم في البيت وشو علاقتهم بالولد».

فتقول: «أخويه، اللي هو خال الولد ويعيش ويانا لفترات طويلة علشان شغله
في أم القيوين، ولأنه يشرب وايد خمر وعندها في أم القيوين الخمر متوفّر
ورخيص، وعداً البيت فيتم يالس عندنا مع أنه عنده زوجته وعياله ما شاء
الله تسعه بس مخلفهم في «دبي» ويالس عندنا، بس علاقته بالولد مب زينة
ودائماً يتضاربون. وأمي بعد تعيش ويانا ويدتي أم أمي وهذيلاً علاقتهم ويأه
- تقصد الحالة - زينة ويفحبوه، وبعدين حريم كبار لا حول لهن ولا قوة فما
يتعامل ويأه وايد».

وتسأله الباحثة: انتو الحين منو يصرف عليكم وعلى الأطفال وعلى البيت
كله؟.

فتقول: «أنا اللي أصرف على البيت وعلى العيال، عندنا عقارات بالإضافة إلى
الخدمات اللي أقدمها حق الشیوخ والحمد لله حالن زين».

وتعلق الباحثة يعني تركتي التمريض.

فتقول: «خلاص تركته وسوبيت لي شغل بروحي».

وتسائلها الباحثة: «الحالة الحين يبغى يطلع يقول ويسيير يشتغل عند أبوه ويودر كل هالسوالف «شورايك انتي؟».

فتقول: «والله ياريت أنا ما عندي مانع يسir يشتغل عند أبوه على الأقل أنا برتاح شوية بعد من همه. بس هو يقول جذبه لكنه ما يقدر يعيش عند أبوه يومين ويرجع. بس الحين هو يلح عليه أتني أتوسط له عند الشيوخ علشان يطلع بسرعة بس أنا تعبت وياد كل مرة أتوسط له ويرد يسوي سوالفه ما يتوب ويعقل».

التعليق العام :

لقد أثبتت «وليم هيل» في كتابه (الانحراف والجريمة) كيف أن انعدام الرقابة الأبوية لاي سبب من الأسباب سواء بسبب كثرة عدد الأفراد في الأسرة أو انشغال الوالدين في العمل أو الانحلال الخلقي في البيت وتعاطي الوالدين أو أحدهما للخمور باستمرار من الأسباب التي لا يمكن إغفالها والتي تلعب دوراً كبيراً في جنوح الأطفال وجعل الطفل يتصرف من تلقاء نفسه، فقد أثبتت دراسته أن تناول الخمر وسوء الخلق في البيت عوامل مباشرة في جنوح الأطفال، حيث أثبتت أن حوالي (٢١٪) من إجمالي (٤٠٠٠) حالة من الأطفال المنحرفين جاؤوا من أسر منحلة خلقياً وفيها أحد الأبوين أو كلاهما مدمن على الكحوليات، مما يؤدي إلى انعدام الرقابة الأبوية وخلخلة الضبط الاجتماعي في الأسرة(٤).

وحلة الابن (ص) مضاعفة فبالإضافة إلى إدمان الأم والخال على الخمور في البيت نجد فقدانه للرعاية الأبوية وذلك بسبب انفصال والديه وعيشه بعيداً عن والده ورعايته. فقد استطاعت الباحثة الحصول على معلومات كثيرة عن أسرة الحالة وخصوصاً - الأم - وذلك من قبل المعارض والأصدقاء الذين تعرفهم الباحثة ويعرفون بدورهم أم الحالة، كما أن الباحثة التقت مصادفة بعض سكان الحي الذي تعيش فيه أسرة الحالة في أم القيوين في مستشفى دبي، وبعد التعرف عليهم سألتهم الباحثة عن أسرة الحالة واستطاعت أن تحصل منهم على معلومات ووضحت للباحثة أن والدة الحالة معروفة وبشكل عام عند أهالي المنطقة بإدمانها الخمر وتعاطيه بشكل يومي. كما اتضحت للباحثة أن سبب خلافها مع زوجها ليس عملها كممرضة فهو قد تزوجها وهي تعمل ممرضة، وتعرف أساساً عليها في المستشفى وهي تعمل، ولكن الخلاف كان بسبب تصرفاتها الشاذة.

الخلاصة والنتائج :

التساؤل الأول :

إلى أي حد يمكن أن تكون هناك علاقة بين ضغط متطلبات نسق التفاعل الجديد في مجتمع الإمارات العربية المتحدة وبين ظاهرة جنوح الأحداث.

هناك علاقة وظيفية متبادلة بين كل من المجتمع وما يحتويه من أنساق وبين الأسرة والعكس صحيح، لذلك فإن أي تغير يطرأ على بناء المجتمع وأنساقه المختلفة يؤثر بدوره على بناء الأسرة، ويرجع الأثر بشكل عكسي على المجتمع ونتيجة للتغيرات التي طرأت على بناء مجتمع الإمارات وأنساقه مثل النسق الاقتصادي والنسلقي القيمي والنسلقي الاجتماعي فإن هذا بدوره يخلق أو يؤثر على أنساق توقعات الأسرة والفرد تجاه المجتمع، فبطبيعة الحال تختلف أو تزيد أو تتعدد متطلبات نسق توقعات الفرد تجاه أنساق المجتمع المختلفة، وممّا أحبطت هذه الأنساق نسق متطلبات الفرد فإن هذا يؤدي إلى إحداث توتر ومشكلة عدم تكيف، ويظهر ذلك واضحًا عند بعض أسر وأفراد مجتمع الإمارات العربية المتحدة.

فقد تطلب قيام الدولة الاتحادية الجديدة وجود المواطن فيها، وفي زمن البحر كان مجتمع المدينة عبارة عن خليط من الأقوام ينتهيون - باستثناء الأغلبية العربية - إلى أصول فارسية وهندية وأفريقية يدينون بالإسلام ويتحدثون باللغة العربية، ويستقررون جميعاً في المراكز الحضرية في موانئ المنطقة وكان كل اهتمامهم منصباً على مزاولة أنشطتهم البحرية، وكانتوا جميعاً متعاونين ومتآزرین كأهالي منطقة واحدة، فظروف الحياة الصعبة والقاسية شدّتهم إلى بعض ليصبحوا متضامنين من خلال العمل المشترك الذي يؤدونه.

ولكن سكان الخليج المتشابهين المنفتحين على بعضهم البعض فرض عليهم بعد قيام الدولة الاتحادية وحصولها على الاستقلال أن يتحولوا من انتمائهم الواحد ويتطلعوا للدولة التي قدمت لهم شهادات الانتفاء الجديدة المحددة وهي الجنسية الإماراتية. ولم يأت منح الجنسية من منطلق الشعور القومي الحقيقي، بل إنه أصبح كالهبة أو الامتياز الذي يقدم مصحوباً بالمنافع المادية⁽⁵⁾. فكان يتطلب من كل شخص تقديم ما يثبت من أوراق أو تقديم شهود من أعيان المنطقة تدلّ على وجود آبائهم أساساً في المنطقة وأنهم من سكان الإمارات أبداً عن جد، أو أن يبرهّنوا على أن لهم أملاكاً من أراضٍ أو مساكن قديمة في المنطقة.

لقد أدى هذا إلى خلق فئة هامشية في المجتمع تعاني من مشكلة (المواطنة) وما يصاحبها من نظرة دونية للشخص غير المواطن، وإحباطات على جميع

الأصعدة، وتكون هذه الاحباطات أشد وأكبر على شباب هذه الأسر الذي يفتح عينيه على الدنيا وهو من غير هوية، وينظر له أقرانه نظرة دونية باعتباره ليس مواطناً وأن عقيدة المواطن متنامية بشكل كبير بين الناس، وذلك لما يحصل عليه المواطن من امتيازات على جميع الأصعدة، وتكبر الأزمة مع هذا الشاب عندما يأتي ليبحث عن عمل أو اللحاق بالجامعة فلابد هنا من جواز سفر يثبت هويته، لذلك نجد الكثير منهم يعاني من صراع وإحباط شديدين يعبرون عنه بسلوك مضاد للمجتمع، يظهر ذلك في بعض الحالات التي درسناها.

فمثلاً حالة الابن (ع. ع) الذي ولد من أم مواطنة ومن أسرة معروفة في المنطقة ولاب عراقي الجنسية مهاجر إلى الإمارات منذ (٢٨) سنة ومستقر في إمارة الشارقة كان يحمل جواز سفر إمارة الشارقة قبل قيام الدولة الاتحادية، ولكنه بعد قيام الاتحاد سُحبوه منه، وحتى الآن لم يحصل على الجنسية أو الجواز الاتحادي ويعيش بدون أية أوراق تثبت هويته، وانتفاءه وبالتالي ينسحب الوضع على الابن مما يسبب له كثيراً من الإحباط والحدق على المجتمع. وكما يقول الحدث بنفسه «أنا أتمنى أشتغل وأتوب عن السرقة لكن ما في حد يرضي يشغلني لأنني ما عندي جواز مع أنني مولود ومتربي في هذا البلد وما عندي بلد تاني، وغيري لبنانيين ويفتنين وهنود عندهم جوازات، وأنا اللي مولود في هذا البلد ما عندي».

هذه عوامل تثير عند كل إنسان وبشكل أكبر عند صراعات ومعاناة حادة تولد عندهم حالة من اللامعيارية تجعله يلجأ إلى طرق غير قانونية وعدوانية ليحقق ذاته ووجوده، وذلك بالالتجاء إلى تحطيم أملاك الغير والتعدى على ممتلكاتهم، وكما يقول ميرتون:

«إن المجتمع يعيق بعض الأقليات من الوصول إلى تحقيق أهدافهم وإن مثل هذه الإعاقة الواقعية لتحقيق طموحاتهم بسبب العرق أو الانتماء إلى أقلية معينة تثير في الأفراد صراعات ومعاناة حادة لا تترك أمامهم سوى التماس البدائي المتيسرة لتحقيق أهدافهم وإذا لم يتتسن لهم ذلك فإن هذا يشكل حالة اللامعارية وهي الحالة التي تدفع بعض الأفراد إلى التماس أي طريق ميسر أمامهم وربما يعود بعضهم إلى تحطيم الهدف ذاته حيث يلجأ إلى إتلاف الشيء أو تدميره».

التساؤل الثاني :

إلى أي مدى يمكن تحرير أن السلوك لدى أبناء الأسرة الإماراتية يعد سلوكاً راجعاً إلى ظروف وعملية التنشئة الاجتماعية بداخليها؟

لقد أثبتت كثير من الدراسات أن حالات الجنوح عند الأطفال تنسب دائمًا إلى الأسرة في مدى تزويدها للطفل بالأدوار الاجتماعية السوية ومدى صحة ممارستها لعملية الضبط الاجتماعي للطفل بحيث يستقبل هذه الأدوار، وذلك لأن الأسرة تلعب دوراً كبيراً في تشكيل شخصية الطفل، ففيها يتعلم الطفل مثراه العليا وإحساسه بالصواب والخطأ، ومن خلاله أيضًا يمارس تفاعلاً اجتماعياً، ويعي المستويات والأهداف والقيم وتكونين الأحكام. حيث إن العالم في داخل الأسرة وفي خارجها ليس مجزءاً، بل بالعكس هناك صلة قوية ومستمرة بين عالم الأسرة والعالم الخارجي الأكبر (المجتمع) وأن أي شيء يحدث في داخل الأسرة من خلال أنشطتها الإشرافية المباشرة، ومن خلال نفوذها على الطفل، تعلم أو تساعد الطفل على تحديد أنواع الناس والمواقف التي ستقابله في الخارج وكيف يتعامل معها، ذلك أن خبرات الطفل داخل الأسرة هي المحدودات الهامة لشخصيته والتي من خلالها يرى الطفل ويفسر ويقييم العالم الخارجي منه، بالإضافة إلى أن المعرفة والمهارات والعادات التي يكتسبها في البيت تحدد له قدرته في التعامل بنجاح مع المواقف خارج الأسرة(٦).

وقد ظهر ذلك واضحًا في دراستنا فقد أثبتت الدراسة أن بعض الحالات التي عرضناها اتضح فيها دور الأسرة المباشرة في تعليم الحدث السلوك الجانح من تعاطي مخدرات وكحوليات إلى السرقة وغيرها من السلوك المضاد للمجتمع. فمثلاً في حالة الابن (ص. ع) نجد أن تجربته الأولى في تعاطي المخدرات والكحوليات كانت من داخل أسرته فتعلم شفط الفراء من ابن خالته الذي يسكن بجوارهم في نفس المنطقة وتعلم شرب الخمر من خاله الذي يقيم معهم في البيت، ومن أمه الدمنة والتي تعرضت لثلاثة حوادث تدهور بالسيارة وهي في حالة سكر شديد، وتأكد جميع الأطراف التي تعرف أسرة الحالة والتي التقت معهم الباحثة أن الحالة دائمًا ما يسكر مع أمه وخاله في البيت ويشاركهم حفلاتهم التي تتأخر حتى ساعات الفجر الأولى.

أما حالة الابن (ع. ع) فهو أول ما تعلم السرقة ابتدأ بسرقة الأشياء البسيطة التي كان يجلبها معه إلى البيت ويعطيها لوالده وكان الأب يشجعه على ذلك ولم ينبهه أبداً عن هذا السلوك حتى إن بعض المعرف يؤكدون أن الابن كان يسرق الفلوس ويجلبها لأبيه لكي يشتري بها الخمر لأن الأب مدمدن، فتamt هذه القيمة في نفسية الحدث حتى تورط فيها وابتدأ يتبع في سرقاته بتقدمه في السن، فتحول من سرقة الأشياء البسيطة إلى سرقة الحالات والبيوت، وبدلاً من أن يحمل ما كان يسرقه لأبيه ابتدأ يسرق ليلبى حاجاته ومتطلباته التي زادت بعمر سنها والتي أهملتها أسرته.

أما حالة الابن (ج) فأول ما تعلم شم الغراء تعلمه في المنزل من أخيه الأكبر المدمن على شم الغراء، وأبيه الذي يتعاطى الكحول باستمرار ويقيم في منزله حفلات الشرب والطرب والغناء بين فترة وأخرى حتى منتصف الليل، ونتيجة لحاجته الملحة لهذه المادة إضافة إلى ضعف الرقابة الأبوية، وعدم توفر النقود الكافية لشراء الغراء مما دفعه إلى أن يقع ضحية في يد المرضي النفسيين ليستغلوه جنسياً مقابل علبة من الغراء هذا فضلاً عن أن العلاقة بين الحالة والوالد - كما تقدم سابقاً في عرض الحالة - علاقة مضطربة نتيجة لضيق شخصية الأب وأسلوب معاملته القاسي واللامبالي بالابن مما أدى إلى دفع الابن إلى التوحد الجنسي الشاذ لما هو بديل للأب، وقد أثبتت «جلويك» في دراسته أن اضطراب العلاقة بين الوالدين والابن واضطراب الوضع العائلي عموماً ينعكس سلباً على الولد ويشكل عاملاً هاماً في التسبب في جنوحه وذلك من خلال مقارنته بين فتئتين من الأحداث الذين اختيروا من محيط اجتماعي واحد، فوجد أن فتة المنحرفين منهم تشكو من اضطراب في علاقات الوالدين بنسبة أكبر من الأخرى ذات السلوك السوي(٧).

كما يقول «أدوين ميفارجي»: إن الشخص العدواني قد لا يهاجم أمه أو لا يهاجم قاضياً رغم أنها أحبطاه لكن في حالات كهذه يمكن للشخص العدواني ذي الضبط المتدني أن يلجأ بسهولة لآلية التحويل فيجد هدفاً بديلاً لعدوانه(٨).

التساؤل الثالث :

هل جنوح الأحداث يتناسب تناسباً عكسيّاً مع درجة تماسك الأسرة؟
إن توفر الاستقرار العاطفي والنفسي في الأسرة ومقدرتها على توفير الشعور بالأمان والطمأنينة للطفل وذلك من خلال علاقاته الحميمة والتي تتسم بالحب والعطاء وغرس المبادئ الجيدة بينه وبين والديه، وبينه وبين إخوته كل ذلك يساعد الطفل وبهيئة للتعامل مع المجتمع الأكبر خارج أسرته الصغيرة، ويعوده على كيفية التعامل والتكييف معه وكيفية مواجهة مشاكله المختلفة، ولكن متى تحطم هذا البناء الأسري ومتى ما عجز الوالدان عن أداء واجبهما بالدرجة الكافية والمطلوبة لسبب أو آخر فإن هذا يجعل الأطفال يعانون من قلق عاطفي وعدم استقرار وصراع قيمي حاد قد يعبرون عنه بالانغماس في أعمال جانحة ومضادة للمجتمع(٩).

ومن خلال العرض السابق لوحظ أن أسر كل الحالات تعاني من تفكك وتحلل أسري واضح، فنجد في الحالات الست السابقة خمساً منها فيها أحد

الوالدين مدمون على الكحوليات والمخدرات، إما أن تكونن الأم أو الأب وقد أكد كثير من الدراسات أثر إدمان الخمور على الأسرة حيث إن الإدمان على الكحول وعلى أصناف أخرى من العقاقير يؤثر في ديناميكية العائلة ويختلف وراءه تأثيراً على قدرة الأفراد على مواجهة توقعاتهم الدورية في العائلة وفي ظروف أخرى (١٠).

كذلك وجدنا الأسرة في بعض الحالات متصدعة بسبب انفصال أو طلاق الآبوين.

وكنا نعلم الدور الذي يلعبه غياب الأم من حياة الطفل وخصوصاً في السنة الأولى من حياته لأنه يشكل تغيراً شديداً لشروط حياة الطفل والنتائج الناجمة عنه عادة ما تظهر على صعيد البلوغ الفيزيولوجي كما على صعيد النمو النفسي الاجتماعي (١١).

أما في حالة (ع. ح) فقد انفصل والداه نتيجة للخلافات الكثيرة والتي تصل أحياناً إلى أقسام البوليس، وتزوجت الأم من رجل آخر تاركين الابن نهباً للصراع العاطفي، فعندما يذهب ليعيش مع أبيه يحس بالحنين لأمه وعندما يرجع للعيش مع أمه يحس بالحنين لأبيه، وهكذا حتى وصل لمرحلة صار يكرههم جميعاً ويرفض مقابلتهم أثناء زيارتهم له في المؤسسة.

أما حالة الحدث (ص. ع) فقد انفصلت أمه عن أبيه بسبب الخلافات حول عمل الأم ورفض الأب لعملها ودام الانفصال سنتين ثم رجعوا للعيش معاً لمدة أربع سنين حصل بعدها الانفصال الكامل، وبقي الابن يعيش مع أمه المدمنة على الخمور.

النتائج المستخلصة على مستوى الحالات المدروسة :

١ - إن غالبية الأحداث المنحرفين هم من الذكور، ويقل عدد الإناث وهذا لا يعني أنه لا توجد إناث منحرفات ولكن نظراً لطبيعة المجتمع وعاداته وتقاليده وتلافياً للمشاكل التي قد تنجم عن الإعلان عن جنوح الإناث لذلك غالباً ما يتكتم على جنوح الإناث.

٢ - تبين أن الرقابة الأبوية المتزنة معدومة في غالبية أسر الأحداث سواء رقابة سلوك الابن في المنزل أو رقابة سلوكه في المدرسة أو بين أقرانه.

٣ - إن معظم الآباء يعتبرون جنوح أبنائهم عاراً ويختلرون عنهم دون التفكير في معالجتهم أو سؤال أنفسهم لماذا وصل الابن إلى هذه الحالة.

٤ - إن الغالبية العظمى من آباء الأحداث مدمونون على تعاطي الكحوليات

- والسهر خارج المنزل أو داخله بين أبنائهم.
- ٥ - إن غالبية الأحداث هم طلاب في المدارس ومعظمهم ضعيف في دراسته ويكثر رسوبيه وتهربه من المدرسة.
 - ٦ - إن معظم الأحداث يفكرون في ترك الدراسة والالتحاق بالعسكرية وذلك بسبب الإغراءات المادية التي ينالونها في العسكرية والتي وبالتالي تساعدهم في شراء المخدرات.
 - ٧ - إن الغالبية العظمى من الأحداث مدمونون، فبالإضافة إلى السرقة أو الشذوذ الجنسي نجدهم جميعاً مدمونين على شفط الفراء أو شم البترول أو تدخين النمل وغيرها من المخدرات التي يبتكرونها.
 - ٨ - تبين أن غالبية أسر الأحداث الجانحين تعاني من تصدع أو انحلال أسري.

النتائج المستخلصة على مستوى البناء الاجتماعي العام :

- ١ - إن الظروف والعوامل الداخلية والخارجية التي مرت بها الأسرة في مجتمع الإمارات نتيجة للتطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي أدى إلى تغير كبير في أدوار الأفراد في الأسرة، فمكانة الأب ودوره في الأسرة تقلص إلى دور المنفق، أي كل ما عليه هو توفير الجانب المادي فقط، وبباقي المسؤوليات تقع على عاتق الأم والتي يعاونها في ذلك المربيات والخدمات الفلبينيات والسيلانيات، فنلاحظ هنا أن دور الأب غائب في الأسرة الحديثة.
- ٢ - هناك نسبة كبيرة من الأحداث يكون فيها الأب مواطناً والأم هندية أو بلوشية أو غيره. وغالباً ما يكون الأب رجلاً كبيراً في السن والأم غريبة عن المجتمع بثقافتها وقيمها. مما يسبب للابن حالة صراع بين قيم أمه ومجتمعه، زائف إحساسه بالدونية لأن أمه هندية وليس مواطنة. هذا كما أنه يكون فقداً تماماً للرعاية الأبوية لأن الأب دائمًا ما يكون كبيراً في السن ويعاني من أمراض الشيخوخة بالإضافة إلى أن الأب يكون متزوجاً سابقاً وله عدد من الأولاد من زوجته الأولى، مما يزيد من مصاريف الأسرة ونفقاتها بشكل لا يتناسب مع ظروف الأب الاقتصادية ودخله الشهري.
- ٣ - تعاني معظم أسر الأحداث من الأمية المتفشية بين الآباء والأمهات، وبالرغم من التطورات الاجتماعية والاقتصادية وحالة الرفاهية التي يعيشها المجتمع إلا أن نسبة الأمية لا تزال مرتفعة خصوصاً عند النساء مما ينجم عنه تأثير سلبي على تنمية الطفل.

- ٤ - اتضح أن نسبة كبيرة من الأحداث وأسرهم يعيشون بدون جنسية أو هوية نتيجة لاصولهم الفارسية أو الهندية مما يولد لديهم شعوراً بعدم المساواة والدونية ويسبب لهم كثيراً من الإحباط الذي يعبرون عنه بسلوك مضاد للمجتمع.
- ٥ - عجز نسق التعليم عن القيام بدوره في تغيير السلوك الاقتصادي للإنسان الخليجي. وتغيير عاداته الاستهلاكية وزيادة وعيه بقيمة العمل المنتج، وخلق جيل واع ومسئولي، بالإضافة إلى دوره في توجيه حركة المجتمع وتهيئة الناس والأجيال القادمة لقبول التحولات الجديدة والرضا بها.

هوامش

- (١) محمد عارف، طريق الانحراف، بحث ميداني عن احتراف البناء، ط (١)، القاهرة، مكتبة الإنجليو المصرية، ١٩٨٦، ص ١٤.
- (٢) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٢٥٢.
- (٣) محمد عارف، المرجع السابق، ص ١٦ - ١٧.
- William Healy, Delinquents and Criminals, N.J. Patterson Smith Publishing Corpora (٤) tion, Montchair, 1969, p. 126.
- (٥) إياد حلمي الجصاني، مرجع سابق، ص ٢١١.
- Al Bert K. Cohen, Delinquent Boys, The Culture of the Gang, Twelfth Printing, N.Y., (٦) Free Press, 1967, p. 77.
- Sheldon Glueck, Unraveling Delinquency, U.S.A., Harvard University Press, 1950. (٧)
- للمزيد أنظر :
- Peter Venezia, Delinquency as a Function of Inter - Family Relationship, N.Y., Journal of Research in Crime and Delinquency, Juky 1968, p. 148.
- (٨) فرويد، لورن، سيز ميلر وأخرون، سيكلولوجية العداون، «بحوث ديناميكية العداون لدى الفرد، الجماعة، الدولة»، ترجمة عبد الكريم ناصيف، عمان، دار منارات للنشر ١٩٨٦، ص ١١٨.
- John Barron Mays, Juvenile Delinquency, The Family and the Social Group, London, (٩) Free Press, 1967, p. 77.
- (١٠) روى رودجن، التفاعل والتعامل العائلي «طريقة فهم تطورية»، ترجمة يونس جرجوس، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٦٥، ص ٢٥٥.
- (١١) فيكتور سمير نوف، التحليل النفسي للولد، ترجمة فؤاد شاهين، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٢، ص ١٦٢.

بحوث ودراسات



دراسة مقارنة في التوافق النفسي
لدى الطفل المصري - والطفل الإماراتي

د. يوسف عبد الفتاح
محمد *

المشكلة والأهمية :

ي هتم هذا البحث بدراسة مشكلة مهمة بالنسبة للطفل العربي بوجه عام، وهي مشكلة التوافق النفسي بأبعاده المختلفة، وربما بدت هذه المشكلة أكثر إلحاحاً أو أهمية بالنسبة للطفل الذي ينتقل من ثقافة إلى أخرى. وهذا الأمر ينطبق على الأطفال المصريين الذين يقيمون في دولة الإمارات العربية المتحدة مع ذويهم، حيث يتلقون العلم في المدارس الحكومية بها، وقد لاحظ الباحث تزايداً ملحوظاً في عدد المصريين في مدارس الإمارات بلغ عددهم خلال العام الدراسي ١٩٨٦/٨٥ (٤٠٩٣) تلميذاً في المرحلة الابتدائية وحدها (٧٨: ٢٢)، بعد أن كان عددهم (٢٠٠٣) تلميذاً عام ١٩٧٩/٧٨ م (٢١: ١٠٠). ولما كانت

* جامعة الإمارات العربية المتحدة - قسم علم النفس.

إقامة هؤلاء الأطفال في دولة الإمارات هي إقامة مؤقتة مهما طال الوقت أو قصر إذ إنهم سيعودون إلى وطنهم الأم مصر إن آجلاً أو عاجلاً، وهذا ما يثير التساؤل عن تأثير وجود هؤلاء الأطفال في دولة الإمارات على توافقهم النفسي، مما قد يساعد على التنبؤ بمدى توافقهم في المستقبل إبان عودتهم إلى الوطن الأم مصر، سواء لإتمام الدراسة أو بشكل نهائي.

ومن جانب آخر فإن للموضوع أهميته بالنسبة لأطفال الإمارات فهم بلا شك ذخر وطنهم المستقبلي، وقد تزايد عددهم أيضاً في مراحل التعليم المختلفة نظراً للنهاية الشاملة التي تشهدها الإمارات وحرصها على توفير فرص التعليم للصغار والكبار، فقد بلغ عدد الأطفال في المرحلة الابتدائية بمدارس الإمارات للعام الدراسي ١٩٨٦/٨٥ (٧٥٧١٢) تلميذاً (٢٢:٧٨)، بعد أن كان عددهم (٤٣٤٣) تلميذاً عام ١٩٧٩/٧٨ (٢١:١٠٠). الأمر الذي يلفت الانتباه لأهمية إجراء الدراسات والبحوث التربوية والنفسية لهذا القطاع المهم من جيل المستقبل إذ إن توافقهم النفسي وتمتعهم بالصحة النفسية يعكس سلامتهم مستقبلهم ومستقبل أوطانهم.

والدراسة الحالية تتناول هذه المشكلة بالبحث من خلال الإجابة على التساؤل الخاص بما إذا كانت هناك فروق بين الأطفال المصريين والإماراتيين من الجنسين في أبعاد التوافق النفسي التي يتضمنها هذا البحث أم لا؟ والبحث بهذا المعنى يعتبر تناولاً عبر حضاري لشكلة التوافق النفسي لدى الأطفال المصريين والإماراتيين، فالمنهج المقارن كما يقول كامبل وستانلي Campell & Stanly (١٦:٧٠)، يعتبر قلب المنهج العلمي، ويضيفان أنه بدون المقارنة لا يمكن ملاحظة أو استنتاج أوجه الشبه أو الاختلاف والتباين. ومن ثم فإن منهج المقارنة قد اكتسب في إطار الاستخدام المحدد له معاني عبر حضارية.

الإطار النظري والدراسات السابقة :

التوافق كلمة تعني التالُف والتقارب، فهو نقىض التخالُف والتناُفُر والتصادُم، والتوافق في علم النفس عملية دينامية مستمرة تهدف إلى أن يغير الفرد من سلوكه ليحدث علاقة أكثر تواافقاً بينه وبين البيئة، وبناءً على ذلك يمكن أن تعرف هذه الظاهرة بأنها القدرة على تكوين العلاقات الرُّضْيَة بين الفرد ونفسه، وبين الفرد والبيئة بمعناها الشامل الذي يتضمن جميع المؤشرات والإمكانيات والقوى المحيطة بالفرد. والتي يمكنها أن تؤثر على جهوده للحصول على الاستقرار النفسي في معيشته. ولهذه البيئة ثلاثة أوجه تشمل:

البيئة الطبيعية والمادية، والبيئة الاجتماعية، ثم الفرد ومكوناته واستمداداته وميوله وفكرته عن نفسه (١٨: ١١).

وللتوافق بعدان هما التوافق الشخصي والتوافق الاجتماعي، وهذان البعدان ليسا منفصلين، فكلاهما يؤثر ويتأثر بالآخر فالتوافق الشخصي هو أن يكون الفرد راضياً عن نفسه تتسم حياته بالخلو من التوترات والصراعات النفسية التي تقترن بمشاعر الذنب والقلق والضيق فالأساس الأول لسوء التوافق الشخصي هو وجود حالة من الصراع الانفعالي لدى الفرد تنشأ نتيجة للإحباط، ويعرف الإحباط بأنه العملية التي تتضمن إدراك الفرد لعائق يحول دون إشباع حاجاته ودوافعه أو توقيع الفرد حدوث هذا العائق في المستقبل فالإحباط مرتبط بعملية الصراع ذلك أنه لا توجد حالة صراع فعلاً إلا إذا وجدت حالة إحباط أو إحجام تنجم عن وجود دافعين متعارضين لا يمكن إشباعهما في وقت واحد، والصراع النفسي ينشأ في رأي أصحاب المذهب الإنساني إذا ما واجه الفرد موقفاً يحتوي على ما يعيق تحقيق إنسانيته الكاملة حيث يصبح الصراع بين إرادة الفرد لتحقيق إنسانيته والقوى التي تحول دون ذلك، أو هو صراع بين الوجود واللاوجود (١١: ١٠٧).

ويتحدث عبد السلام عبد الغفار (٥٤: ١٠) عن إرادة الوجود وإرادة العلماء باعتبارهما القوة الدافعة للفرد للبحث عن معنى حياته، ذلك الهدف الذي يلتزم به طواعية و اختياراً. إذ إن إرادة العطاء تدفع الفرد إلى العطاء رغبة فيه، والمقصود هنا العطاء الأمين الذي لا يخفي خلفه مطامع أو أهدافاً أخرى، فهو فعل واع اختياري وهذا من أهم ما يميز إنسانية الفرد فالإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يعطي بوعي وحرية، أما الحيوان فلا يعطي، وإنما يأخذ أو يؤخذ منه.

ويرى أيرزنك (1962) H.G. Eysenck (٤١: ٢٦) أن التوافق حالة تكون فيها حاجات الفرد من ناحية ومتطلبات البيئة من ناحية أخرى مشبعة تماماً. ويدرك وارين R.C. Warren (٥٣: ٣٧) أن التوافق هو عملية يصبح بها الكائن الحي متلائماً مع بيئته.

كما يتحقق التوافق الاجتماعي من خلال العلاقات الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد ويتفاعل معها سواء كانت هذه العلاقات في مجتمع الأسرة أو المدرسة أو الرفاق أو المجتمع الكبير بصفة عامة، ويفترض أن تحقق هذه العلاقات الاجتماعية قدرأً من التوافق للشخص إذا ما كانت صحيحة، كما أنها يمكن أن

تكون مؤشراً لسوء التوافق الاجتماعي إذا كانت علاقات غير سوية، ومن بين المؤشرات والابعاد التي تشير إلى التوافق الاجتماعي الالتزام بأخلاقيات المجتمع وما فيه من أوامر ونواه فالالتزام الفرد بهذه الأخلاقيات يعني شعوراً بالتوحد مع الجماعة وبمدى رضاها عنه وارتياحها لما يصدر عنه ويتافق مع هذه الأخلاقيات كذلك الامتثال لقواعد الضبط الاجتماعي التي تضبط علاقات الفرد بالجماعة وفقاً لمعايير وقوانين ترتضيها الجماعة (١٨: ٢٤).

وربما يعود ضعف النمو الاجتماعي إلى مشكلة مهمة كثيرة ما أثيرت لاسيما في مجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة، وهي مشكلة المربيات الأجنبيات اللائي يفتقدن اللغة المشتركة التي يمكن أن تكون بينهن وبين الطفل، إذ تدل البحوث على أن الأطفال الذين تربىهم أمهاتهم في الظروف العادلة والعائلية يكونون أكثر توافقاً (٢٢٨: ٣).

ويستخدم مفهوماً التوافق والتكيف كمتاردين في معظم البحوث، وإن كان مفهوم التوافق أعم من التكيف (١٤: ١٦٠)، فالتوافق عملية متكاملة تنتهي على القدرة على الإشباع المنظم لحاجات الفرد، فهو يتضمن تفاعلاً متصلة بين الشخص والبيئة، حيث يؤثر كل منها في الآخر ويفرض عليه مطالبه كما يتأثر به، وأحياناً يحقق الشخص التكيف حين يرضخ ويقبل الظروف التي تفوق قدرته، وفي أحياناً أخرى يتحقق ذلك حين ترخص البيئة لأنواع النشاط الشخصي. وفي معظم الأحيان يكون التكيف توافقياً بين هذين الموقفين المتقابلين ويكون سوء التكيف إخفاقاً في الوصول إلى هذا التوافق (١: ٧٦).

وتتدخل مظاهر سوء التوافق مع مواقف مختلفة مثل التعلم، والتحصيل فقد وجد فيلد حسين وأخرون J. P. Feldhusen (٢٧) أن سوء التوافق يرتبط بانخفاض التحصيل الدراسي، كما توصل شاكر قنديل (٧) إلى أن زيادة التوافق الشخصي والاجتماعي للتلاميذ تصحبه زيادة في التحصيل الدراسي، وقد تأكّد ذلك في نتائج مماثلة توصل إليها عبد الرحيم (٨).

كما يرتبط التوافق الشخصي والاجتماعي أيضاً بالرضا عن المدرسة فهو مظهر من مظاهر التوافق الجيد ويرتبط ارتباطاً موجباً بالتحصيل الدراسي (٢٩: ١٤٣ - ١٩٢) كما يعبر التلاميذ سيئوا التوافق عن توتراتهم النفسية بعدة طرق منها إستجابات التردد والقلق والعنف في اللعب والأناقنة والتمرکز حول الذات وفقدان الثقة بالنفس واستخدام الألفاظ النابية في التعامل مع الآخرين على حد قول كونين وجومب (٣٠) J.S. Kunin & P.V. Gump, 1961.

وقد بين العديد من الدراسات أن التوافق النفسي والاجتماعي للأطفال يرتبط إرتباطاً وثيقاً بنوعية العلاقة والتفاعل بين الوالدين، وبينهما وبين الطفل، ونوع الخبرات التي يكتسبها الطفل من الهيئات التي تمارس عملية التربية، فالطفل بذرة تحتاج إلى بيئة إجتماعية متكاملة تحقق له التوافق.

فقد توصل جون بولبي (٢٣: ٢) من خلال أبحاثه إلى أن حاجة الطفل إلى العطف والمحبة تعتبر جانباً مهمّاً لاستمرار نموه الجسمي والنفسي، بل إنه أرجع كثيراً من المشكلات التي يمكن أن يقابلها الطفل إلى حرمانه من الحب والعطف في سنّ عمره الأولى كما رأى أن إشباع الطفل للأمن والحب يعتبر عاملاً أساسياً في تكوين إتجاهات موجبة نحو الحياة والمجتمع بصفة عامة. بل إن كثيراً من الدراسات أثبتت أن طول فترة الرضاعة له أثر في زيادة الميل الاجتماعية (١٨٤: ٢٠) ومن القواعد المتفق عليها الآن أن أول أسس الصحة النفسية للطفل يستمد من العلاقة الحارة والوثيقة والدائمة التي تربطه بالوالدين والأم بوجه خاص أو من يقوم مقامها، وأن الحرمان الأمومي الكلي أو الجزئي يعطى النمو الجسماني والذهني والاجتماعي و يؤدي إلى إضطراب النمو النفسي (٩٢ - ٩٠: ١٧).

كما يذهب دارسو الانحرافات والأمراض النفسية إلى أن نقص العلاقات الأولية المبكرة مسؤول عن كثير من الشخصيات السيكوباتية، تلك الشخصيات التي لم تنشأ عندها طبيعة إنسانية حقيقة لأنهم لم يخبروا علاقات اجتماعية وعاطفية سليمة في جماعات أولية (٥: ٢٧).

ويشير سوندرز T.R.Saunders, 1937 إلى إن كل ما من شأنه أن يقلل من ثقة الطفل بنفسه أو يزج به في مواقف يشعر فيها بعدم الأمان والتهديد أو ما يشعره بالفشل، أو ما من شأنه أن يحبط من تقديره لذاته، كل ذلك يزيد من احتمال معاناته لسوء التوافق. وأكد ذلك روتير M. Rutter, 1957. الذي يرى أن تزعزع ثقة الطفل في علاقاته الحميمة، وبصفة خاصة علاقاته وثقته بوالديه يعرضه للقلق والخوف وعدم التوافق. كذلك أوضح رينجولد (٣٢) H.L. Rheingold, 1969. إن الطفل يتخلص من الخوف ويستعيد توافقه حين يجد من يثق به. لذلك يؤكد كثير من العلماء مثل كوبر سميث (٢٥) S. Cooper- C.F. smith, 1967. وجرو C.A. Growe, 1980. وكواشا وزملاوه (٣١) Kawash, et, al, 1985. على أهمية الدفء العاطفي والتقبل كأحد الأبعاد المهمة في علاقة الوالدين بالطفل وبين تقدير الذات من جانب الطفل نفسه. ويتوقف ذلك

مع ما أكده عدد من البحوث العربية من أهمية للرعاية الوالدية والاتجاهات الإيجابية في التنشئة الاجتماعية في تحقيق التوافق النفسي للأبناء ومن بينها دراسات كل من سيد صبحي (٦)، محمد الطحان (١٥)، عبد الحليم محمود (٩)، يوسف عبد الفتاح (٢٣)، وممدوحة سلامة (١٩).

وتشير الدراسات السابقة في معظمها إلى أهمية التوافق الشخصي والاجتماعي كأحد محددات الصحة النفسية، كما تشير هذه الدراسات أيضاً إلى العلاقة بين التوافق بأبعاده المختلفة ومتغيرات أخرى سواء داخل الأسرة أو خارجها وقد ألمحنا إلى بعض منها، إلا أنه من الملاحظ أن الباحثين لم يهتموا كثيراً ببعض المتغيرات الحضارية والثقافية التي تترتب على انتقال الطفل من ثقافة لأخرى وهذا ما يدور حوله البحث الحالي، بالإضافة إلى دراسة الفروق بين الجنسين في التوافق.

الفروض :

من استعراضنا لبعض الدراسات السابقة والتراث السيكلوجي في هذا المجال فإن البحث الحالي يحاول التحقق من صحة الفرضين الآتيين مع الأخذ في الاعتبار مكانة الفرض الصغرى:

- ١ - هناك فروق دالة إحصائياً في التوافق الشخصي، والتوافق الاجتماعي، والتوافق العام، بين الأطفال المصريين والأطفال الإماراتيين الذين شملهم البحث.
- ٢ - هناك فروق دالة إحصائياً في التوافق الشخصي، والتوافق الاجتماعي، والتوافق العام، بين الذكور والإإناث من أطفال المرحلة الابتدائية الذين شملهم البحث.

إجراءات البحث (العينة - الأدوات - المعالجة الإحصائية)

أولاً : العينة :

أجري هذا البحث على عينة عشوائية من تلاميذ المرحلة الابتدائية بالصفين الخامس والسادس بمدارس التعليم العام بدولة الإمارات العربية المتحدة، بلغ عددهم (١٦٠) تلميذاً وتلميذة، نصفهم من أبناء دولة الإمارات العربية المتحدة والنصف الآخر من أبناء جمهورية مصر العربية الذين يقيمون بدولة الإمارات

بحوث ودراسات

مع ذويهم والذين يعملون بالوظائف الحكومية، حيث إن الدولة لا تسمح لابناء العاملين بالقطاع الخاص بالالتحاق بالمدارس الحكومية. وقد روعي في اختيار هذه العينة بعض المتغيرات ذات الأهمية مثل التحصيل الدراسي، فقد اختير أفراد العينة من تراوحت نسبة تحصيلهم الدراسي عن الفترة الأولى من العام الدراسي ١٩٨٩ / ٨٨ م بين ٦٠٪ / ٨٥٪ . وقد تم اختيار العينة من بين تلاميذ وتلميدات بعض مدارس المرحلة الابتدائية في منطقة دبي التعليمية وهي .
 (الشعب، الأحمدية، خولة، الوصل).

وفيما يلي بعض الجداول الإحصائية التي توضح خصائص العينة :

١ - توزيع العينة على المدارس :

جدول رقم (١)

يوضح توزيع العينة على المدارس وفقاً للجنسية والجنس

المجموع	إماراتيون		مصريون		العينة	المدارس
	إناث	ذكور	إناث	ذكور		
٤٠	-	٢٠	-	٢٠		الأحمدية
٤٠	-	٢٠	-	٢٠		الشعب
٤٠	٢٠	-	٢٠	-		خولة
٤٠	٢٠	-	٢٠	-		الوصل
١٦٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠		المجموع

٢ - توزيع العينة وفقاً للصفوف الدراسية :

جدول رقم (٢)

يوضح توزيع العينة على المدارس وفقاً للصفوف الدراسية

المجموع	إماراتيون		مصريون		العينة	المدارس
	إناث	ذكور	إناث	ذكور		
٨٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠		الصف الخامس
٨٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠		الصف السادس
١٦٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠		المجموع

٣ - توزيع العينة من حيث السن :

جدول رقم (٣)

يوضح توزيع العينة وفقاً للسن

إماراتيات إناث		مصريات إناث		إماراتيون ذكور		مصريون ذكور		فئات السن
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	
٢٧,٥	١١	٣٥,-	١٤	٢٢,٥	٩	٢٢,٥	١٣	- ١٠
٣٧,٥	١٥	٥٠,-	٢٠	٢٧,٥	١١	٤٧,٥	١٩	- ١١
٢٥,-	١٤	٤٠,-	١٦	٤٠,-	١٦	٣٠,-	٨	- ١٢
-	-	-	-	١٠,-	٤	-	-	- ١٣

يتضح من الجدول السابق عدد أفراد كل فئة عمرية والنسبة المئوية لهم في المجموعات التي شملها البحث، وبحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية تبين أن متوسط أعمار الذكور المصريين هو (١١,٣٧٥) بانحراف معياري قدره (٠,٥١)، كما تبين أن متوسط أعمار الذكور الإماراتيين هو (١١,١٢٥)، بانحراف معياري وقدره (٠,٩٤) أما بالنسبة للمصريات الإناث فكان متوسط أعمارهن (١١,٤٥) بانحراف معياري (٠,٨٥)، وبالنسبة للإماراتيات الإناث فمتوسط أعمارهن (١١,٥٨)، بانحراف معياري (٠,٧٩)، وبحساب الفروق بين المتوسطات الحسابية وفقاً للجنس والجنسية تبين عدم وجود فروق دالة إحصائية بين هذه المجموعات في السن.

ثانياً : الأدوات :

الأداة المستخدمة في هذا البحث هي اختبار الشخصية للأطفال (كاليفورنيا للشخصية، المرحلة الأولى) وهو من إعداد كل من كلارك، تيجز وثورب. وقد نقله إلى العربية عطية محمود هنا (١٢ : دليل القياس) وهو يتضمن بعدين رئисيين هما:

١ - التكيف الشخصي Self Adjustment ويتضمن المتغيرات الآتية :

- (١) الاعتماد على النفس .
- (٢) الإحساس بقيمة الذات .
- (٣) الشعور بالحرية .
- (٤) الشعور بالانتفاء .
- (٥) التحرر من الانفراد .
- (٦) الخلو من الأعراض العصبية .

١ - التكيف الاجتماعي Social Adjustment ويتضمن المتغيرات الآتية :

- (١) المستويات الاجتماعية .
- (٢) المهارات الاجتماعية .

- (٣) التحرر من الميول المضادة للمجتمع.
- (٤) العلاقات الأسرية.
- (٥) العلاقات المدرسية.
- (٦) العلاقات البيئية.

ويمثل كل متغير من المتغيرات السابقة ثباتاً عبارات ويمكن الحصول على الدرجة الكلية للتواافق العام من خلال المجموع الجبri للدرجات التي يحصل عليها المفحوص على بعدي الاختبار وهم: التوافق الشخصي، والتواافق الاجتماعي. وقد اعتمد الباحث الحالي على الدرجات الكلية لمتغيرات كل من التوافق الشخصي والتواافق الاجتماعي.

ثبات المقياس :

تحقق واضعو الاختبار من ثباته بطريقة التجزئة النصفية، كما تحقق معربه عطية هنا من ثباته على عينة مصرية بطريقة التجزئة النصفية أيضاً حيث تراوحت معاملات الثبات بين ٠٠٧٣، ٠٠٦٤، ٠٠٦٠، كما تحقق الباحث الحالي من ثبات الاختبار بالتجزئة النصفية ثم التصحيح بمعادلة سبيرمان براون على عينة عشوائية شملت (٦٠) تلميذاً وتلميذة من نفسها المدارس التي أجرى بها البحث نفسها، وكانت معاملات الثبات كالتالي :

التواافق الشخصي (٤٢١، ٠٤) - التواافق الاجتماعي (٥٦٢، ٠٥) - التواافق العام (٦١٧، ٠٠).

وجميع معاملات الثبات السابقة دالة إحصائياً مما يشير إلى ثبات المقياس.

صدق المقياس :

اعتمد مؤلفو المقياس على الصدق المنطقي الذي تمثل في الانتقاء الدقيق لعباراته وهذا المعيار في نظرهم كاف للتدليل على صدق المقياس، كما قام معربه بحساب صدقه على البيئة المصرية من خلال معاملات الارتباط بين الدرجة على المقياس وتقديرات المدرسين في النواحي المقابلة لأجزاء الاختبار أو مقاييسه الفرعية. وتشير نتائج هذه التجربة إلى معاملات صدق عالية لمعظم المقاييس الفرعية. كما أجرى عليه مزيداً من الدراسات بدولة الكويت وتشير جميعها إلى صدق المقياس. وقد اعتمد الباحث الحالي على الصدق المنطقي للمقياس بناء على ما أجري عليه من دراسات سابقة من جهة، ومن جهة أخرى حسب الصدق الذاتي لبعدي المقياس والدرجة الكلية لدرجات أفراد عينة الثبات السابق الإشارة إليها حيث اتضحت معاملات الصدق الآتية:

التوافق الشخصي ٦٥٧، ٠ - التوافق الاجتماعي ٧٥٠، ٠ - التوافق العام ٧٨٥، ٠.

وتعتبر معاملات الثبات والصدق التي تم الحصول عليها معاملات مقبولة إحصائياً مما يشجع على استخدام المقياس في الدراسة الحالية.

ثالثاً : المعالجة الإحصائية للبيانات :

استخدم في هذه الدراسة أسلوب تحليل التباين المزدوج (٢×٢) لدراسة الفروق في أبعاد التوافق لدى المجموعات الفرعية الأربع التي شملتها البحث، كما استخدم اختبار (ت) لدراسة الفروق بين أزواج المجموعات واتجاه هذه الفروق في حالة ظهورها من خلال تحليل التباين. ويمكن تحديد خطوات المعالجة الإحصائية على النحو الآتي:

- ١ - حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل مجموعة من المجموعات الفرعية.
- ٢ - تحليل التباين للفروق في التوافق الشخصي والاجتماعي، والعام بين المجموعات الأربع على متغيري الجنس، الجنسية، التفاعل بينهما.
- ٣ - حساب الفروق ومستوى دلالتها الإحصائية في ضوء نتائج تحليل التباين وذلك بين أزواج المجموعات.

النتائج ومناقشتها :

فيما يلي الجدول رقم (٤) الذي يتضمن المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات مجموعات البحث الأربع في التوافق الشخصي، والتوافق الاجتماعي، والتوافق العام.

جدول رقم (٤)

يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية

إماراتيون				مصريون				المجموعات التوافق	
إناث		ذكور		إناث		ذكور			
ع	م	ع	م	ع	م	ع	م		
٣,٦٨	٣٠,٧٤	٤,١٦	٣٤,٨٢	٣,١٤	٢٨,٨١	٣,٢٨٨	٢٩,٤٢	الشخصي	
٤,٥٤	٣٠,٨٣	٣,٠٩	٢٨,٤٨	٤,٢٩	٣١,٦٣	٤,٦٦	٣٣,٧٠	الاجتماعي	
٣,٤٢	٦٨,٧٢	٥,٠٦	٦٦,٣٧	٤,٧٨	٦١,٢٣	٥,٣٢	٧١,٤٣	العام	

وفيما يلي الجدول رقم (٥) يوضح ملخصاً لنتائج تحليل التباين المزدوج وتتأثير كل من عامل الجنس والجنسية والتفاعل بينهما في تباين درجات العينات الفرعية للبحث في التوافق الشخصي، والتواافق الاجتماعي والتواافق العام.

جدول رقم (٥)

يوضح ملخصاً لنتائج تحليل التباين

التفاعل		الجنس		الجنسية		البيانات	التوافق
الدالة	ف	الدالة	ف	الدالة	ف		
-	٠,٣٩٦	-	٠,٤٤٥	٠,٠١	٥,٣١٩	الشخصي	الاجتماعي
٠,٠١	٦,٠٢٤	-	٢,٠٠٥	-	١,٤٤١		
٠,٠١	١١,٥٥٠	٠,٠٥	٢,٧٩٦	٠,٠١	٧,٦٠٣		

يتضح من الجدول رقم (٥) أن تأثير عامل الجنسية كان دالاً في جانبين فقط مما التوافق الشخصي (ف = ٥,٣١٩) والتواافق العام (٧,٦٠٣)، وهاتان النسبتان الفائتتان دالتان إحصائياً عند مستوى ٠,٠١، ولم يكن تأثير الجنسية دالاً في جانب واحد فقط هو التواافق الاجتماعي (ف = ١,٤٤١)، أما تأثير متغير الجنس فقد كان دالاً في جانب واحد فقط عند مستوى ٠,٠٥ وهو التواافق العام (ف = ٢,٧٩٦).

أما بالنسبة لتأثير التفاعل فقد أظهر تحليل التباين أن هناك أثراً ذا دلالة إحصائية للتفاعل ما بين عامل الجنسية والجنس في التواافق الاجتماعي إذ بلغت النسبة الفائية (٦,٠٢٤)، بمستوى دلالة ٠,٠١ . كما أن هناك أثراً للتفاعل بين الجنس والجنسية على التواافق العام حيث بلغت النسبة الفائية (١١,٥٥٠). بمستوى دلالة ٠,٠١ .

وعند استعراض جدول المتوسطات الحسابية رقم (٤) يتضح أن الفروق بين متوسطات درجات المجموعات الأربع على الدرجة الكلية للتواافق العام هي لصالح الذكور المصريين ومع الأخذ بعين الاعتبار نتائج تحليل التباين يمكن القول بأن هناك فروقاً جوهرية دالة إحصائياً بين الأطفال المصريين والأطفال الإمارتيين في التواافق العام، مما يعني تأييد الفرض الأول فيما يتعلق بالدرجة الكلية للتواافق، وكذلك الحال بالنسبة للفرض الثاني القائل بوجود فروق بين الذكور والإإناث في التواافق، وفيما يلي تحليل وتفصيل لهذه النتائج:

أولاً : التوافق الشخصي :

يتضح من الجدول رقم (٥) أن هناك فروقاً حقيقة بين الأطفال المصريين

والأطفال الإماراتيين في التوافق الشخصي. حيث أن قيمة (ف) الخاصة بتأثير عامل الجنس على تباين درجات أفراد العينة على المقياس الفرعي للتوافق الشخصي بلغت (٥,٣١٩). وهذه القيمة تتجاوز القيمة المطلوبة للدلالة الإحصائية عند مستوى ٠,٠١ إلا أنه يتضح من الجدول رقم (٥) أيضاً أن قيمة (ف) الخاصة بتأثير الجنس على تباين درجات أفراد العينة في التوافق الشخصي هي (٤٤٥,٤٠) وهي غير دالة إحصائياً مما يعني عدم وجود فروق بين الجنس في التوافق الشخصي.

كما يشير الجدول رقم (٥) أيضاً إلى أن قيمة (ف) الخاصة بتأثير التفاعل بين الجنسية والجنس على تباين درجات المجموعات الأربع على مقياس التوافق الشخصي قد بلغت (٣٩٦,٠٠) وهي نسبة غير دالة إحصائياً أيضاً، مما يشير إلى عدم وجود تأثير لتفاعل هذين المتغيرين على درجات أفراد العينة في التوافق الشخصي.

وقد أظهرت النتائج أن هناك فروقاً دالة إحصائياً بين متوسط الدرجات التي حصل عليها الذكور المصريون ومتوسط الدرجات التي حصل عليها الذكور الإماراتيون، كما تبين وجود فروق بين الإناث المصريات والإإناث الإماراتيات، مما يؤكد ما أظهره تحليل التباين من تأثير نسبي لتغير الجنسية في تحديد الفروق بين المجموعات، وهذا ما يتضح من الجدول الآتي (رقم ٦) الخاص بنتائج المقارنة بين أزواج المجموعات باستخدام اختبار (ت).

جدول رقم (٦)
يوضح الفروق في التوافق الشخصي

الدالة	ت	ع	م	ع	م	المجموعات	
						البيانات	المجموعات
-	٠,٧٣	٣,١٤	٢٨,٨١	٣,٢٨	٢٩,٤٢	٤٠,٣١٩*	٤٠,٣١٩*
٠,٠٠١	٢,٩٥	٢,٦٨	٣٠,٧٤	٤,١٦	٣٤,٨٢	٣٩٦,٠٠	٣٩٦,٠٠
٠,٠٥	٢,٠٧	٤,١٦	٣٤,٨٢	٣,٢٨	٢٩,٤٢	٣٩٦,٠٠	٣٩٦,٠٠
٠,٠٥	٢,١٤	٣,٦٨	٣٠,٧٤	٣,١٤	٢٨,٨١	٣٩٦,٠٠	٣٩٦,٠٠

(*) المجموعة الأولى هي : الذكور المصريون.

(*) المجموعة الثانية هي : الإناث المصريات.

(*) المجموعة الثالثة هي : الذكور الإماراتيون.

(*) المجموعة الرابعة هي : الإناث الإماراتيات.

يتبيّن من الجدول السابق أن هناك فروقاً دالة إحصائياً بين الجنسين من أطفال الإمارات في التوافق الشخصي، فيما لا تظهر فروق مماثلة بين الجنسين من الأطفال المصريين، الأمر الذي يمكن تفسيره في ضوء بعض التغيرات والعوامل مثل أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة مع كل من الطفل المصري والطفل الإماراتي وهذا ما يعكس لنا أثر الثقافة في ظهور الفروق بين الجنسين فالملاحظ أن مجتمع الإمارات مازال يفرق بين الأولاد والبنات من حيث أساليب الرعاية الوالدية التي تقدم لكل جنس.

وتؤيد هذه النتائج ما أشار إليه سوندرز (٣٦) من أن كل ما من شأنه أن يقلل من ثقة الطفل بنفسه أو يزج به في مواقف يشعر فيها بعدم الأمان والتهديد والشعور بالفشل، كل ذلك يزيد من احتمالات سوء تواافقه النفسي.

كما يمكن تفسير هذه النتائج في ضوء ما أسفرت عنه نتائج بحوث أخرى أكدت أهمية الرعاية الوالدية والاتجاهات الإيجابية للوالدين في تحقيق التوافق النفسي للأبناء مثل دراسات كل من سيد صبحي (٦)، وخالد الطحان (١٥)، وعلاء الدين كفافي (١٢)، وممدوحة سلامة (١٩).

ثانياً : التوافق الاجتماعي :

يتضح من الجدول رقم (٥) أن قيمة (ف) الخاصة بتأثير متغير الجنسية على تباين درجات أفراد العينة على مقياس التوافق الاجتماعي هي (١,٤٤١) وهي نسبة غير دالة إحصائياً وهذا ما يشير إلى عدم وجود فروق بين درجات الأطفال المصريين والإماراتيين في التوافق الاجتماعي.

كما يتضح من الجدول أن قيمة (ف) الخاصة بتأثير الجنس على تباين درجات أفراد العينة على مقياس التوافق الاجتماعي بلغت (٢,٠٠٥) وهي أيضاً نسبة غير دالة إحصائياً مما يعني عدم وجود فروق بين درجات الأطفال الذكور والإإناث في التوافق الاجتماعي.

أما تأثير التفاعل بين عامل الجنسية والجنس فقد أظهر فروقاً بين المجموعات الأربع إذ بلغت النسبة الفائية (٦,٠٢٤) وهي دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١).

ولمعرفة إتجاه هذه الفروق أجريت مقارنة لمتوسطات الدرجات بين أزواج

المجموعات في التوافق الاجتماعي، وفيما يلي الجدول رقم (٧) الذي يوضح هذه الفروق.

جدول رقم (٧)
يوضح الفروق في التوافق الاجتماعي

الدالة	ت	ع	م	ع	م	البيانات	المجموعات
-	١,٧٥	٤,٢٩	٣١,٦٣	٤,٦٦	٢٢,٧	٣٢,٧	بين الأولى والثانية
٠,٠٥	٢,٣	٤,٥٤	٣٠,٨٣	٣,٠٩	٢٨,٤٨	٢٨,٤٨	بين الثالثة والرابعة
٠,٠٠١	٥,٠٢	٣,٠٩	٢٨,٤٨	٤,٦٦	٣٣,٧	٣٣,٧	بين الأولى والثالثة
-	٠,٩	٤,٥٤	٣٠,٨٣	٤,٢٩	٣١,٦٣	٣١,٦٣	بين الثانية والرابعة

يتبيّن من الجدول السابق أن هناك فروقاً دالة إحصائياً بين الجنسين من أطفال الإمارات فيما لم يكن للفروق بين الجنسين من الأطفال المصريين دالة إحصائية.

كما يتضح من الجدول نفسه أن هناك فروقاً بين الذكور المصريين والذكور الإماراتيين، وهذا الفرق دال إحصائياً عند مستوى ٠,٠٠١، وهو مجموعتان مشابهتان من حيث الجنس ومختلفتا الجنسية. وذلك ما يشير إلى تأثير متغير الجنسية في تحديد هذه الفروق لدى الذكور، فيما لم يكن لفرق بين متوسطي درجات الإناث المصريات والإناث الإماراتيات آية دالة إحصائية.

ويمكن تفسير الفروق بين الجنسين من أطفال الإمارات في ضوء ما سبق ذكره من تأثير لعوامل الرعاية واتجاهات الوالدين في معاملة الأبناء الذكور والإناث في مجتمع الإمارات، إذ لا تلحظ ذلك لدى الجنسين من الأطفال المصريين وهو أمر يمكن رده إلى الاتجاهات الحديثة في التربية والتي تقوم على عدم المبالغة في الفرقة بين الأبناء في المعاملة بوجه عام وبين الجنسين بوجه خاص، أما الفروق بين المصريين الذكور والإماراتيين الذكور فهي قد ترجع إلى تأثير الثقافة الفرعية التي يتعرض لها كل من الطفل المصري والطفل الإماراتي، أضف إلى ذلك عوامل أخرى ذات تأثير واضح في تحديد هذه الفروق مثل اعتماد الأمهات الإماراتيات على المربيات الأجنبية في تنشئة أطفالهن، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى سوء التوافق سيما لدى الإناث، وهذا ما أكدته كثيرة من العلماء مثل جون بولبي (٢)، وحامد زهران (٣)، وميشيل أرجيل (٤)، الذين أوضحوا أن الحرمان الكلي أو الجزئي من الأم يؤدي إلى اضطراب في النمو وفي النضج النفسي للطفل.

ثالثاً : التوافق العام :

يتضح من الجدول رقم (٥) أن قيمة (ف) الخاصة بتأثير الجنسية على تباين درجات أفراد العينة في التوافق الشخصي والاجتماعي قد بلغت (٧,٦٠٣) وهي نسبة ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١)، وهذا ما يشير إلى وجود فروق بين الأطفال المصريين والأطفال الإماراتيين في التوافق العام، كما يتضح من الجدول نفسه أن قيمة (ف) الخاصة بتأثير الجنس على تباين درجات المجموعات الأربع التي تتكون منها العينة قد بلغت (٢,٧٩٦) وهي قيمة دالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) مما يدل على وجود فروق بين الجنسين في التوافق العام.

أما بالنسبة لتأثير التفاعل بين كل من الجنسية والجنس فقد بلغت قيمة (ف=١١,٥٥٠) لتأثير التفاعل على تباين درجات أفراد العينة وهذه القيمة دالة إحصائيًا عند مستوى (٠,٠١)، مما يشير إلى وجود تأثير لتفاعل هذين المتغيرين على درجات أفراد العينة في التوافق العام.

ولمعرفة إتجاه الفروق أجريت مقارنة بين متوسطات المجموعات الأربع باختبار (ت)، والجدول الآتي يوضح هذه الفروق ومستوى دلالتها الإحصائية:

جدول رقم (٨)
يوضح الفروق في التوافق العام

الدالة	ت	ع	م	ع	م	البيانات	
						المجموعات	البيانات
٠,٠١	٧,٦٧	٤,٧٨	٦١,٢٣	٥,٢٢	٧١,٤٣	٠,٠١	٠,٠١
٠,٠٥	٢,٠٨	٢,٤٢	٦٨,٧٢	٥,٠٦	٦٦,٣٧	٠,٠٥	٠,٠٥
٠,٠٠١	٣,٧٢	٥,٠٦	٦٦,٣٧	٥,٣٢	٧١,٤٣	٠,٠٠١	٠,٠٠١
٠,٠٠١	٦,٨٧	٣,٤٢	٦٨,٧٢	٤,٧٨	٦١,٢٣	٠,٠٠١	٠,٠٠١

يتضح من الجدول السابق وجود فروق بين أزواج المجموعات في ضوء متغيري الجنس والجنسية في التوافق العام. فهناك فروق بين الأطفال الذكور والأطفال الإناث سواء كانوا مصريين أو إماراتيين، وهذا ما تؤكده حقيقة الفروق بين الجنسين من الناحية السيكولوجية بوجه عام، وإن كان إتجاه هذه الفروق يشير إلى أنها في صالح الذكور المصريين. كما أن هناك فروقاً بين الأطفال المصريين والأطفال الإماراتيين في التوافق العام واتجاه هذه الفروق يشير إلى أنها

في صالح الإناث الإماراتيات. وهو ما يمكن تفسيره في ضوء عوامل ومتغيرات مختلفة من أهمها تلك العوامل الثقافية والحضارية بل والثقافات الفرعية لكل من الأطفال المصريين والأطفال الإماراتيين وكذلك الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وأساليب الرعاية الوالدية، وهي عوامل لا يمكن أن ننكر أثراها على التوافق النفسي والصحة النفسية للطفل.

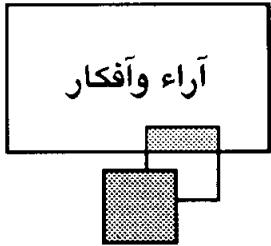
وأخيراً يمكن القول بأن فرضي الدراسة قد تحقق جزئياً، حيث اتضح وجود فروق في التوافق الشخصي في صالح الأطفال الذكور الإماراتيين، أما الفروق في التوافق الاجتماعي فهي في صالح الأطفال الذكور المصريين، فيما نجد أن الفروق في التوافق العام هي في صالح الأطفال الذكور المصريين. إلا أن هناك تفاعلاً بين كل من عوامي الجنسية والجنس في تحديد الفروق بالنسبة للتوافق الاجتماعي والتوافق العام، مما يشير إلى أهمية هذين المتغيرين في تناولنا للفروق لاسيما في الدراسات عبر الحضارية. والبحث بذلك يمهد لإجراء المزيد من الدراسات التي تتعلق بالخصائص المشتركة للثقافة العربية ودورها في تحديد معالم شخصية الطفل العربي من جهة، وللعمل على تهيئة أفضل الظروف التي تحقق له التوافق والصحة النفسية من جهة أخرى.

المراجع

- ١ - جابر عبد الحميد جابر: **بحوث ودراسات في الاتجاهات والميول النفسية**، المجلد السابع الجزء الثاني، مركز البحث التربوي، جامعة قطر، ١٩٨٣ م.
- ٢ - جون بولبي: **رعاية الطفل وتطور الحب**، ترجمة: السيد محمد خيري وأخرون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٩ م.
- ٣ - حامد عبد السلام زهران: **علم النفس الاجتماعي**، الطبعة الثالثة القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٤ م.
- ٤ - : **الصحة النفسية والعلاج النفسي**، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٨ م.
- ٥ - سيد أحمد عثمان: **علم النفس الاجتماعي والتربوي**، الجزء الأول، التطبع الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٠ م.
- ٦ - سيد محمد صبحي: **أثر الاتجاهات الوالدية والمستوى الثقافي للوالدين على تنمية الابتكار**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، ١٩٧٥ م.

- ٧ - شاكر عطية قنديل: **التوافق الشخصي والاجتماعي وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ المدرسة الابتدائية في القرية والمدينة**, رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، ١٩٧٤ م.
- ٨ - طلعت حسن عبد الرحيم: **دراسة تحليلية لشخصية التلاميذ المتختلفين والراسبين في المرحلة الابتدائية والمطلبات النفسية لرعايتهم**, رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة المنصورة، ١٩٧٥ م.
- ٩ - عبد الحليم محمود السيد: **الأسرة وإبداع الأبناء**, القاهرة، دار المعارف ١٩٨٠ م.
- ١٠ - عبد السلام عبد الغفار: **في طبيعة الإنسان**, القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٣ م.
- ١١ - : **مقدمة في الصحة النفسية**, القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٧٧ م.
- ١٢ - عطية محمود هنا: **اختبار الشخصية للأطفال**, القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٥ م.
- ١٣ - علاء الدين كفافي: **أثر التنشئة الوالدية في نشأة بعض الأمراض النفسية والعقلية**, رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر، ١٩٧٩ م.
- ١٤ - فؤاد البهبي السيد: **علم النفس الاجتماعي**, دار الفكر العربي، ١٩٨١ م.
- ١٥ - محمد الخالد الطحان: **دراسة للتفوق العقلي من حيث علاقته باتجاهات الوالدين في التنشئة ومستواهما الثقافي**, رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، ١٩٧٧ م.
- ١٦ - محمود السيد أبو النيل: **علم النفس عبر الحضاري**, بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٨ م.
- ١٧ - مصطفى فهمي: **الصحة النفسية**, دراسات في سيميولوجيا التكيف القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٦ م.
- ١٨ - : **التكيف النفسي**, القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٧٨ م.
- ١٩ - مدوحة محمد سلامة: **مخاوف الأطفال وإدراكيهم للقبول والرفض الوالدي**, مجلة علم النفس، العدد الثاني، ١٩٨٧ م، ص ٥٤ - ٥٩.
- ٢٠ - ميشيل أرجيل: **علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية**, ترجمة عبد الستار إبراهيم، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٣ م.
- ٢١ - وزارة التربية والتعليم، قطاع التخطيط والتقويم، قسم المعلومات

- والبحوث والتوثيق (دولة الإمارات العربية المتحدة): نشرة إحصائية التعليم، ١٩٧٩/٧٨.
- ٢٢ : نشرة إحصائية التعليم، ١٩٨٦/٨٥.
- ٢٣ - يوسف عبد الفتاح محمد: الزواج من أجنبيات واثره على أبناء الخليج العربي، بيروت، دار الأداب، ١٩٨٨ م.
- 24- Ainsworth, M.D. & Witting, B.A. Attachment and exploratory behavior of one year olds in a strange situation, in B.M. Foss (ed.) **Determinants of Infant Behaviour**. Vol. 4. London, Methuen, 1969.
- 25- Coopersmith, S. **The Antecedents of self-esteem**, San Francisco, W.H. Freeman and Company, 1967.
- 26- Eysenck, H.G. **Encyclopedia of Psychology**. N.Y. A Continuum Book The Scabury Press, 1962.
- 27- Feldhusen J.F., Thurston J.R. 7 Bennig, J. Aggression, Classroom Behavior and School Achievement. **Jour. of Special Education**, 1970, Vol. 4, pp. 431-4598
- 28- Growe, G.A. Parental Behavior and Self- Esteem in children. **Psychol. Report**, 1980, 47, pp. 499-502.
- 29- Jackson, P. W. & Cetzels, J.W. Psychological Health, Classroom Functioning, A Study of Dissatisfaction with School Among Adolescent. In: William C.M. & Wingo M. (eds.) **Readings in Educational Psychology**. New Delhi. Mohan Primlani, 1970.
- 30- Kunin, J.S. & Gump, P.V. The Influence of a punitive and non-Punitive teachers upon children's concepts of school conduct. **Jour. of Educ. Psychol.** 1961, 52, pp. 44-49.
- 31- Kawash, G.F., Kerr, E.N. & Clewes, J.L. Self-esteem in children as a function of Perceived parental behaviour. **Jour of psychology**, 1985, 119..., pp. 235-240.
- 32- Patterson, R. **The Nursrey School & Kindergarten, Human Relationships and Learing** N.Y., Holt, Rinehart and Winston, 1980.
- 33- Rheingold, H.L. The effect of a strange environment on the behavior of infants. In: Foss, B.M. (ed.), **Determinants of infants behavior**, Vol. 4. London, Methuen, 1969.
- 34- Radin, D.R. & Moan, C.E. Peer interaction and cognitive development. **Child Development.**, 1971, 42, pp. 1685-1699.
- 35- Rutter, M. **Helping Troubled Children**. N.Y. Penguin Books, 1975.
- 36- Saunders, T.R. State anxiety as a function of trait anxiety in a quasiclinical situation. **Jour. of Consulting and Clinical Psychology**, 1975, 41, pp. 144-147.
- 37- Warren, R.C. **Dictionary of Psychology**. Cambridge Haughton Mifflin 1934.



سوء الإدارة والأمراض المهنية

د. عصام غانم

مقدمة :

أريد أن أسلط الضوء على موضوع لم يزل نصبه الكافي عند دراسة الأمن الصناعي وحماية القوى العاملة من حوادث وإصابات العمل، ألا وهو أخطار سوء الإدارة على صحة الموظفين

ولا أعتقد أن عدم توفر إحصائيات يمنع البدء في بحث هذا الموضوع، فهناك حقائق معروفة إلا أنها لم تخضع لمعالجة التحليل العلمي أو على الأقل التأمل الفكري العميق.

فمن المعروف أن ارتفاع ضغط الدم ينتشر في بعض جهات العمل التي تعاني من سوء الإدارة، وأن حياة الموظف تتعرض في بعض الحالات للنوبات القلبية والطلاق والإدمان على السجائر والمشروبات الروحية نتيجة التعاسة في العمل.

أولاً علينا أن ندرس بأمانة طبيعة الإدارة في المجتمع الخليجي.

ثانياً علينا أن نحاول أن نصل إلى استنتاجات واضحة.

ثالثاً علينا أن نقترح توصيات لحل المشاكل التي يمكن حلها وأن نكتفي بالتعابير السلبية مع الأمور التي يستعصي تعديلها ولكن بعد الإدراك الوعي لتلك الأمور كي يسهل تقبلها دون متأهات، فمنضرر لا نفهم حدود مقدراتنا على تجاوز بعض الصعاب. ومن الخطأ إلا نقبل أن هناك أموراً يستعصي حلها وأن الأنسب هو إدراك حتميتها والتعابير عنها بوضوح كي لا نبدد طاقاتنا في محاولة المستحيل أو نبحث عن أسباب وهمية بديلة للأسباب الحقيقة التي يحاول كثيرون التهرب من التسليم بها.

فمن المسلمات أن النشاط الصناعي نشاط اقتصادي وتجاري وليس عملاً خيراً أو من باب التقى أو الورع.

فالأمن الصناعي هو من متطلبات المجتمع الإنساني وتشريعات وتنظيمات الدولة وليس من الأهداف الأصلية التي يسعى إليها الصناعيون.
لتأخذ مثلاً بسيطاً كي نتفادى التعميم.

كان استعمال الحرير الصخري الأزرق المستورد من جنوب أفريقيا أمراً عادياً في مصانع أوروبا والخليج لإنتاج أنابيب الأسمدة المسلح بالأمينات أو الاسبستوس ولكن في أوائل الثمانينيات أصبح استخدام تلك المادة ممنوعاً نظراً لتأكد الباحثين من أنها تسبب السرطان.

ولكن هل كان المديرون في المصانع يتذمرون حرضاً كافياً عندما بدأت المؤشرات إلى وجود الخطر تظهر؟ لا أعتقد ذلك، فالإصابات كثيرة حتى في بريطانيا المعروفة بالحرص على اتباع أعلى المستويات.

بعد هذا المثال أود أن ثلقي نظرة عميقة على طبيعة الإدارة في المجتمع الخليجي. ما من شك أن الإدارة تتكون بالدرجة الأولى من الثروة البشرية ثم من وسائل الإدارة التي تساعده على اتخاذ القرار. ولا يختلف اثنان في أن الإدارة المالية في الخليج عانت خيبات أمل كبيرة في أوائل السبعينيات عندما مرت بسوق المناخ الأول والذي نسيه الكثيرون والدليل على ذلك سوق المناخ المعروف في الثمانينيات.

وهكذا يعيد التاريخ نفسه وذلك لأن رجل الأعمال المحلي يخشى من احتمال ضغط المدير المالي العربي الذي جاء إلى هذه الديار من جمهورية عربية ما وإن كان الخوف من الابتزاز ليس في محله ولكن نفس رجل الأعمال هذا لا يخاف من غش وخديعة المدير المالي الخواجة حتى وإن تسبب في خسائر فادحة لا تعوض وجرائم المديرين الأوروبيين في اثنين من بنوك دبي معروفة.
وينسى رجل الأعمال هذا أيضاً أن الفقر يكاد أن يكون كافراً فيعين أحياناً

مديراً مثلاً من الشرق الأقصى وي تعرض ذلك المدير للإغراءات أحياناً. ثم يقرر رجل الأعمال أن يقوم باحتياجات إسمية فيقوم بتعيين مستشار قانوني بدرجة لا تسمح له في العادة من التبليغ بتلاعب المديرين الذين يطونه رتبة ويتحكمون في كثير من أموره بل وفي من يرفع له القرار.

ويضمن تعين إدارة غير عربية تعميق الأخطاء في الالتزامات ففي حالة النزاع والتحكيم والتقاضي يسود النص العربي الذي لم يلتفت إليه المديرون وإنما اعتبروه مجرد ترجمة من موظف صغير. فالمديرون الذين لا يجيدون اللغة العربية أو الذين يجيدون اللغة العربية ولكنهم لا يتقنون اللغة الإنجليزية يرفضون إعطاء الترجمة حقها بالرغم من أنها من المهام الصعبة. وحتى وإن قيل إن الترجمة كانت أصل العلوم مثلاً في الطب. أما اليوم فالطالب ينهي العلم بواسطة تعلم اللغات الأجنبية، فإن هذا لا يعني بأن الترجمة ليست في غاية الأهمية عندما تكون مصدر الالتزامات الناشئة عن العقود. ثم إن الترجمة مازالت مصدراً مهماً لتلقي بعض العلوم ويكفي هنا أن نشير إلى دور مراكز الأبحاث البريطانية لشئون الشرق الأوسط في تسلیط الأضواء على بعض دراسات الجزيرة العربية.

ثم أن المدير الذي لم تسعفه الظروف لنيل قسط جيد من التعليم أو الثقافة يتلذذ بأن يكون مجحفاً عند تقدير مرتبات الكفايات بل حتى عند تقدير الكفاءات فهو يحاول أن يعيش عن مركب النقص الذي يعاني منه، وهذا لا ينطبق في العادة على حالتين:

الأولى: عند ما يكون المدير شريكاً فهنا يهتم إلى حد ما باستقطاب الأكفاء من أجل أن يساعدوا على الإنتاج.

الثانية : عندما يكون المدير مواطناً وطنياً تهمه المصلحة العامة، بالمعنى العدة لها.

ومنها سعادة المجتمع وتحقيق فرص منصفة وعادلة. يدرك الكثيرون أن فكرة القومية العربية ثبتت فشلها حتى الآن عدة مرات سواء في مصر وسوريا أو اليمن وربما كان مجلس التعاون الخليجي واقعياً عندما دعا إلى التعاون والتنسيق ولم يجنب إلى الوحدة.

وهناك اعتبار مهم يجب أن نتعاويش معه وهو أن تحقيق النجاح التجاري يتعارض مع استخدام الأيدي العاملة العربية المكلفة وان الأيدي العاملة من الشرق الأقصى أقل تكلفة. ولكن هذا الاعتبار لا ينطبق في الواقع على الكوادر الإدارية وإنما على الأيدي العاملة العادمة. في ظل هذا التخبط ما هي الاستنتاجات والتوصيات؟.

أولاً: على أصحاب الأعمال أن يعيدوا النظر في اختيار المديرين وأن يتذكروا أن

ليس كل واسطة هي واسطة خير وأن يدركوا أنهم حتى عندما يستعينون بشركة استشارية غربية لإدارة الأعمال فإن تلك الشركة لها في العادة ارتباطات بوكالات التوظيف وأنها لن تفك بالضرورة من منطلق المصلحة الخاصة وال العامة وإنما قد تفك من وجة المصلحة الخاصة على المدى القصير ومصلحتها هي على المدى البعيد. وقد يقول صاحب مصنع وما شأنى بالصلحة العامة من الناحية الخاصة المحسنة؟ والجواب هو أن تضرر المصلحة العامة من شأنه على المدى البعيد أن يؤثر على المصالح الخاصة بطريقة سلبية. فبدون أي تحمس وطني أو قومي على أصحاب الأعمال أن يفيقوا إلى مصالحهم الخاصة بعيدة المدى.

كما أقول يجب التمييز بين الكفاية الحقيقة من مؤهلات وخبرة ومقدرة وأمانة والكفاءة الإسمية التي يمكن شراؤها.

ثانياً: على الاجتماعيين أن يتقبلوا طبيعة المجتمع الذي يعيشون فيه. حتى إن كانت لديهم ميل نحو الحتمية الاقتصادية ونظرية الصراع المادي بين الطبقات فإن من شبه المستحيل تطبيق مثل تلك النظريات على مجتمع يسعى لتوفير العلاج والتعليم المجاني ولاجتناب الاستثمارات لتطوير الصحراء كي تصلح حتى للتزحلق على الجليد. وعلينا أن ندرك أن الأنظمة ليست بشعاراتها فشعارات إلى متى؟ الأنظمة هي بما تحقق من سعادة ومفاهيم إنسانية وبما تمنه للإنسان من الشعور بالطمأنينة والإنصاف.

ثالثاً: لا أعتقد أن وضع العقبات أمام الوافدين سيحثهم على الشعور بالانتقام بحيث يستشعرون حتى بالاحتفاظ بمدخراتهم في وداع لدى البنوك المحلية أو فروع البنوك الأجنبية العاملة محلياً. وبما أن نسبة التحويلات من الإمارات إلى الخارج تعتبر مرتفعة بالنسبة لكثير من دول العالم وهو أمر لا يختلف فيه رجال الاقتصاد والمصارف، هذا الجانب يمكن حله جزئياً بمجرد جرة قلم وهي عدم تعريض الوافد لمغادرة البلاد إذا اضطر إلى تغيير عمله أو إذا اقترف جنحة أو مخالفة فعل من لا يخطيء. عندها سيشعر الوافد بأن له الاعتبار الضروري ومقومات الاستقرار ودون أن يطبع في الجنسية أو ما شابه. وعندما سيكون الوافد أكثر اهتماماً بالمساهمة في مختلف مجالات التنمية مثل التطوع في تدريب المعاقين والمساهمة في بناء المجتمع كل حسب قدرته والانتاج بشكل مخلص وجاد وليس كمجرد وسيلة لكسب لقمة العيش. والمعاملة الجيدة لها أيضاً عائد أمني فالمرء لا يبصق في الإناء الذي يأكل منه ويتوقع أن يأكل منه مرة أخرى.



دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية للطفل

إعداد
فاروق أمين

مقدمة :

رغم أن هناك العديد من المؤسسات التي تؤثر في تشكيل شخصية الإنسان، إلا أن الأسرة التي يعيش فيها الفرد منذ طفولته تتميز عن غيرها بكونها أول مؤسسة تستقبل الطفل منذ قドومه إلى هذه الدنيا.

ذلك لأن الأسرة تعامل مع الطفل خلال مرحلة يعتبرها علماء النفس أهم وأخطر مرحلة في حياة الفرد، ألا وهي السنوات الخمس الأولى من حياته.

إن دماغ الطفل خلال هذه السنوات عبارة عن صفة بيضاء تتأثر بما يتعرض له دون القدرة على التمييز والانتقاء بين ما هو مرغوب فيه وبين ما هو غير مرغوب فيه. ولذلك تبقى هذه المؤشرات ذات فاعلية كبيرة في شخصية الطفل حتى الكبر، وتشكل

* جامعة الإمارات.

أحد أكبر وأهم الدوافع المسيرة لنشاطه واحتياجاته ورغباته.

وتأتي الأهمية الثانية للأسرة من كون الطفل الإنساني، كائناً عاجزاً عن إشباع حاجاته الأولية خلال السنوات الأولى من حياته، وذلك على خلاف كثير من الكائنات الحية الأخرى. ولهذا يضطر الطفل إلى الاعتماد على أسرته في إشباع هذه الحاجات لفترة غير قصيرة من حياته.

علاوة على ما سبق فإن الطفل كثيراً ما يتخذ أحد أفراد الأسرة الكبار وعادة ما يكون الأب - مثلاً أعلى يقوم بتقليده دائمًا محاولة منه للوصول إلى ما وصل إليه هذا الشخص.

ولذلك فإن المؤثرات الأخرى، كالمدرسة وجماعة اللعب ووسائل الإعلام المختلفة تشكل أهمية ثانوية خلال السنوات الأولى من عمر الطفل، إلا أن دورها يزداد شيئاً فشيئاً مع ارتفاع سن الفرد، حتى يصل إلى مرحلة النضج، حيث يصبح دوره أكثر إيجابية وأكثر انتقاء لأنماط السلوك التي يرغب في اتباعها وفي نفس الوقت رفض ما لا يرغب في اتباعه.

ماذا نقصد بالأسرة :

الأسرة هي مجموعة من الأفراد يسكنون في مسكن واحد، يشتراكون مع بعضهم البعض في تدبير شؤونهم المعيشية، وترتبطهم روابط الدم أو المصاهرة.

وهناك نوعان من الأسرة، الأولى هي الأسرة النووية والتي تتكون من الزوج والزوجة وأبنائهما، والثانية هي الأسرة الممتدة التي تتكون من ثلاثة أجيال أو أكثر، كإقامة الجد مع أبنائه وأحفاده في أسرة واحدة.

وقد كانت الأسرة الممتدة تشكل النوع السائد في منطقة الخليج العربي قبل ظهور النفط نظراً لاشتراك جميع أفراد الأسرة في العمل المشترك، بالإضافة إلى إقامة الأبناء المتزوجين في نفس مسكن الوالدين.

أما الأسرة النووية فتشكل النوع السائد حالياً بسبب استقلال الأبناء اقتصادياً عن آبائهم، ومن ثم السكن في بيت مستقل بعد الزواج.

ماذا نقصد بالتنشئة الاجتماعية :

يأتي الطفل إلى هذا العالم وهو مزود فقط بقدرات محدودة، لا تساعده على العيش أكثر من عدة ساعات إذا لم يجد من يهتم به ويرعااه.

وهنا تتولى أمه أساساً تزويده بوسائل الحياة لفترة تعتبر من أطول الفترات بالنسبة إلى غير من الكائنات الحية.

ففي حين تعتمد الحيوانات على غرائزها في تدبير أمورها في الحياة، نجد أن الإنسان لا يستطيع أن يصبح كائناً اجتماعياً دون أن يتعلم الأساليب والطرق التي تمكنه من العيش مثل الآخرين والقدرة على التعامل مع أفراد المجتمع بصورة صحيحة تساعده على الاندماج بينهم والتفاعل معهم.

ولذلك فإنه يمكننا أن نقول إن التنشئة الاجتماعية هي «العملية التي يتحول الفرد خلالها من طفل يعتمد على غيره، متمركاً حول ذاته، لا يهدف في حياته إلا إلى إشباع حاجاته الفسيولوجية طفل لا يستطيع إرجاء إشباع حاجاته حين يشعر بالدافع إلى الإشباع، إلى فرد ناضج يدرك معنى المسؤولية وكيف يتحملها، ويعرف معنى الفردية والاستقلال، يسلك معتمدًا على ذاته اعتماداً نسبياً، لا يخضع في سلوكه إلى حاجاته الفسيولوجية، فرد يستطيع أن يضبط انفعالاته، ويتحكم في إشباع حاجاته، فيشبع ما يسمح له المجتمع بإشباعه، ويرجىء إشباع تلك الحاجات التي يقتضي الموقف إرجاءها، ويكتب تلك الحاجات التي يرفض المجتمع إشباعها، ويدرك قيم المجتمع ومعاييره على المستوى المعرفي والانفعالي فيلتزم بها، فرد يستطيع أن يتشاءم العلاقات الاجتماعية المشبعة مع غيره، فيستمتع بها ويتمتع بها غيره»(١).

ولكن ما الذي يجعل الطفل خاضعاً لعمليات التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة، بحيث تحدد له المسارات التي يجب عليه أن يسلكها عندما يريد أن يشبع حاجاته؟، يتضح ذلك فيما يلي:

١ - على الرغم من أن الطفل يتمتع باستعدادات فطرية منذ ولادته إلا أنه يعجز عن إشباع حاجاته أو حتى حماية نفسه من الأخطار الموجودة في بيئته، ولذلك فإنه بحاجة إلى من يؤمن له الغذاء والكساء ويهميه من الأخطار.

٢ - إن الاستعدادات الفطرية لا تكفي لتوضيح الطرق التي يمكنه بواسطتها التكيف مع الآخرين وتدير أمور حياته، فهو يحتاج إلى التدريب والصقل وتعلم المهارات من الآخرين.

٣ - إن الطفل في البداية يحتاج إلى إشباع حاجاته الفسيولوجية، ولكنه شيئاً فشيئاً يحتاج إلى الإشباع النفسي والاجتماعي، ولو لا الآخرون لما استطاع أن يشبع هذه الحاجات وهنا تأتي الأسرة لتشكل أولى الجماعات التي تقوم بذلك.

والأسرة عندما تشبع حاجات الطفل، فإنها تضع له معايير معينة عليه أن يتبعها حتى يحصل على حاجاته منها، فهي تحذر له طرق الأكل وأداب الجلوس واحترام الآخرين ومواعيد النوم وأماكن اللعب... إلخ. ونظراً لحاجات الطفل إلى الأسرة وعدم قدرته على الاستغناء عنها فإنه يستجيب لها وينفذ ما تطلبه منه، الأمر الذي يجعله كائناً اجتماعياً يسير وفق ما يريد ويتقبله المجتمع، ولا يقوم بما يستهجن ولا يرضي عنه (٢).

ومن المهم التأكيد هنا على أن تعامل الأسرة مع أفرادها يختلف من طفل لأخر، وذلك حسب نظرة الأسرة إليه وحسب أهميته لها. فإذا كان طفلاً قد انتظرت الأسرة قدومه منذ فترة طويلة وبسبب العقم مثلاً، فالتعامل معه يختلف عن طفل زائد عن الحاجات مثلاً، فال الأول سيلقي مزيداً من الرعاية والاهتمام، بينما الثاني سيعاني من الإهمال وسوء التربية.

أساليب التربية في الأسرة وأثارها على الطفل :

في الأحوال العادية تقوم الأسرة بتربية الطفل عن طريق نقل ثقافة المجتمع إليه ليكون شخصاً سوياً قادراً على التكيف والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية مثل الآخرين.

ولكن الذي يحدث في كثير من الحالات أن الأسرة تسيء هذه التربية عن طريق الأساليب التي تتبعها في تربية أطفالها، مما يؤدي إلى ظهور أشخاص يسلكون سلوكاً يختلف عن سلوك الناس العاديين بقدر ما تعرضوا له من أساليب خطأ في التربية.

ولذلك فإننا سنبين كيف أن طرقاً معينة خطأ تؤدي إلى ظهور سوء تكيف أو انحرافات في شخصية الطفل مستقبلاً.

١- السلوك المتعلق بالغفف: وهذا يشمل الأكل والشرب والامتصاص والرضاعة وما شابه ذلك. وقد أجريت دراسات عديدة في هذا المجال تبين منها ما يلي:

١ - أن مص الأطفال لاصابعهم يعود إلى عدم إعطائهم فرصة كافية للامتصاص في فترة الرضاعة.

٢ - أن الأطفال الذين تم فطامهم في فترة مبكرة يصبحون عندما يكبرون أقرب إلى التشاوئم، بينما الأطفال الذين تم فطامهم في مرحلة متأخرة يصبحون عندما يكبرون أقرب إلى التفاوؤل.

٣ - أن التزمت في اتباع مواعيد الرضاعة في الفطام يرتبط بشكل موجب وطريدي بما يلاحظ على الأطفال من كثرة الاعتماد على الغير^(٣).

٤ - القسوة واللين: أكد عدد من الدراسات على ما قاله العالم النفسي «فرويد» من أن كبت العدوان عند الطفل في مراحل حياته الأولى يؤدي إلى ظهور السلوك العدواني عنده في الكبر.

كما أن هناك دراسات أخرى بينت أن القسوة في عقاب الأطفال على عدوانهم في المنزل يرتبط ارتباطاً موجباً بمقدار ما يبديه الأطفال من عدوان في خيالاته وأوهامهم، وهذا يعني أن الأطفال الذين يبالغ آباءهم في عقابهم على اعتداءاتهم يزيد عندهم العدوان في العابهم بالدمى والعرائس وما شابه ذلك^(٤).

وفي دراسة أجريت في العراق على الأحداث الجانحين تبين ما يلي:

١ - أن أسلوب القسوة واللين في معاملة الأبناء أكثر انتشاراً بين عوائل الجانحين بالنسبة لعوائل غير الجانحين، كما أن أسلوب التأرجح بين القسوة واللين أكثر انتشاراً بين عوائل الجانحين بالنسبة لعوائل غير الجانحين.

٢ - أن إهمال الطفل أو استخدام أسلوب الضرب أو الشتم أكثر انتشاراً عند آباء وأمهات الجانحين في معاملتهم لأبنائهم بالنسبة لأباء وأمهات غير الجانحين^(٥).

٣ - التدليل: كثيراً ما يستخدم تدليل الطفل كحل للكثير من الصراعات التي تحدث داخل الأسرة، حيث يقيم الأب أو الأم علاقة تعويضية مع الطفل تتخذ طابع الود والتدليل. ويؤدي ذلك عادة إلى إفلات الطفل من أي قانون أو سلطة تضبط سلوكه.

ولذلك فإن الطفل ينشأ متمرضاً حول ذاته، لا يفكر إلا في نفسه، ولا يرى ذاته من خلال المقاييس التي يضعها المجتمع، بل يرى المجتمع من خلال المقاييس التي يضعها هو، فهو يضخم ذاته ويزيد من أهميتها، بينما يقلل من أهمية المجتمع والتعامل مع أفراده والالتزام بمعاييره وقيمه.

فعندما يذهب هذا الطفل إلى المدرسة مثلاً، يحس بأن الدروس والنظام والواجبات عبء يصعب احتماله وتبريره، أو هو يلح أن يعامل في الصيف كما عامل في البيت، وذلك غير ممكن. فتتولد في نفسه مشاعر الإحباط، وقد يثور على المعلم متهمًا إياه بالاضطهاد والظلم. ولابد للصلة بالمدرسة أن تنقطع نتيجة للعلاقات المتأزمة بعد فترة تطول أو تقصير فيغير المدرسة مرة أو أكثر^(٦).

وإذا لم يتخذ الأهل إجراءات حازمة تجاه اضباطه والتزامه بالمدرسة، فإنه قد يهرب من المدرسة مراراً، وقد يتركها نهائياً الأمر الذي يعرضه للانحراف.

ومن الجانب الآخر فإن عدداً من الدراسات قد وجدت أن الأبناء في الأسر التي تسودها العلاقات الديمقراطية يكونون أقل قلقاً وأقل رغبة في هجر منزل والديهم من هؤلاء الذين ينتمون إلى أسر غير ديمقراطية. كما تبين أن نسبة كبيرة من الأولاد والبنات الذين تلقوا تربيتهم في أسر مسلطة يكرهون أسرهم، وقد ينعكس كرههم هذا على المجتمع أيضاً، حيث قد يعتبرون المدرس مثلاً امتداداً للأب. أما الأطفال الذين نشأوا في أسر تسودها روح التسامح والتشاور فإنهم يكونون أكثر استعداداً لاتخاذ القرارات المتعلقة بهم، وحسب القيم التي تعلموها في أسرهم (٧).

وفي دراسة أجريت في لبنان وجد أن ممارسة الأسرة لسلطة المنع على أبنائها تزداد في الأسر التقليدية الواسعة وتقل في الأسر النبوية، كما أن امتثال الأبناء لسلطة الأبوبية يتنااسب عكسياً مع مستواها المفروض عليهم. فحيث تفرض أقل سلطة نجد أن الأبناء يمثلون لها بشكل كلي أو عام، وحين يرتفع مستوى المنع وتشتد السلطة فإن الامتثال لها يقل، ثم إنه كلما زاد امتثال الأبناء لسلطة المنع في الأسرة ازدادت معها معاناتهم منها والعكس صحيح (٨).

ولذلك يتبيّن لنا أن الأسر التي يسودها التفاهم والتشاور هي التي تتيح جواً مناسباً لنمو أطفالها نمواً نفسياً واجتماعياً سليماً.

هذا بالنسبة للأساليب التي تستخدمنها الأسرة في تربية أبنائها. ومن جانب آخر نجد أن للأوضاع الأسرية دوراً كبيراً في تشكيل شخصية الطفل مستقبلاً، وهذا ما يتضح من خلال ما يلي:

١ - **غياب أحد الوالدين عن الأسرة:** في الأحوال العادية يعتبر الطفل الذكر أباً نموذجاً مثالياً يحاول اتباعه والوصول إلى ما وصل إليه، ولذلك فإنه يبذل كل جهده لتقليد والده والتصرف مثله. ولكن إذا حرم من هذا النموذج الأبوي بشكل مؤقت أو دائم، نجد أن الطفل يضطر إلى اتخاذ أمه كنموذج لسلوكه وحياته، وربما يضع ذكوراً آخرين في مكان أبيه مما قد تكون له آثار سيئة عليه.

وقد أفاد بعض علماء النفس بأن أخطر فترة لغياب الأب يمكن أن يمر بها الطفل تتمثل في الانتي عشرة سنة الأولى من عمره، حيث يعتمد الطفل خلال

هذه الفترة على الأشياء الحسية لإدراك الواقع الذي يعيش فيه لتكوين مفاهيم سليمة للأشياء وال موجودات حوله.

ويبدأ هذا الاعتماد على المحسوسات وخبراتها بشكل عام مع مولد الطفل ثم ينحصر تدريجياً حتى عمر الثانية عشرة، حيث يبدأ تفكيره التأملي المستقل.

وقد أجريت دراسات عديدة لمعرفة أثر غياب الأب على تنشئة الطفل، ومن النتائج التي وجدت ما يلي:

١ - إن الأطفال ذوي الأب الغائب أقل شجاعة وسلوكاً مغامراً وأقل اندماجاً في الألعاب أو الرياضيات الجسمية الرجولية.

٢ - إن هؤلاء أكثر اعتماداً على الغير.

٣ - إن تأكيد الطفل ذي الأب الغائب على الرجلة وكفاحه من أجل التمثيل بشخصية أبيه يدفعه إلى الانضمام إلى عصابات المنحرفين عن القانون، أو على الأقل يحفز لديه سلوكاً متميزاً بالخشونة غير المقبولة اجتماعياً.

٤ - بأن هؤلاء أقل استقلالية وأضعف قدرة على ضبط سلوكهم الفردي^(٩). أما الدراسة التي أجريت في العراق على الأحداث الجانحين فقد بينت أن نسبة الطلاق بين عوائل الجانحين أكثر منها بين عوائل غير الجانحين، وأن حالات مجر آباء وأمهات الجانحين لبيوتهم أكثر منها عند آباء وأمهات غير الجانحين^(١٠).

٥ - العلاقة بين الوالدين: إن العلاقة القائمة بين الوالدين تتعكس آثارها على شخصية الطفل، حيث نجد أنه كلما كانت العلاقة بينهما منسجمة أكثر ويسودها الحب والتفاهم كلما أدى ذلك إلى توفير جو سليم يساعد على نمو شخصية الطفل بشكل متكامل ومتزن.

أما الخلافات والمخا صمات بين الزوجين وخاصة عندما يشعر بها الطفل تعتبر من العوامل التي تؤدي إلى نمو نفسي غير سليم لدى الطفل، إذ إن الجو الأسري الذي تسوده الخلافات وعدم الانسجام بين الزوجين يختلف عن جو يشيع فيه الحب والتفاهم والتعاطف. ولاشك أن من الخبرات القاسية ذات الأثر النفسي السيء على الطفل هو شعوره بما يوجد بين والديه من انعدام الحب والتعاطف وما تحويه علاقتهما من خلافات ومصادمات مستمرة وما يمكنه كل منها للأخر من كراهية وتضائق.

فالطفل عادة يحب والديه ويعجب بكل منها، ولذلك فإن ملاحظته لهذه الخلافات لدى والديه تؤدي إلى اهتزاز صورهما عنده، وبالتالي لا يعودان بالنسبة له نموذجين يمكن الاقتداء بهما.

وقد وجدت إحدى الدراسات أن هناك ارتباطاً موجباً بين التوتر الذي يشيع في جو الأسرة نتيجة للخلافات بين الوالدين وبين انماط من السلوك عند الأطفال، كالغيرة والأنانية والخوف والشجار وعدم الاتزان الانفعالي، وجميع هذه الأنواع السلوكية تدل على عدم توافر الأمان النفسي عند الطفل وعدم اتزانه افعالياً (١١).

وفي الدراسة التي أجريت في العراق وجد أن حالات الخصام عند عوائل تقارب ثلاثة أمثالها عند عوائل غير الجانحين. فإن الخصام بين الوالدين سواء كان ظاهراً أم خافياً عن أنظار البناء فإنه يكون سبباً في تمزق حياة الطفل الداخلية، ويولد فيه شعوراً بالخوف وعدم الطمأنينة خشية أن ينفصل أو ينفصل أحدهما عنه (١٢).

مما سبق يمكن التأكيد على أن العلاقة بين الوالدين دوراً كبيراً في تكوين شخصية الطفل، إذ إن الطفل يتأثر بهذه العلاقة مهما كان نوعها أو شدتها.

٣ - العلاقات بين الأخوة: كما تؤثر العلاقة بين الوالدين على الطفل، كذلك نجد أن العلاقات بين الأخوة أنفسهم لها دور كبير في التنشئة الاجتماعية لكل منهم.

فكما كانت العلاقات بينهم يسودها الانسجام والود والاحترام المتبادل ساعد ذلك على النمو السليم لشخصية كل منهم.

أما إذا كانت هذه العلاقات قائمة على التفضيل والتحيز وسيادة روح الأنانية والغيرة والمشاجرات، فإن ذلك يؤدي إلى عدم نشوء علاقات سليمة بينهم، وهذا يكون له دور مهم في النمو النفسي والاجتماعي لكل منهم.

٤ - سوء النموذج الذي يقتدي به الطفل: سبق وأن قلنا إن الطفل عادة يتمثل بوالديه في اتباع نماذج السلوك التي يسير عليها، وقد يحصل هذا التقليد والتمثيل حتى دون رغبة والديه في ذلك. فهو يتعلم منها ما يقومان به من تصرفات معتبراً إياها نماذج سلémة يجب اتباعها. فإذا كان أحد الآبوين - أو كلاهما - منحرفاً، أو ذا سلوك سيء في بعض المواقف، فإن هناك احتمالاً كبيراً في أن يتبع الطفل هذه النماذج السيئة للسلوك وتستمر معه حتى الكبر.

من ذلك مثلاً ما وجد في العراق، أن عوائل الأحداث الجانحين لهم تصرفات منافية للقواعد الأخلاقية التي تعارف عليها المجتمع، وأن الجريمة أكثر انتشاراً بينهم نسبة إلى عوائل غير الجانحين (١٣).

التنشئة الاجتماعية في الأسرة البحرينية :

من المهم أن نذكر هنا أن التحولات التي أصابت وضع الأسرة البحرينية

كنتيجة للتغير الذي حدث في هذا المجتمع، وبالخصوص خلال النصف الثاني من هذا القرن قد قلصت كثيراً من الدور الذي كانت تقوم به في تنشئة أطفالها، إضافة إلى أنها جعلت الأسرة تركز على نوعية الابناء وليس عددهم. فمثلاً نجد أن تحول بنية الأسرة من ممتدة إلى نووية قد أدى إلى:

١ - تعاون كثير من الأزواج مع بعض في تربية الابناء، في حين كان الزوج في السابق لا يشارك زوجته في التربية. ورغم أن هذا التعاون لا نجده في كل الأسر النووية، إلا أن الاتجاه سائير نحو هذا الأسلوب وخاصة عندما يكون الزوجان متعلمين.

٢ - انتشار الروح الديمocrاطية في الأسرة ومصارحة الزوجين لبعضهما البعض، واشتراكهما معاً في علاج ما يتعرضون له من مشكلات. وهذا يؤدي إلى التقليل من الخلافات التي تنشأ بينهما مما يوفر جواً أكثر صحية في الأسرة، وبالتالي نمواً نفسياً واجتماعياً سليماً للطفل.

٣ - قل اعتماد الزوجين على أسرتيهما الأصليتين مما قلل وبالتالي من دور الجدة والأقارب الآخرين في تربية الابناء، حيث اقتصر هذا الدور على الأب والأم أساساً.

ورغم تغير كثير من المفاهيم والعادات الاجتماعية، إلا أن الأسرة البحرينية مازالت تتبع بعض الأسس التي كانت سائدة سابقاً عند تربية أطفالها، ومن هذه الأسس ما يلي:

١ - تفضيل الذكور على الإناث: حيث تنتظر الأسرة دائمًا أن يكون طفلها الأول ذكراً ليحمل إسم العائلة. كما أنها تعد الذكر لتحمل المسؤوليات والأعمال الأكثر أهمية، والتي تكون عادة خارج المنزل، بينما تعد الأنثى للعمل في المنزل فقط، ولكي تكون زوجة صالحة لن يتزوجها، لدرجة أنه حتى وقت قريب كانت الأسر لا ترى أية ضرورة لتعليم الفتاة. وهذا الوضع يترك آثاراً نفسية واجتماعية سلبية على الفتاة، وبخاصة عندما يؤذى ذلك إلى عزلتها عن المجتمع وبقائها في البيت معظم الوقت.

٢ - تفضيل الابن الأول على الآخرين: حيث نجد أن الأسرة تلبي كل احتياجات ابنها الأول، بل وقد يصل أحياناً إلى الاهتمام به أكثر من اللزوم وتدليله. وذلك على حساب الابناء الآخرين مما يترك آثاراً نفسية ضارة عليهم تتمثل في الغيرة والكراهية.

هذا من جانب، ومن الجانب الآخر نجد أن الدراسة التي قامت بها وزارة العمل والشئون الاجتماعية عن الأطفال قد أوضحت عدداً من الأساليب التي

تبعها الأسرة البحرينية مع أطفالها، ومن ذلك مثلاً:

١ - أوضح ٥٧٪ من الأطفال أن الوالدين يستخدمان أسلوب الضرب معهم عند ارتکابهم للأخطاء في الوقت الذي أفاد غالبية هؤلاء الأطفال أن الأسلوب المرغوب لديهم هو المناقشة الهدئة.

٢ - أوضحت الغالبية أنهم يشعرون بالألم عندما يقوم الوالدان بضربهم (١٤).

و قبل أن نختم هذه الدراسة نجد أنه من الضروري الإشارة إلى بعض المستجدات التي أخذت تظهر في هذا المجتمع وتؤثر في تربية الأسرة لأبنائها. ومن هذه المستجدات ما يلي:

(١) الاستعانت بالمربيات الأجنبيات: فقد لجأ كثير من الأسر إلى استقدام عاملات أجنبيات من الخارج للاستعانت بهن في أعمال المنزل ومنها تربية الأطفال. وإذا عرفنا أن هؤلاء لا يعرّفون الأساليب الصحيحة للتربية، إلى جانب أن الطفل وبخاصة في مراحل حياته الأولى أحوج ما يكون إلى رعاية واهتمام أمه، يظهر لنا الأثر السيء الذي تركه المربيبة الأجنبية على تنشئة الطفل.

(٢) دور الحضانة ورياض الأطفال: مع ازدياد افتتاح المجتمع وحاجة كثير من الأسرة لمساهمة المرأة في الدخل، ازدادت مساهمة المرأة البحرينية في العمل خارج المنزل، مما دفع الأسرة إلىأخذ أطفالها إلى دور الحضانة ورياض الأطفال.

ولذلك فقد أخذت هذه المؤسسات الاجتماعية تشارك الأسرة في تربية أبنائها مما يستدعي ضرورة الاهتمام أكثر بها وتحسين نوعيتها، وتمكينها من استيعاب عدد أكبر من الأطفال.

(٣) خلال السنوات العشر الأخيرة التي حدثت فيها الطفرة الاقتصادية بعد الارتفاع الهائل في أسعار النفط في عام ١٩٧٣، ازداد انشغال أفراد الأسرة بأمورهم الخاصة، وبالخصوص الأعمال التي تدر ربحاً عليهم، مما أثر وبالتالي على مدى اهتمامهم بأسرهم، وقلل من فرص رعاية ومتابعة الكبار للأطفال داخل الأسرة، وهذا يدفع الأطفال إلى الابتعاد عنمن يكبرونهم من أفراد أسرهم والاقتراب أكثر من أصدقاء الشارع.

(٤) ازداد اعتماد الأطفال، وبالتالي تأثيرهم بالتلذذيون والفيديو وقصص ومجلات الأطفال كنتيجة لتأثير مجتمعنا بالمجتمعات الأخرى وانتقال هذه الأساليب إلينا.

مما سبق يتضح لنا أن الأسرة لم تعد هي الجهة الوحيدة التي تؤثر في تنشئة

أطفالها، فقد ظهرت مؤسسات عديدة تشاركها هذا الدور، وهذا يستدعي ضرورة الالتفات، سواء من قبل الأسرة، أو من المجتمع، لنوعية، ونتائج هذه المؤشرات على الأطفال، حتى نستطيع تربية جيل سليم يساهم في تنمية وتطوير هذا المجتمع.

المصادر

- ١ - علم النفس الاجتماعي - د. أحمد عبد العزيز سلامة، د. عبد السلام عبد الغفار - دار النهضة العربية - القاهرة - ص ٧٩ - ٨٠ .
- ٢ - الجماعات بين التنشئة والتنمية - عدي سليمان، عبد المنعم هاشم - مكتبة القاهرة الحديثة - القاهرة ١٩٧٣ - ص ٢١ - ٢٢ .
- ٣ - علم النفس الاجتماعي - مصدر سابق - ص ٩٢ - ٩٤ .
- ٤ - علم النفس الاجتماعي - مصدر سابق - ص ٩٩ .
- ٥ - أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث - جعفر عبد الأمير الياسين - عالم المعرفة بيروت ١٩٨١ - ص ٢١٥ - ٢١٦ .
- ٦ - الأحداث الجانحون - د. مصطفى حجازي - دار الطليعة - بيروت ١٩٨١ - ص ٣٥٦ - ٣٦١ .
- ٧ - الزواج والعلاقات الأسرية - د. سناء الخولي - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٧٩ - ص ٢٤٧ .
- ٨ - السلطة الأبوية والشباب - د. زهير حطب، د. عباس مكي - معهد الإنماء العربي - بيروت - ص ٢١٨ .
- ٩ - الباحث (مجلة فكرية) - السنة الخامسة - العددان ٢٩، ٣٠ - سبتمبر، أكتوبر ١٩٨٢ - ص ٨٥ - ٨٩ .
- ١٠ - أثر التفكك العائلي على جنوح الأحداث - مصدر سابق - ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .
- ١١ - علم النفس الاجتماعي - مصدر سابق - ص ١٠٢ - ١٠٣ .
- ١٢ - أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث - مصدر سابق - ص ٢٢٩ - ٢٣١ .
- ١٣ - أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث - مصدر سابق - ص ١٧٧ - ١٨٨ .
- ١٤ - أهم ميول واحتياجات الأطفال في البحرين - ممدوح البيض، خلف أحمد خلف إدارة الشئون الاجتماعية - البحرين ١٩٨١ - ص ٥٢ - ٥٤ .



سلسلة الدراسات الاجتماعية
٩
كتاب البيان

تصدر عن جمعية الاجتماعيين

نحو نَهْرَةٍ عَرَبِيَّةٍ فِي عَالَمٍ لِلْأَجْمَاعَ

لـ الدكتور خليل سالم عمر

ملخصات الرسائل
العلمية



دور الأب في عملية التنشئة الاجتماعية
داخل الأسرة في مجتمع الإمارات في ضوء
التغيرات الاجتماعية
آمنة عبيد غباش

إعداد
طه حسين حسن

تقدمت الباحثة آمنة عبيد غباش بهذا البحث للحصول على بكالوريوس في الآداب في التربية وعلم النفس من جامعة الإمارات العربية المتحدة تحت إشراف الدكتور هانى عبد الستار فرج ويقع البحث في خمسة فصول.

أولاً: الفصل الأول

تحديث مقدمة هذا الفصل عن أن الاهتمام بموضوع التغير الاجتماعي كأحد الظواهر الهامة التي تتعرض لها المجتمعات ببرز مع نشأة العلوم الإنسانية ومع ذلك فليس ثمة نظرية دقيقة عن التغير الاجتماعي. كما لا توجد نظرية عامة عن تطور المجتمع.

وقد بينت الباحثة بأنها ستحاول في بحثها أن تحقق اضافة من خلال تركيزها على مجتمع الإمارات

وأنها ستدرس هذا المجتمع في إطار مختلف عما سبق حيث ستدرسه ضمن ظروفه الخاصة والطفرة الاقتصادية التي أحدثتها النفط في بنائه وتركيبه وأثر ذلك على التنشئة الاجتماعية.

واننتقلت الباحثة إلى الحديث عن أهمية البحث حيث بينت أن دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية قد تعرض لكثير من السلبيات من أبرزها غياب دور الأب. إذ إن هناك نظرة سلبية من قبل الأب تجاه تربية وتنشئة الأبناء. وقد نتج ذلك من العلاقات الجديدة التي استحدثتها التغيرات الاجتماعية. مثل الأعمال الحرة التي يمارسها أو الأنشطة المختلفة، وممارسة الهوايات الحديثة، والانضمام إلى جماعات الرفاق، وقد يكون الأخطر استخدام الحيل الدافعية، والهروب من مسؤولية الأسرة. وقد أشارت الباحثة إلى الاختلاف بين دورى الأب والأم في عملية التنشئة الاجتماعية. حيث يكون دور الأب تركيزه الأساسي على الأدوار العملية، بينما تركز الأم على الأدوار العاطفية وترى الباحثة أن لعدم مشاركة الأب في التربية أثراً غير صحي على نفسية الطفل لأنها تحرمه من عاطفة طبيعية، وغير مادية في زمن طفت فيه الماديات. وأن الدراسات التي أجريت على الأطفال الأحداث بینت أن من أسباب جنوح الطفل حرمانه من الدور الاجتماعية الذي يقوم به الأب في الأسرة.

وقد حددت الباحثة أسئلة البحث على النحو التالي:

- إلى أي مدى أثرت التغيرات الاجتماعية التي شهدتها مجتمع الإمارات في السنوات الأخيرة على الأدوار للرجل؟
- إلى أي مدى أثرت هذه التغيرات على دور الأب في عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة؟

- ما هي بعض مظاهر غياب الأب في عملية التنشئة الاجتماعية.

وقد استخدمت الباحثة في دراستها المنهج التاريخي، والوصفي. وشملت عينة البحث (١٠٠) أب من مجتمع دبي واستخدمت الاستبيان كأداة للبحث بهدف التعرف على طبيعة دور الأب في عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة وقد عرضت الباحثة لعدد من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع التنشئة الاجتماعية وأشارت إلى أن بحثها هذا سيختلف عن تلك الدراسات في أن فكرته المحورية هي دراسة دور الأب ومسؤولياته في عملية التنشئة الاجتماعية، وأهم الآثار المرتبطة على ذلك.

ثانياً: الفصل الثاني :

ويتناول التغير الاجتماعي حيث عرفته « بأنه حالة صحية الحدوث مستمرة ومتتابعة، تمر بها كل المجتمعات. يترتب عليها تحول في التركيبة السكانية تحولها من حالتها التقليدية إلى حالة أخرى حتمية مع طور التقدم والتغير، وبذلك تتغير ثقافة المجتمع، فالثقافة التي كانت سابقاً مقبولة اجتماعياً أصبحت في الوقت الحالي غير مقبولة نظراً للأفكار المستحدثة التي اصطبغ بها المجتمع والتي أثرت على الأنماط السلوكية للأفراد » وقد ميزت الباحثة بين التغير الاجتماعي والتغير الثقافي حيث بينت « أن التغير عبارة عن التغير الذي يحدث في أجزاء الثقافة أي في بنائها، أو في عناصرها، أو في مضمونها. والتغير الثقافي يعتمد على الانتشار والاختراع أي النقل عبر ثقافات مختلفة أو القدرة على الإبداع الثقافي وتنتقل الباحثة بعد ذلك إلى بيان أهم العوامل التي تؤدي إلى التغير الاجتماعي حيث تتحدث عن (العامل البيئي، العامل السكاني، الثقافة، التغيرات التي تحدث في مجال الشخصية) ثم تشير إلى بعض العوامل الأخرى التي ساهمت في التغير الاجتماعي وهي (الاتصال الثقافي، الثورات كأداة من أدوات التغيير، ظهور هدف اجتماعي مخطط، الصراع بين الأفراد والذي يولد حالة من سوء التنظيم الاجتماعي، دينامية وتكامل المضمون العقلي للأفراد، التقدم العلمي وانتشار المخترعات الحديثة، تغير أدوار الأفراد في المجتمع).

ومن الحديث عن التغير الاجتماعي بعامة تنتقل الباحثة إلى التغير الاجتماعي في دولة الإمارات حيث تشير إلى أن دخول الإسلام إلى هذه المنطقة أدى إلى تغيرات اجتماعية أبرزت مجموعة من النظم التي توجه المجتمع مثل (النظام الأسري والنظام الديني، النظام التعليمي، القضائي، الدفافي)، وتشير الباحثة إلى أن دخول الاستعمار للمنطقة لم يؤد إلى تغيرات جوهرية في المجتمع ما عدا أن الأسر الخليجية أخذت تعاني من قلة الدخل وسفر الزوج خارج البلاد، مما أدى بالزوجة إلى الاعتماد على نفسها في تربية الأطفال، وإعالتهم وخروجهما من البيت حتى بداية عصر النفط واتحاد الإمارات، وأهم الخصائص التي كانت تتصف بها الأسر قبل النفط.

- ١ - كانت الأسرة مستقرة رغم الظروف الصعبة.
- ٢ - كانت تتصف بالتعاون والمشاركة الوجدانية.
- ٣ - كان نظام الأسرة المتعددة أو الأسرة الكبيرة وكانت السلطة موكولة لرجل الأسرة وهو الجد.

ملخصات الرسائل العلمية

- ٤ - الأم داخل الأسرة هي المسؤولة عن شؤون المنزل وتربيبة الأطفال بسبب غياب الزوج في أعمال التجارة وصيد السمك أو الغوص على اللؤلؤ.
- ٥ - كان يغلب على الأسرة طابع الأمية، وكان التعليم متمثلاً في المطوع أو الكتاتيب.
- ٦ - أما بالنسبة للأنشطة الترفيهية فكانت لعب الأطفال تتسم بالطابع الشعبي البسيط.

ومع بداية استخراج النفط وارتفاع الداخيل لفئات كبيرة من المواطنين بدأت مظاهر التغير الاجتماعي، حيث تقلص دور الأب في الأسرة، وتقلصت بعض سلطاته، وزاد نفوذ الأم، وتحرر الأبناء بصورة تختلف عما كانوا عليه في الأسرة التقليدية.

كما أن تعليم الفتاة أتاح لها الفرصة لتعبير عن رأيها وتفرض وجودها في المجتمع. وقد أبرز التغير الاجتماعي في مجتمع الإمارات مجموعة من النتائج الإيجابية منها التشجيع على التعليم الذي يساعد بدوره على التغير الاجتماعي حيث يساعد على الحراك الاجتماعي ويصبح معيار العلم مهماً في تقييم الإنسان ومنها أيضاً اتساع نطاق المعرفة لأغلبية الأسر والأفراد الأسرة كافة. وتحسن مستوى الوعي الغذائي والصحي، والتعرف على صور جديدة في مجالات الرعاية الاجتماعية والتي تساعد على نمو الوعي الاجتماعي، ومنها أن الأسرة حصلت على الاستقرار النفسي والاجتماعي.

وبالمقابل أفرز بعض الآثار السلبية حيث أدى إلى انحسار روح التكافل الاجتماعي، وانتشار الاتكالية، وضعف ارتباط الجهد بالمردود. كما تسببت مظاهر الترف في التقليل من الاعتماد على النفس، وتغيرت النظرة إلى العمل. كما أدى الاعتماد على المربية الأجنبية في تربية الأطفال على تأثرهم بثقافتها إضافة إلى تأثيرها على لغة الطفل الأصلية وقيمه وأنماط سلوكه.

كما برزت بعض المشاكل مثل ظاهرة الطلاق، وتفكك الأسر مما يؤدي إلى تشرد الأبناء وعدم استقرارهم، كذلك انتشار ظاهرة الأحداث.

ثالثاً : الفصل الثالث :

وقد تناولت الباحثة فيه التنشئة الاجتماعية التي عرفتها بأنها «عملية تلقين الفرد قيم ومقاييس مجتمعه الذي يعيش فيه بحيث يصبح متدرباً على إشغال مجموعة أدوار تحدد سلوكه اليومي، كما أنها «عملية غرس المهارات

والاتجاهات الضرورية عند الطفل لكي يقوم باداء الأدوار الاجتماعية المطلوبة منه في جماعة ما أو مجتمع ما».

والتنشئة الاجتماعية لا تحدث من فراغ وإنما هي عملية تساهم فيها قوى مؤثرة، وتحتل الأسرة الدور الأول في تلك العملية الاجتماعية التي من خلالها يكتسب الطفل منذ نشأته القيم والتقاليد وأنماط السلوك.

وقد بينت الباحثة التظريات المختلفة التي توصل إليها علماء الاجتماع في تحديد مفاهيم التنشئة الاجتماعية (نظيرية الصراع في تكوين الشخصية، ونظرية التتحقق، ونظرية الاتساق، ونظرية الدور والتنشئة الاجتماعية)، وانتقلت بعد ذلك إلى إيضاح العوامل المؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية مثل (الطبقة الاجتماعية، وقيم الآباء في الطبقتين المتوسطة والعاملة، ونتائج الاختلافات الطبقية في القيم الأبوية، والنوع).

وبعد ذلك تناولت الباحثة واقع التنشئة في مجتمع دولة الإمارات حيث بينت أن الأطفال في مجتمع الإمارات يتعرضون لنوع من التنشئة الاجتماعية تختلف عن بقية المجتمعات، نظراً للظروف الاجتماعية الخاصة بهذا المجتمع، حيث إن التنشئة تبدأ من الأسرة المكونة من الأم والأب والأطفال وأحياناً الجد والجدة في بعض الأسر. ولقد تقلص دور الأب في الأسرة. وقد أصبح هناك اهتمام بتربية الطفل من ناحية الاعتماد على نفسه والاهتمام بالتحصيل الدراسي، كما بدأ الوالدان محاولة الاطلاع وتتبع حياة الطفل منذ الولادة، ومعرفة مراحل النمو لديه ومتطلباتها النفسية والاجتماعية، وقد أثرت القيم الدينية في التنشئة الاجتماعية للأطفال حيث يتم تعليمهم أصول الدين وفرائضه وبينت الباحثة أن في الاتجاهات الجديدة في التربية سلبيات في بعض الجوانب مثل:

● نجد الآباء والأمهات يحاولون تطبيق التربية الحديثة بكل عناصرها على الولد. ويرسخون لدى البنت فكرة الفرق بينها وبين الولد. ويرتبط بهذا الموضوع تقسيم الأبناء من حيث النوع (ذكور وإناث) وخاصة في المجتمعات العربية التي تخلع على الأبناء الذكور مكانة وأهمية تفوق الإناث، وانعكسات ذلك الوضع على علاقات القوة داخل الأسرة وعلى نظام الميراث ويؤدي ذلك إلى أن تشعر بأن حقوقها ناقصة فيفرضون عليها عدم الخروج من المنزل، وأن تطيع دائمًا دون أن تحاول إبداء الرأي الخاص، ويفرض عليها أن تعتبر الأخ الأكبر في مقام الأب.

● اعتماد أغلب الأسر على المربية الأجنبية اعتماداً كلياً في تربية الطفل، مما

أدى إلى تضليل دورها التربوي مما أثر على البنية النفسية للطفل.

- تأثير وسائل الإعلام المسموعة والمرئية على التغير الثقافي حيث ترتفع نسبة البرامج المستوردة من الولايات المتحدة الأمريكية وفي هذه البرامج الكثير من القيم الجديدة على المجتمع، كما تؤثر البرامج المقدمة للطفل على أفكار وسلوك الطفل في الإمارات وعلى نفسيته جراء عرض المسلسلات التي تقوم أفكارها على الجريمة.

رابعاً : الفصل الرابع :

وقد تناولت الباحثة فيه نتائج الدراسة الميدانية حيث بينت أن الاستفادة وزع على (١٢٠) رب أسرة استجاب منهم (٨٢) رب أسرة تتراوح أعمارهم بين ١٨ إلى أكثر من ٤٥ سنة كذلك تراوحت أعمار ربات البيوت في الفئة العمرية نفسها، ويتراوح عدد الأبناء بين ٢ - ١٢ ولداً بوسیط قدره (٤) أبناء. وتتراوح أعمار الأبناء بين سنة واحدة إلى أكثر من ١٦ سنة.

وقد أظهرت الدراسة النتائج التالية:

- ١ - إن الأمهات أصغر سنًا من الآباء حيث تبلغ نسبة الآباء الذين تقع أعمارهم بين ١٨ - ٣٠ سنة ٦٦٪ و٢٧٪ لدى الأمهات. والأمهات اللواتي تقع أعمارهن بين ٣١ - ٤٥ سنة ٣٢٪ والآباء ٦٠٪، والأمهات اللاتي تزيد أعمارهن عن ٤٥ سنة ٢٪ والآباء ١٣٪.
- ٢ - ارتفاع نسبة الأمية ٦٧٪ لدى الأمهات و٥٣٪ لدى الآباء وتبلغ نسبة الحاصلين على شهادة دراسية ١٥٪ بين الآباء و٥٪ بين الأمهات.
- ٣ - أن ٧٣٪ من أفراد العينة يبيّنوا أن دور الأب يختلف عن دور الأم في تربية الأطفال للأسباب التالية:

- طبيعة المرأة وقدرتها على التحمل أكثر.
- قرب الأم وحنانها.
- اختلاف فسيولوجي.
- الوقت الذي تقضيه الأم مع أولادها أكبر.
- أسلوبها في المعاملة أفضل.
- اختلاف مستوى التعليم والثقافة ووظيفة كل منها تؤثر في التربية.
- المرأة أكثر معرفة بشؤون الطفل.

- دور الأم داخل البيت بينما الأب داخل وخارج البيت.
- هيمنة الأب على الأسرة، وهو أكثر حزماً من الأم.
- ٤ - ٩١٪ من أفراد العينة أجابوا بأن الأم صاحبة الدور الأكبر في تربية الأبناء مقابل ٩٪ أجابوا بأن دور الأب هو الأهم.
- ٥ - يتراوح عدد الساعات التي يقضيها أفراد العينة (الأباء) مع أطفالهم بين ١ - ٩ ساعات بوسیط قدره (٤) ساعات يومياً وتبين أن المتعلمين أكثر ميلاً لقضاء وقت أطول مع أبنائهم.
- ٦ - نسبة الآباء الذين يساعدون أبناءهم في القيام بواجباتهم المدرسية ٨٣٪ مقابل ١٧٪ لا يساعدون الأبناء.
- ٧ - ٨٣٪ من الآباء يفرضون آراءهم على أبنائهم مقابل ١٧٪ لا يفرضونها.
- ٨ - ٨٧٪ من الآباء يعطون أبناءهم فرصة للتعبير عن آرائهم.
- ٩ - ٧٣٪ من أفراد العينة يتدخلون في اختيار أصدقاء أبنائهم.
- ١٠ - ٦١٪ من الآباء أجابوا بأنهم يوجهون أبناءهم لمشاهدة برامج تلفزيونية ونوعية البرامج هي:
 - برامج الأطفال والتمثيليات الهدافة.
 - البرامج الثقافية والتاريخية والدينية.
 - البرامج الرياضية.
 - الرسوم المتحركة.
 - البرامج التربوية.
 - البرامج العالمية.
 - البرامج الفكاهية.
- ١١ - ٧٢٪ من الآباء أجابوا بأنهم يذهبون إلى مدارس الأولاد للسؤال عنهم.
- ١٢ - ٥٦٪ من الآباء أجابوا بأنهم يشاركون في حضور مجالس الآباء.
- ١٣ - ٩٥٪ من الآباء يرون أن أولادهم بحاجة إلى وجودهم معهم بالمنزل.
- ١٤ - ٩٠٪ من الآباء يرون أهمية لتدخلهم في تربية أطفالهم وتوجيههم.
- ١٥ - ٥٤٪ من الآباء يحاولون أن يضعوا لأبنائهم قدوة من رفاقهم أو إخوانهم

- عند تقييمهم لسلوكهم أو محاولة توجيههم، و٢٨٪ من الآباء يحاولون ذلك أحياناً و١٨٪ أجابوا بلا وأكثر المؤيدين من المتعلمين.
- ١٦ - ٩٦٪ من الآباء أجابوا بأنهم يريدون أن يكونوا قدوة لأبنائهم.
- ١٧ - ٩١٪ من الآباء أجابوا بأنهم يخصصون وقتاً لأولادهم للنزهة ويتوسع هؤلاء بين ٨٠٪ يرون أن النزهة يجب أن تكون أسبوعية و٢٠٪ شهرية.
- ١٨ - ٥٥٪ من الآباء يستخدمون أسلوب الحافز (هدية، نزهة) لاطفالهم و٢٨٪ يستخدمون ذلك إلى حد ما و٧٪ لا يستخدمونه.
- ١٩ - ٣٨٪ من الآباء يرون أن التربية القائمة على المحافظة والشدة أفضل من التربية القائمة على نوع من الحرية.
- ٢٠ - ٧١٪ من أفراد العينة (الآباء) يعلمون أبناءهم الطريقة المثل عند محاولتهم القيام بأي عمل. و٢٤٪ يمارسون ذلك أحياناً و٥٪ فقط أجابوا بلا.
- ٢١ - ٦٣٪ من أفراد العينة (الآباء) يتفقون مع العبارة القائلة (إن خير وسيلة لتعليم الأطفال هي التجربة والخطأ ومحاولات العمل من جديد) و٣٢٪ منهم يتفقون قليلاً و٤٪ أجابوا بلا.
- ٢٢ - ٩٥٪ من أفراد العينة (الآباء) أجابوا بأنهم راضون عن تربية أولادهم مقابل ٥٪ من الآباء غير راضين وأكثر غير الراضين من أصحاب الشهادات لأنهم يتطلعون دائمًا إلى أحسن مما هو موجود، وكانت الاستجابات المتعلقة بذلك على النحو التالي.
- أريد أن أرببيهم تربية سليمة ولكن الإمكانيات ناقصة وظروف المجتمع بدورها ناقصة في توفير أماكن النزهة مثلاً.
- اختلاف وجهات النظر بين الوالدين.
- غير راض بسبب برامج التلفزيون الضارة وكثرة الزوار.
- راضٍ لأن التربية خلقت الثقة بين الأولاد والآباء.

خامساً : الفصل الخامس : ويتناول مناقشة النتائج وتفسيرها :

١ - أظهرت الدراسة أن هناك اختلافاً واضحاً في الاستجابة بين المتعلمين وغير المتعلمين، وبين كبار السن من الآباء وصغر السن وهذا يدل على وجود علاقة بين التغيرات الاجتماعية ودور الرجل.

٢ - لوحظ ميل أفراد العينة إلى إلقاء الدور الأكبر على الأم وذلك بسبب تأكيدهم الإيجابي على اختلاف دور الأب عن دور الأم. كما أظهرت النتائج أن للتعليم أثراً في تغير اتجاه الآباء نحو اهتمامهم بتربية أبنائهم كما يتضح من متابعتهم لتعليم الأبناء، وقضاء الوقت الكافي معهم، وتوفير أساليب التربية لهم، مع تدخلهم في سلوكياتهم، ومحاولة ضبطها. وتلك النتائج تدل على أن للأباء المتعلمين دوراً تجاه أبنائهم أما الأمين وكبار السن من الآباء فدورهم غير واضح. ومن هنا تتضح أن نتائج الدراسة تدل على وجود علاقة بين التغير الذي طرأ على هذا المجتمع وعلى تفهم الآباء لدورهم في عملية التنشئة الاجتماعية، حيث إن المستوى التعليمي كمتغير يؤثر على الاتجاهات نحو الأبناء، وكذلك بالنسبة لفئات العمر المختلفة وصغار السن من الآباء المتعلمين يحاولون مسيرة التغير الاجتماعي أما الآباء كبار السن وغير المتعلمين لا يستطيعون التخلص عن القيم القديمة.

٣ - يتضح من نتائج الدراسة الميدانية أنها أيدت غياب دور الأب التربوي في الأسرة في مجتمع الإمارات. وبروز الدور الأكبر للأم في العملية التربوية حيث أيدت ٩١٪ من أفراد العينة دور الأم. وتدل هذه النتيجة العامة على تأكيد الفرض الرئيسي لهذه الدراسة وهو غياب دور الأب في الأسرة. وأهم مظاهر غياب هذا الدور التربوي للأب.

- فقدان الأب الرغبة في مشاركة الأم في تربية الأبناء.

- قلة عدد الساعات التي يقضيها الأب مع الأبناء من الجنسين.

- عدم متابعة الأب لتعليم الأبناء (من الجنسين) وعدم حضور مجالس الآباء للتعرف على المشاكل التي يعنيها أولاده وبيناته على المستوى الدراسي وبخاصة الآباء من فئات السن الأقل من ٣٠ سنة لفضائحهم معظم الأوقات خارج المنزل مع الرفاق أو في الأعمال.

- عدم محاولة الأب متابعة النمو النفسي للأطفال في أسرته بحيث يستطيع تفهم متطلبات مراحل النمو المختلفة لهم.

- قلة مشاركة الأب للأم في عملية اختيار الأصدقاء بالنسبة للأبناء والبنات وعدم الوعي بأهمية هذه المسألة في تربية الطفل.

- غياب دور الأب الحقيقي بالنسبة للتوجيه والإرشاد، وبخاصة فيما يتعلق بسلوكيات الأبناء والبنات.

وقد لاحظت الباحثة من إجابات أفراد العينة أنها تحتوي نوعاً من التحيز وعدم المصداقية محاولة منهم لإبراز الصورة الأفضل لهم. رغم أن ذلك ينفي الواقع الموجود الذي لاحظته الباحثة من خلال الملاحظة بالمشاركة.

وقد خلصت الباحثة في ضوء النتائج التي كشفت عنها الدراسة إلى طرح التوصيات التالية:

- ١ - ضرورة مشاركة الآب في عملية التنشئة الاجتماعية نظراً لأن دور الآب لا يقل أهمية عن دور الأم في الجوانب المؤهل لها في عملية التنشئة.
- ٢ - ضرورة تحقيق الهدف من التنشئة الاجتماعية ومن خلاله يكتسب الطفل اتجاهًا نحو دوره في المستقبل.
- ٣ - أهمية الوعي لكل من الوالدين بعملية التنشئة والتي لها أثر في تكوين شخصية الطفل وصحته النفسية.
- ٤ - توعية الآباء بضرورة إعطاء ابنائهم الاهتمام اللازم في شتى جوانب الحياة الاجتماعية.
- ٥ - أهمية التوعية الاسرية من ناحية الاهتمام بالنشء وعدم اهمال الآب لدوره تجاه ابنائه.
- ٦ - على الأسرة والمؤسسة التعليمية أن تبني لدى الأبناء روح تحمل المسؤولية وعدم الاعتماد على الآخرين لكي ينمو لدى الأطفال الاتجاه نحو الدور في المستقبل.
- ٧ - ضرورة مشاركة الآب في التنشئة الاجتماعية لا تقتصر على مدلولاتها النفسي بل لأن لها مدلولاً اجتماعياً ووطنياً تنموياً لأن من أهم شروط توفير المعطيات لعمل المرأة ومشاركتها في تنمية المجتمع أن يشارك الرجل في تربية الأبناء.



* توطين العمالة بالقطاع المصرفي بدولة الإمارات العربية المتحدة

مظفر الحاج مظفر

المقدمة :

أعدت هذه الدراسة (الرسالة) كجزء من متطلبات الحصول على درجة الماجستير، وهي تتكون من ثلاثة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول :

يبدأ الفصل الأول بمقدمة عن الدولة من حيث الموقع والمساحة والسكان والنظام الاقتصادي، فتذهب المقدمة إلى بيان أن اقتصاد الدولة يعتمد على البترول كمصدر رئيسي للدخل حيث يشكل ما نسبته ٦٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي، كما تبين المقدمة بأنه في أعقاب ارتفاع أسعار البترول في عام ١٩٧٣ تبنت

(*) تقدم الباحث بهذه الرسالة للحصول على درجة الماجستير من الكلية الوطنية للتربية بالولايات المتحدة الأمريكية في أغسطس ٨٩ وقد قام بتلخيص الرسالة بناء على طلب من هيئة التحرير.

الدولة العديد من مشاريع البنية الأساسية، وأنه في بلد كإمارات يشكو من قلة العمالة الوطنية كان لابد من الاستعانة بالعمالة الوافدة لمقابلة متطلبات التنمية الاقتصادية المتتسارعة. وتبيّن المقدمة أيضًا بتأثر بحلول عام ١٩٨٢ بذات الأجهزة المسؤولة بتدارك الأوضاع الاقتصادية وذلك من خلال إعداد خطة شاملة تهدف إلى تنوع مصادر الدخل عن طريق القطاعات غير النفطية، وأن تنفيذ مثل هذه الخطة يتطلب مساعدة ومشاركة كل القطاعات بما في ذلك القطاع المصرفي. وتخلص المقدمة إلى بيان أن القطاع المصرفي لا يساهم في التنمية الاقتصادية بشكل فعال بحكم قلة المشاركة الوطنية في صنع القرار وضآلّة نصيب القطاعات الإنتاجية من اعتمادات محفظة القروض، وكثرة عدد المصارف الأجنبية.

وتتعرّض المقدمة أيضًا إلى بيان الخصائص الرئيسية للقطاع المصرفي لا وهي تزايد عدد المصارف على نحو يثير التساؤل حول مدى أهمية وجود هذا العدد من المصارف بخاصة وأن معظم هذه المصارف هي مصارف أجنبية وقلة عدد المواطنين حيث إن نسبتهم لا تتجاوز ٧٪ من إجمالي العاملين والبالغ عددهم (١١٩٠٠) عامل وحقيقة أن المصارف عملت ولمدة طويلة في غياب الأنظمة والقوانين المنظمة للنشاط المصرفي.

وتبيّن المقدمة في النهاية خطورة استمرار الأوضاع السائدة في القطاع المصرفي وضرورة قيام الجهات المسئولة بما من شأنه أن يمكن الدولة من حماية مصلحتها والإقلال من الاعتماد على العمالة الأجنبية وتنمية مواردها البشرية.

كما يتعرّض الفصل الأول إلى بيان أهمية هذه الدراسة، والتي تكمن في أنها تحاول الإجابة على العديد من الأسئلة وإثبات العديد من الفرضيات ذات العلاقة المباشرة بالقطاع المصرفي. وبشكل خاص فإنها تحاول أن توجد المعلومات اللازمة لتقديم وتحليل الأوضاع القائمة بالقطاع المصرفي، وتبيّن وجهة نظر العاملين بالقطاع المصرفي في توطين العمالة في هذا القطاع، وتحدد السبل التي من شأنها أنتمكن الدولة من فرض الرقابة على القطاع وزيادة عدد العاملين المواطنين فيه وتحسين مستواه.

ويتعرّض الفصل الأول أيضًا لخطة البحث من خلال مناقشة العينات التي تم اختيارها، ووسائل وطرق جمع البيانات، وكيفية معالجة البيانات المجمعة حيث يتم بيان أن العينات قسمت إلى ثلاثة فئات هي المواطنين والعرب وغير العرب وقد تم اختيار سبعين شخصاً لتمثيل كل فئة. وفيما يتعلق بسبل وطرق جمع

ملخصات الرسائل العلمية

البيانات فإنه قد تم الأخذ بطريقة البحث الميداني من خلال استخدام المقابلات الشخصية والاستبيانات، وتم فرز وتحليل البيانات المجمعة عن طريق الحاسوب الآلي وباستخدام بعض الأدوات الإحصائية كالمتوسط الحسابي، والانحراف المعياري والتوزيع التكراري، وكذلك بعض الاختبارات الإحصائية.

وينتهي الفصل الأول ببيان الصعوبات التي واجهت الباحث وهو بصدق إعداد الدراسة، حيث يتم عرض تلك الصعوبات وهي ضيق الوقت، وندرة المعلومات وحساسية الموضوع والمسافة الفاصلة بين مكان إعداد الدراسة وأماكن توفر المعلومات، وقد كان من شأن هذه الصعاب مجتمعة أن تضيق من نطاق الدراسة وتستبعد بعض الجوانب التي كان من الممكن إدراجها ضمنها لو لا تلك الصعاب منها على سبيل المثال تكلفة وأثار العمالة الوافدة بجوانبها المختلفة.

الفصل الثاني :

يبداً الفصل الثاني بطرح المشكلة قيد الدراسة بشيء من التفصيل وذلك من خلال تقييم الأوضاع القائمة بالقطاع وبيان التطور التاريخي للقطاع. فتقذهب الدراسة إلى القول بأنه من الطبيعي والمسلم به أن تملك الدولة السيطرة على اقتصادها وأن مثل هذه السيطرة تتطلب وجود المواطنين الأكفاء لإدارة القطاعات الاقتصادية، والحيوية منها على وجه الخصوص، فتشير الدراسة إلى أن القطاع المصرفي هو أحد القطاعات الاقتصادية المهمة، وأنه من المؤسف أن الدولة لا تملك السيطرة الكاملة على هذا القطاع. وتبين الدراسة إلى أن تاريخ السيطرة الأجنبية على القطاع المصرفي بالإمارات يعود إلى عام ١٩٤٦ حيث حصل مصرف أجنبي على امتياز من حاكم إمارة دبي بمزاولة النشاط المصرفي في الإمارة. ويمقتضى هذا الامتياز استطاع ذلك المصرف الأجنبي أن يحتكر النشاط ويمنع المصارف الأخرى من الدخول في السوق، ولم ينكسر طوق ذلك الاحتياط إلا في عام ١٩٦٢ حين أعلن عن تأسيس بنك دبي الوطني كأول مصرف وطني. وبعد اكتشاف النفط في دبي في عام ١٩٦٥ بدأت العديد من المصارف الأجنبية بالتدفق إلى المنطقة، فبحلول عام ١٩٧٥ وصل عدد المصارف إلى (٢٢) مصرفًا أجنبيةً و (٧) مصارف وطنية وبحلول عام ١٩٨٧ ارتفع العدد إلى (٣١) مصرفًا أجنبيةً و (٢١) مصرفًا وطنيةً. ويترعرع الفصل أيضاً إلى بيان أسباب تدفق المصارف الأجنبية إلى المنطقة، والتي يمكن إيجازها في الآتي:

- ١ - إنجاز معظم مشاريع البنية الأساسية في أعقاب ارتفاع أسعار النفط في عام ١٩٧٣.

- ٢ - غياب الأنظمة والقوانين المنظمة للنشاط المصرف.
- ٣ - رغبة البنوك الأجنبية في الاستفادة من الطفرة الاقتصادية التي كانت تعم المنطقة.

وتذهب الدراسة إلى القول بأنه في ظل السيطرة الأجنبية وغياب الأنظمة والقوانين كان من الطبيعي أن يمر القطاع المصرف ببعض الصعاب، ففي مطلع الثمانينيات واجهت بعض المصارف الكثير من المشاكل بسبب دخولها في تمويل العقارات، وفي منتصف الثمانينيات عانت بعض المصارف الوطنية من انعدام السيولة لديها الأمر الذي حدا بحكومة دبي وأبوظبي إلى التدخل لدعم القطاع المصرف وقد ترتب على ذلك التدخل دمج تلك المصارف في مصرف واحد.

ومن جانب آخر يتعرض الفصل إلى تقييم الأوضاع القائمة في القطاع المصرف بالدولة فيذهب إلى بيان أن هناك العديد من القضايا التي تمس جوهر القطاع المصرف، وأنه لابد من معالجة هذه القضايا لكي يتمكن القطاع من أداء دوره على النحو المطلوب. وأهم تلك القضايا هي:

- ١ - بحكم السيطرة الأجنبية على القطاع فإن معظم القرارات تتخذ من قبل غير المواطنين الأمر الذي يمكن معه القول بأن الدولة لا تملك السيطرة الكاملة على هذا القطاع الحيوي، وأن الأجانب في وضع يستطيعون تجاهل مصلحة الدولة تماماً ومرد ذلك هو ضآلة عدد المديرين المواطنين الذين لا تزيد نسبتهم عن ١١٪ من إجمالي عدد المديرين والبالغ عددهم (١٧١٥) مديراً.

- ٢ - لقد تزايد عدد المصارف على نحو متتسارع، وكان من شأن هذا التزايد أن يثير العديد من التساؤلات التي منها: هل هناك حاجة إلى هذا العدد من المصارف وخاصة وأن الغالبية منها هي مصارف أجنبية، وهل هناك فرص عمل كافية أمام كل هذه المصارف لتعمل على نحو مربح؟ وهل تسامم المصارف والأجنبية منها على وجه الخصوص في عملية التنمية على نحو يتفق وأهداف الدولة وخططها؟

- ٣ - يعتمد القطاع المصرف شأنه في ذلك شأن معظم القطاعات الأخرى على العمالة الوافدة التي تشكل ما نسبته ٩٢٪ من إجمالي العاملين والبالغ عددهم (١٢٠٠٠) عامل تقريباً، والعمالة الوطنية بالإضافة إلى ضآلة حجمها فإنها في وضع لا تستطيع معه المشاركة في صنع القرار بفعالية. والمأسف في الأمر أن تجاهل العمالة الوطنية لم يقتصر على المصارف الأجنبية فحسب، بل شملت

ملخصات الرسائل العلمية

المصارف الوطنية أيضاً باستثناء القلة منها. فنسبة العمالة الوطنية في المصارف الوطنية لا تزيد عن ٩٪ في حين أنها تبلغ ٥٪ في المصارف الأجنبية. ومن الأهمية بمكان أن يزداد عدد العاملين الوطنيين في هذا القطاع الحيوي.

٤ - المصارف ما تزال تعمل في غياب بعض الأنظمة الأساسية المنظمة للنشاط المصرفي والأنشطة الأخرى المرتبطة بها، فالخلاف حول الفوائد البنكية بين المصارف والمقرضين مازال قائماً، وما من شك بأن غياب تلك الأنظمة سيضر بفعالية القطاع المصرفي. ويشير الفصل إلى ضرورة قيام الجهات المسئولة بتدارك هذه الأوضاع قبل استفحالها، ففي استمرار هذه الأوضاع ما من شأنه أن يضر بصالح الدولة.

وبتطرق الفصل الثاني أيضاً إلى بيان مفهوم وأهمية التوطين، ففي ندوة توطين الوظائف وإحلال المواطنين التي عقدها معهد التنمية الإدارية في ديسمبر ١٩٨٧ قدمت العديد من الدراسات التي تناولت موضوع التوطين بشكل عام في القطاع الحكومي، وقد أجمع كل تلك الدراسات على ضرورة وأهمية التوطين وببيت أن مفهوم التوطين ينصرف إلى الآلية التي يتم من خلالها إعداد المواطنين الإعداد الكافي لتحمل العبء الحقيقي للعمل، وتطوير قدراتهم ومهاراتهم، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب كما أكدت تلك الدراسات على حتمية وأهمية التوطين للأسباب الآتية:

١ - إعادة التوازن إلى التركيبة السكانية حتى لا يصبح المواطنون أقلية في بلدتهم.

٢ - القضاء على البطالة المقنعة أو بمعنى آخر القضاء على التضخم الوظيفي القائم في القطاع الحكومي فالملاحظ أنه سيتم تعين إعداد كبيرة من الخريجين دون أن تكون هناك حاجة فعلية إلى تلك التعيينات، وما من شك بأن تدارك هذا الوضع لن يمكن الدولة من تخفيف أعبائها المالية فحسب، بل سيمكنها أيضاً من الاستفادة من تلك الطاقات المعطلة.

٣ - تفادى الآثار السلبية للعمالة الوافدة.

٤ - حماية المصلحة العامة من خلال إعداد المواطنين لتولي زمام الأمور وبالخصوص في المستويات القيادية.

٥ - الإقلال من نزوح الأموال إلى الخارج بهدف إعادة التوازن إلى ميزان المدفوعات.

٦ - تعظيم الولاء الوظيفي.

٧ - استباب الأمان...

ويتضح مما سبق أن مفهوم التوطين وفقاً لتلك الدراسات لا يختلف عن المفهوم الذي طرحته الباحث في مستهل الدراسة ألا وهو أن التوطين هو عملية تنمية للموارد البشرية المحلية بالدرجة الأولى.

ويمضي الفصل الثاني قدماً لبيان مفهوم وأهمية تنمية الموارد البشرية حيث يبين كل من (دزلر) و (شولر) أن المقصود بتنمية الموارد البشرية هو تحسين الأداء الحالي والمستقبل للعاملين من خلال تزويدتهم بمعلومات جديدة وتغيير سلوكهم وتطوير قدراتهم وتمكنهم أهمية تنمية الموارد البشرية في أنها:

١ - تمد الأفراد والمؤسسات على السواء بالمرونة اللازمة للتكيف مع المستجدات المحيطة بهم والتي لا يمكن تجاهلها.

٢ - تزيد من مستوى الانتماء والولاء للعاملين مما سيؤثر إيجابياً في معدلات التغيب. ومعدل دوران العمال.

٣ - تقضي على أوجه القصور التي يعاني منها البعض.

ومن جانب آخر يتعرض الفصل الثاني لدراسة حول معوقات تنمية الموارد البشرية بدول مجلس التعاون للفلسطيني جورج قصيفي بهدف التأكيد على أنه يمكن قبول مفهوم التوطين على أنه عملية تنمية للموارد البشرية المحلية كما يراه الباحث ففي الدراسة المذكورة يلخص الكاتب معوقات تنمية الموارد البشرية بدول مجلس التعاون في الآتي:

١ - صغر حجم قوة العمل المواطنة والناتج عن صغر حجم السكان.

٢ - انخفاض معدلات مشاركة قوة العمل المواطنة في سوق العمل ومرد ذلك غياب مشاركة المرأة وانسحاب الرجل من سوق العمل في سن مبكرة.

٣ - ارتفاع معدلات التسرب.

٤ - تكدس قوة العمل المواطنة في القطاع الحكومي الأمر الذي خلق بطالة مقنعة في هذا القطاع.

ويقترح الكاتب الحلول الآتية للتغلب على تلك المعوقات :

١ - اتباع سياسة التجنيس لبعض العرب.

٢ - تعظيم استخدام العمالة المواطنة عن طريق الاستفادة من دور المرأة

وتحفيض معدلات التسرب.

٣ - وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

٤ - الاستفادة من العمالة العربية.

وباستعراض معوقات تنمية الموارد البشرية في دول مجلس التعاون والحلول المقترنة للتغلب عليها نجد أن تلك المعوقات والحلول تنطبق وإلى حد بعيد على التوطين ومن ثم يمكن القول بأن الباحث قد جانبه التوفيق في طرح التوطين على أنه عملية تنمية للموارد البشرية المحلية.

كما يتعرض الفصل الثاني إلى بيان آثار العمالة الوافدة على المجتمعات المستوردة لها وذلك من خلال مناقشة دراسة للدكتور إبراهيم سعد الدين قدمت في ندوة العمالة الأجنبية بالكويت في عام ١٩٨٢ حيث يرى الدكتور إبراهيم أن ما تشهده دول مجلس التعاون هو تحديث أكثر منه تنمية بحكم غياب مشاركة القوى العاملة المواطننة الأمر الذي لم يؤد إلى إكساب القوى المواطننة لآية معارف ومهارات جديدة. ويضيف الدكتور إبراهيم بأن العمالة الوافدة لم تسهم في تنمية الموارد البشرية المحلية بحكم أن غالبية العمالة الوافدة هي عمالة غير ماهرة أضف إلى ذلك امتلاع المهرة منهم عن تدريب المواطنين. والباحث إذ يتفق مع الدكتور فيما ذهب إليه فإنه يرى بأنه من الجور أن نلقي باللائمة على العمالة الوافدة فيما يتعلق بعدم اكتساب المواطنون لمعارف ومهارات جديدة، فقوة العمل المواطنية تتحمل شطراً من تلك المسؤولية.

ويخلص الفصل إلى بيان أهمية إعداد هذه الدراسة وذلك من خلال التعرض بشيء من التفصيل لأربع دراسات لكل من الدكتور أحمد أبو سن، الدكتور محمد سويلم، الدكتور عبد الحميد الشيببي والدكتور نزار توفيق، قدمت في ندوة توطين الوظائف وإحلال المواطنين السابق ذكرها.

فمن خلال مناقشة تلك الدراسات نجد أنها لم تقم بالإجابة على التساؤلات التي طرحتها الدراسة في مستهل الفصل الأول، وأنه لا توجد دراسات خاصة تتعلق بالتوطين في القطاع المصرفي بالإضافة إلى أنها لم توجد المعلومات اللازمة لتقدير الأوضاع القائمة في القطاع المصرفي وعليه يمكن القول بأن الحاجة كانت ماسة إلى إعداد هذه الدراسة ومن المنتظر أن تحقق أهدافها.

الفصل الثالث :

يتعرض الفصل الثالث إلى منهج البحث، النتائج، الاستنتاجات والتوصيات

ولقد سبق الحديث عن منهج البحث في الفصل الأول، أما فيما يتعلق بالنتائج فإنها أسفرت عن الآتي:

- ١ - ٥٣٪ من عينات الدراسة و٧٣٪ من كبار المسؤولين يرون أن عدد المصارف قد تجاوز العدد المطلوب بكثير.
- ٢ - ٢٦٪ من عينات الدراسة يرون بأن عدد المصارف كبير نسبياً.
- ٣ - ١٣٪ من عينات الدراسة يرون بأن عدد المصارف كاف.
- ٤ - ٥٣٪ من كبار المسؤولين يرون بأن القطاع المصرفي لا يساهم بشكل مرض في التنمية الاقتصادية، ويعزون الأسباب إلى غياب المشاركة الوطنية في صنع القرار وغياب التشريعات المنظمة لنشاط الأفراد في المصارف وكون أن غالبية المصارف هي مصارف أجنبية وفي وضع يسمح معه أن تتجاهل مصلحة الدولة.
- ٥ - ٤٧٪ من كبار المسؤولين يخالفون المقوله بأن القطاع لا يساهم بشكل مرض في التنمية الاقتصادية وحجتهم في ذلك أنه ليس من اختصاص المصارف التجارية أن تقوم بتمويل المشاريع الصناعية والزراعية، التي تتطلب التمويل طويلاً الأجل وهو غير متوفراً لدى المصارف التجارية بالإضافة إلى أن العائد على هذه المشاريع لا يشجع على الدخول بها.
- ٦ - كل كبار المسؤولين و٨٢٪ من عينات الدراسة يرون بأن هناك حاجة إلى التوطين للأسباب الآتية:
 - (١) حماية مصلحة الدولة.
 - (ب) تخفيف العبء المالي على الحكومة.
 - (ج-) الإقلال من السيطرة الأجنبية على القطاع المصرفي.
 - (د-) حفظ حق المواطنين في الأولوية في التعيين.
 - (ه-) إعادة التوازن إلى ميزان المدفوعات.
 - (و-) تحسين مستوى الولاء والاستقرار الوظيفي.
- ٧ - ٧٧٪ من عينات الدراسة يعتقدون بإمكانية التوطين ويرون أن تخطيط القوى العاملة، وتنمية الموارد البشرية وتحسين هيكل المزايا بالقطاع المصرفي تأتي في مقدمة العوامل المساعدة على التوطين.
- ٨ - ١٦٪ من عينات الدراسة يعتقدون بعدم إمكانية التوطين ويرون أن هيكل

المزايا بالقطاع المصري، غياب التشريعات الملزمة، صغر حجم السكان والافتقار إلى المهارات المصرفية تأتي في مقدمة العوامل المعيبة للتوطين.

أما كبار المسؤولين فإنهم يعتقدون بإمكانية التوطين ويررون أنه أياً كانت العقبات فإنه يمكن التغلب عليها في ظل الرغبة الصادقة والجاده.

٩ - إيجاد فرص عمل للمواطنين، حماية المصلحة العامة، تحسن مستوى الخدمات العامة وانخفاض الإنفاق الحكومي هي أهم محاسن التوطين في حين أن تدني مستوى الكفاءة وانخفاض الأرباح الحقيقة واحتمالات الإخفاق هي أهم مساوئ التوطين المحتملة. ويرى الفالبيه أن محاسن التوطين تطغى على مساوئه للدرجة التي يمكن تجاهل تلك المساوئ تماماً، ويرى بعض كبار المسؤولين أنه ليست هناك أية مساوئ للتوطين إن أحسن الإعداد والخطيط له.

١ - هناك اختلاف في وجهات نظر المواطنين، العرب وغير العرب بالنسبة للتوطين فيما يتعلق بمحاسن ومساوئ التوطين والعوامل المساعدة والمعيبة له، ففي الوقت الذي يرى فيه المواطنين أن التوطين ضروري لحماية المصلحة العامة، نجد أن الآخرين وغير العرب على وجه الخصوص لا يرون في التوطين سوى إيجاد فرص عمل للمواطنين والذي من شأنه أن يضر بكفاءة وفعالية هذا القطاع، ومثل هذا الرأي ليس بالأمر المستغرب بحكم أنهم لا يرون في المواطنين الكفاءة والقدرة على إدارة هذا القطاع الحيوي. ومن جانب آخر يرى المواطنين أن تحسين مستوى المزايا بالقطاع وتنمية الكوادر الوطنية سيساعدان على التوطين بشكل فعال. أما الآخرون فإنهم يرون أن صغر حجم السكان وبالتالي قلة المعروض من العمالة الوطنية سيحول دون التوطين.

ومن جانب آخر كان لكبار المسؤولين العديد من التعليقات نذكر منها:

(ا) التوطين قضية وطنية جديرة بالاهتمام والعناية من قبل كافة الجهات المسؤولة.

(ب) ليس من المنطق في شيء أن يعاني بلد مثل الإمارات يتسم بصغر حجم سكانه من البطالة.

(ج) تنويع مصادر الدخل من خلال تنشيط القطاعات غير النفطية مطلب وطني.

(د) القطاع العام مازال عنصر جذب للعمالة الوطنية.

- (هـ) التوطين مسؤولية مشتركة بين الحكومة والمواطنين.
- (وـ) على المواطن أن يقبل بعدها الخصوص الرئاسي والتدرج الوظيفي المتأني.
- (زـ) ليس بمقدور القطاع الخاص أن يعيش بمفرده عن القطاع العام وقد أن الأوان أن يعي القطاع الخاص هذه الحقيقة ويتعامل معها.
- (حـ) مخطئ من يعتقد بعدم إمكانية التوطين...
- أما بالنسبة للاستنتاجات فإنه في ضوء مناقشة النتائج التي أسفرت عنها الدراسة فإنه يمكن الخروج بالاستنتاجات التالية:
- ١ - هناك العديد من القضايا التي تمس جوهر القطاع المصرفي وتؤثر في فعاليته بشكل ملحوظ، والتي يجب أن تعالج من قبل السلطات المختصة لتحسين مستوى أداء القطاع المصرفي، وأهم هذه القضايا هي:
 - (١) فرض السيطرة الوطنية على القطاع، فقد سبق بيان أن العمالة الوافدة تشكل ما نسبته ٩٢٪ من العمالة وتفرض سيطرتها على القطاع وما من شك بأن في استمرار هذه السيطرة إضراراً بمصلحة البلد ومن ثم لابد وأن تقلل هذه السيطرة.
 - (بـ) ضالة حجم العمالة الوطنية في القطاع المصرفي، فقد سبق بيان أن نسبة العمالة الوطنية لا تتجاوز ٨٪ من إجمالي عدد العاملين، والمأسف في الأمر أن هذه النسبة المتدنية في وضع لا تستطيع معه المشاركة في صنع القرار فلا يعقل أن تبقى النسبة دون تغير في الوقت الذي يعاني فيه القطاع الحكومي من البطالة المقنعة والتضخم الوظيفي.
 - (جـ) تجنب سلبيات الماضي، فإنه ليس بخاف على أحد بأن القطاع المصرفي من بعض الصعاب في الماضي والتي كانت أن تؤدي بسلامة القطاع ومن البدهي بل الضوري أن يمنع ظهور مثل تلك الصعاب مستقبلاً.
 - (دـ) تحسين دور القطاع المصرفي في التنمية الاقتصادية، فالاكتيرية ترى أن دور القطاع المصرفي لا يرقى إلى مستوى الرضى وقد تم بيان أسباب ذلك. وبحكم أهمية القطاع المصرفي فإنه لابد وأن يتم تحسين دوره الإنمائي.
 - ٢ - توطين العمالة في القطاع المصرفي أمر ضروري وممكن، وعليه يجب أن تولي السلطات المختصة هذا الأمر العناية الالزمة.
 - ٣ - بالرغم من اختلاف وجهات نظر العاملين في القطاع المصرفي حول التوطين

إلا أنه لا يوجد من يعارضه من حيث المبدأ.

٤ - معوقات التوطين الأساسية من وجهة نظر المعنين هي، ضآلة حجم السكان، كبر حجم تكلفة العمالة الوطنية مقارنة بتكلفة العمالة الوافدة، والافتقار إلى المهارات المصرفية. والباحث إذ يقر بوجود هذه العقبات يرى أنه ليس من الصعوبة بمكان أن يتم التغلب عليها، حيث تمكّن زيادة حجم السكان بالطرق المعروفة، كما أنه يمكن التغلب على عقبة التكلفة وذلك من خلال تحمل الحكومة لجزء من تلك التكلفة. أما عقبة الافتقار إلى القدرات والمهارات المصرفية فإنه يمكن التغلب عليها من خلال تدريب العمالة الوطنية وتطوير قدراتها، فامتلاك هذه القدرات ليست حكراً على العمالة الوافدة (كما يتصورها البعض).

٥ - هناك ثلاثة محاور أساسية ترتكز عليها عملية تنمية المواد البشرية ويتهم الرابط بينها بشكل جيد حتى تأتي العملية بثمارها. وهذه المحاور هي:

(أ) الاختيار الجيد للعناصر والمبني على أساس مدرسة.

(ب) إيجاد الدورات التدريبية الجيدة والتي تتناسب وقدرات العاملين.

(ج) إيجاد نظام جيد للحوافز والمزايا بهدف الاحتفاظ بالكفاءات الجيدة.

أما بالنسبة للتوصيات فإنها قد قسمت إلى خمس مجموعات على النحو الآتي:

(أ) المجموعة الأولى وتعلق بموضوع فرض السيطرة الوطنية على القطاع المصرفي وتتضمن التوصيات التالية:

١ - البدء بالتوطين من أعلى فالعبرة ليست بوجود المواطنين في القطاع المصرفي بل العبرة بمدى مشاركتهم في صنع القرار، وهذا لا يعني بالضرورة عدم الاهتمام بزيادة العدد، فزيادة العدد له ما يبرره أيضاً.

٢ - تدريب المواطنين وتطوير قدراتهم لتولي زمام الأمور في القطاع المالي.

٣ - سن الأنظمة والقوانين التي تقضي بوجود نسبة من المواطنين في المستويات القيادية بالقطاع.

(ب) المجموعة الثانية وتعلق بزيادة نسبة وعدد العاملين المحليين في القطاع وتشمل التوصيات التالية:

١ - مطالبة المصادر بزيادة عدد المواطنين وذلك من خلال التشريعات الملزمة.

٢ - مطالبة المصادر بتحسين المزايا وإيجاد أنظمة متطرفة للحوافز.

ملخصات الرسائل العلمية

- ٣ - تحمل الحكومة لجزء من تكالفة العمالة الوطنية في السنوات الأولى من تعينهم في القطاع المصرفى.
- ٤ - اتباع سياسة التجنيس بالنسبة للمصرفيين العرب الذين أمضوا مدة طويلة في خدمة الدولة.
- ٥ - وضع قيود على استخدام العمالة الوافدة.
- ٦ - وقف تعين الخريجين في القطاع الحكومي إلا للضرورة القصوى.
- ٧ - فرض عقوبات على المصارف التي لا تلتزم بالتعليمات المتعلقة بزيادة العاملين الوطنيين.

(ج) المجموعة الثالثة وتعلق بتفادي صعوبات ومساوئ الماضي وتتضمن التوصيات التالية:

- ١ - تحسين وتكتيف سبل الرقابة من قبل السلطات المعنية.
- ٢ - إعادة النظر في هيكل القطاع المصرفى.
- ٣ - رفع نسبة المشاركة الوطنية في صنع القرار بالقطاع.
- ٤ - دراسة وتحليل المشاكل السابقة للوقوف على أسبابها.
- ٥ - السعي لدى الجهات الرسمية لإنشاء محاكم متخصصة في النزاعات المصرفية، أو لإصدار تعليمات تلتزم بها كافة المحاكم فيما يتعلق بالقضايا المصرفية وبالأخص فيما يتعلق بالخلاف حول الفوائد المصرفية.

(د) المجموعة الرابعة وتعلق بتحسين دور القطاع المصرفى في التنمية الاقتصادية وتتضمن التوصيات التالية:

- ١ - زيادة عدد المصارف الوطنية وتخفيض عدد المصارف الأجنبية.
- ٢ - الحد من حرية المصارف الأجنبية.
- ٣ - إصدار التشريعات الخاصة بهيكل محفظة القروض على نحو يقضى بتخصيص اعتمادات لكل القطاعات الاقتصادية والإنتاجية منها على وجه الخصوص.
- ٤ - إنشاء المزيد من المصارف التنموية والاستثمارية.
- ٥ - دعم وحماية الصناعات الوطنية.

(هـ) المجموعة الخامسة وهي عامة وتتضمن التوصيات التالية:

- ١ - خلق الوعي لدى المواطنين بأهمية القطاع المصرفي.
- ٢ - التأكيد على دور معاهد التدريب.
- ٣ - إيجاد العلوم المصرفية كنوع من التخصص في المرحلة الجامعية.
- ٤ - التأكيد على الالتزامات الأدبية والاجتماعية للمصارف تجاه المجتمع.
- ٥ - التخطيط لتوطين العمالة بالقطاع المصرفي يجب أن يتم بمشاركة كبار المسؤولين بالقطاع لما في ذلك من نواحٍ إيجابية عدّة.
- ٦ - إيجاد التعاون والتنسيق بين أجهزة الدولة المختلفة لتحديد الاحتياجات من العمالة الوطنية والسعى لتوفيرها.
- ٧ - تكوين لجنة وطنية من المصرفيين الوطنيين للإشراف على تدريب وتطوير العاملين المواطنين في القطاع المصرفي.

الخاتمة :

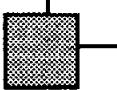
حال ضيق الوقت دون إدراج بعض الجوانب في الدراسة، منها على سبيل المثال تكلفة العمالة الوافدة، فكل كبار المسؤولين يرون أن العمالة الوافدة أقل تكلفة من العمالة الوطنية. ودراسة تحليلية وتفصيلية لهذا الموضوع قد تثبت العكس. فكبار المسؤولين في القطاع المصرفي حين يتكلمون عن تكلفة العمالة الوافدة، يتناولون شقاً واحداً من التكلفة لا وهو الشق المباشر والذي يتحمله رب العمل ويتنا夙ون الشق الآخر لا وهو الشق غير المباشر والذي تتحمله الدولة ويمثل تكلفة الخدمات التي تقدمها الدولة بالمجان ولسنا بحاجة إلى ذكر كل تلك الخدمات لأنها معروفة للجميع ويمكن حساب تكلفتها وإن كان الأمر لا يخلو من بعض الصعاب. وبجانب التكلفة العادية للعمالة الوافدة التي تتحملها الدولة، هناك التكلفة الاجتماعية أيضاً والتي يتنا夙ها البعض عامداً متعمداً. والباحث يتطلع إلى إعداد مثل هذه الدراسة مستقبلاً ويأمل أن تتاح له سبل إتمامها.

REFERENCES

- Abu Sin, A. (1987, December). Job localization in UAE. Paper presented in a seminar on localization of employment by the Institute of Administration, Abu Dhabi.
- Al Hamez, S. (1988, December 19). Personal communication.
- Al Kasifi, G. (1988, August). Towards a policy to develop local manpower in G.C.C. countries. *The Arab Future Magazine*, pp. 61-66, 78-84.

- Al Shaibi, H. (1987, Devember). **An analytical perspetive of the importance of localization of employment and its trends in UAE: Why? Where?** Paper presented in a seminar on localization of employment by the Institute of Administration, Abu Dhabi.
- Central Bank of UAE (1987). **Percentage of national workers in the banking sector of UAE.** Unpublished study, central Bank of UAE, Abu Dhabi, UAE.
- Dessler, G. (1988). **Personnel management** (4th ed.) Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.
- Mansour, M. I. (1983). **Human resources strategy as a long-term basis for socio-economic development in the UAE.** Unpublished thesis, The Ohio State University.Ninistry.
- Ministry of Planning, UAE (1985). **Annual statistics abstract.** Abu Dhabi, UAE: Ministry of Planning, Central Statistical Departmenc.
- Minium, E. W. (1982). **Statistical reasoning in psychology and education.** New York: John Wiley and Sons.
- Nie, N. H., and associate (1987). **The statistical package for the social sciences.** New York: McGraw-Hill Book Co.
- Saad Uddin, I. (1983, January). **The impact of foreign labor on development and local human resources development.** Paper presented in a seminar on foreign labor in Arab Gulf Countries by Center for Arab Unity Studies and the Arab Planning Institute, Kuwait.
- Saleh, A. M. (1988, DECEMBER 28). Personal interview.
- Schuler, R. S. (1987). **Personnel and Human resource management** (3rd ed.). St Paul, Minnesota: West Publishing Co.
- Suwailem, M. (1987, December). **Job localization in the banking sector of UAE.** Paper presented in a seminar on localization of employment by the Institute of Administration, Abu Dhabi.
- Tawfiq, N. (1987, December). **Job localization: Basis and approaches.** Paper presented in a seminar on localization of employment by the Institute of Administration, Abu Dhabi.
- Ubood, A. A. (1985). **Reasons for low number of national and Arab labor in the banking sector.** Unpublished study.

عروض الكتب



الدور الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية
في منطقة الخليج العربي حتى منتصف الثمانينات
دراسة تحليلية للتطورات، العلاقات والتآثيرات السياسية
الاقتصادية المتبادلة ما بين منطقتي المشرق العربي
والخليج العربي

تأليف: د. أحمد عبد الرزاق شكاره*

عرض :

محمد السعيد إدريس

المقدمة :

الوعي بتطورات الصراع الدولي في منطقتنا أضحى ضرورة ملحة في ظل التغيرات الدولية الجديدة في العلاقات بين العملاقين، إذ إن هذا الوعي وحده هو السبيل الأمثل لترشيد السلوك السياسي العربي للإفادة من هذه التغيرات لدعم المصالح العربية، والتقليل من أية مخاطر يمكن أن تحدث في المستقبل بسبب هذه المتغيرات.

هذا الوعي يتطلب بالضرورة حقائق هذا الصراع الدولي في مرحلته الراهنة والإلمام بالتغيرات الجديدة كي يمكن التنبؤ باحتمالات المستقبل. لكنه يتطلب قبل هذا وذلك إلماماً شاملأ بالمراحل الأساسية لتطورات هذا الصراع في العقود الماضية وبالذات منذ

(*) كلية العلوم الإدارية والسياسية - جامعة الإمارات - العين: ١٩٨٥.

عرض الكتب

نهاية الحرب العالمية الثانية التي شهدت ميلاد الحرب الباردة بين العمالقين وتنافسهما على توسيع دوائر نفوذهما في العالم على حساب مصالح باقي الشعوب.

والكتاب الذي نعرض له اليوم يقدم إسهاماً جيداً فيما يتعلق بهذه المسألة الأخيرة وبالذات فيما يتعلق بالولايات المتحدة وتطور سياستها الخارجية بخصوص الخليج العربي وخاصة ومنطقة الشرق الأوسط بأبعادها السياسية والجغرافية بصفة عامة.

الكتاب بعنوان: «الدور الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الخليج العربي حتى منتصف الثمانينات - دراسة تحليلية للتطورات، العلاقات، والتأثيرات السياسية - الاقتصادية المتبادلة ما بين منطقتي المشرق العربي والخليج العربي». ومؤلفه هو الدكتور أحمد عبد الرزاق شكاره من جامعة الإمارات.

ربما يكون أول ما يلفت الانتباه في هذا الكتاب هو عنوانه الطويل من ناحية، والجمع بين موضوعين هما: الدور الاستراتيجي للولايات المتحدة في منطقة الخليج، والتطورات والعلاقات والتغيرات السياسية - الاقتصادية بين منطقتي الخليج والمشرق العربي. لكن هذه الملاحظة ليست شكليّة بل موضوعية إذ إن المؤلف لم يركز في كتابه على مسألة «الدور الإرثي» ولم يتعرض للمفهوم من الناحية النظرية بأي شكل من الأشكال، لكنه ركز أساساً على السياسات الأمريكية وتطورها تجاه منطقة الخليج.

في الوقت نفسه لم يتضمن الكتاب بأي شكل تحليلأ لعلاقات التأثير المتبادل سياسياً واقتصادياً بين منطقتي الخليج والمشرق العربي، ربما لم يرد هذا الموضوع إطلاقاً على ذهن المؤلف، لكن القارئ يمكن أن يستنتج من مطالعة الكتاب أن المؤلف حاول أن يظهر تأثيرات أحداث الصراع العربي الإسرائيلي - دون غيرها من هموم المشرق العربي رغم أن الصراع هم عربي في الأساس - على السياسة الأمريكية تجاه منطقة الخليج، وتأثيرات الأوضاع الاقتصادية والسياسية في الخليج على السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي.

الكتاب إذن عرض لتطور السياسات الأمريكية في منطقة الخليج، لذلك غلب الجانب التاريخي على موضوع الكتاب، وأغنى المؤلف نفسه من جهد تحليل السياسة الخارجية الأمريكية، لذلك لم يتعرض إلى صناعة قرار السياسة الخارجية، ولا عن مؤسسات صنع هذا القرار، ولا عن العوامل المؤثرة في صنعه، واكتفى بمتابعة تأثيرات تطورات الصراع الدولي بين العمالقين وتطورات الأوضاع في المنطقة على السياسة الخارجية الأمريكية.

يقع الكتاب في ٢٠٣ صفحات وينقسم إلى ثلاثة أجزاء ومقدمة.

للوهلة الأولى سوف يفاجأ القارئ باختلال شديد في تقسيم الكتاب، إذ إن أيّاً من الجزء الأول والجزء الثالث لا يمكن أن يكون أكثر من مجرد فصل من أي كتاب آخر، وهذا ما هو موجود بالفعل في نفس الكتاب إذ إن الفصول الستة الواردة في الجزء الثاني لا يقل أيّ منها في عدد صفحاته عن صفحات الجزء الأول أو الجزء الثالث. فعدد صفحات الجزء الأول عشر صفحات متوسطة، أما عدد صفحات الجزء الثالث فهو ٢١ صفحة، في حين أن عدد صفحات الجزء الثالث فهو ١٤ صفحة.

وقد انعكس هذا الاختلال الشكلي على موضوع الكتاب فأحدث اختلالاً في مضمونه. فالمقدمة «صحفية» لم تتضمن أي عرض للفرضيات التي يسعى المؤلف إلى إثباتها والتحري عنها، ولم تتضمن أية إشارة عن المنهج الذي سوف يتزمه في البحث عن تلك الفرضيات. وكان يمكن معالجة هذا الخل في فصل تمهيدي ولكن هذا لم يحدث، إذ إنه بعد المقدمة يأتي مباشرة الجزء الأول، وهو ليس بجزء كما أشرنا، عنوانه طويل ومثير حقاً هو: «مقدمات ومنطلقات عامة نظرية وتطبيقية عن طبيعة الدور الاستراتيجي الأمريكي في منطقة الخليج العربي باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من منطقة الشرق الأوسط. وداخل هذا الجزء ليست هناك بالطبع فصول، أو حتى عناوين فرعية، ولا تحديد لقضية البحث ومشكلها ولا المنهج ولا الفرضيات، ولكنه حديث عن قضايا أو مصطلحات نظرية لا تخدم كل منها الأخرى بشكل متراّبط. فقد تحدث عن صعوبة صياغة «نموذج عام يحدد الأطار العام لل استراتيجية الأمريكية القومية العليا». وانتقل للحديث عن العلاقة السياسية وال الحرب، وتعريف التوازن الاستراتيجي»، مشيراً إلى أن الاستراتيجية القومية تكاد تكون غائبة في الولايات المتحدة لأنها لم تفضل الأخذ بنظرية واحدة بعينها بل فضلت الإفاداة من العناصر الجوهرية في كل نظرية ووجهة نظر استراتيجية بحيث تتمكن من تحقيق ميزة التحرك الاستراتيجي السريع الفعال، وحدّد المؤلف مجموعة من الثوابت التزمت بها السياسة الخارجية الأمريكية هي: حيوية المصالح النفطية والاستراتيجية أولاً، وضمان حرية أمن وحرية الملاحة الدولية عبر المضائق الدولية وبالذات مضيق هرمز ثانياً، وتأمين الطاقة النفطية ومجابهة الخط السوفييتي من خلال تعزيز الوجود السياسي والعسكري في منطقتى الخليج والمحيط الهندي ثالثاً، وعلاقات التحالف الاستراتيجي مع إسرائيل رابعاً.

أما الجزء الثاني فيكاد يكون هو الكتاب فهو يتضمن ستة فصول تابع فيها المؤلف طور السياسة الخارجية في منطقة الخليج منذ القرن التاسع عشر وحتى منتصف الثمانينات ولو أن المؤلف جعل الجزء الأول مقدمة له واستغنى عن المقدمة الواردة به، ولو أنه أضاف فصلاً سابقاً يقطعه من الجزء الثالث في الفصول الستة الواردة في الجزء الثاني، وأبقى الصفحات الباقية من الجزء

الثالث خاتمة لجاء الكتاب متواضحاً وواضحاً جداً، مقدمة وسبعة فصول وخاتمة، ذلك لأن الجزء الثالث ليس إلا متابعة للفصل السادس من الجزء الثاني وبعض الاستنتاجات الخاصة بفشل الاتجاه الأميركي لفرض التحالف الاستراتيجي» أو «الإجماع الاستراتيجي» على دول المنطقة.

وقراءة الكتاب وفق هذا التقسيم المقترن تبرز أهميته وضرورته إذ إن ما تضمنه من معلومات وأراء وأفكار لعدد ضخم من المسؤولين الأميركيين والباحثين تعد إضافة مهمة للمكتبة العربية، وتجعل الحقائق ميسرة وواضحة أمام المواطن العربي لفهم أبعاد الأطمام الأميركي في وطنه العربي، ولا نقولحقيقة «الدور الأميركي» لأن مسألة «الدور» هذه ربما تحمل بعض إيحاءات التسليم بشرعية هذا الدور، وهو أمر مستبعد، فهذا يتناقض كلية مع المصالح القومية العربية بل ومع السيادة العربية.

وسوف يجد القارئ الكثير من أسرار السياسة الأمريكية في المنطقة وبالذات مسار تطور هذه السياسة والعوامل الإقليمية والدولية التي أدت إلى هذا التطور. ففي الفصل الأول ذكر المؤلف أن النفوذ الأميركي في منطقة الخليج كان ضعيفاً بسبب سياسة العزلة التي عاشتها الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر في ظل ما عرف بمبدأ الرئيس «مونرو» الصادر في عام ١٨٢٣. ثم أشار إلى أن النفوذ الأميركي بدأ يتسلب إلى المنطقة من خلال نشاط الإرساليات التبشيرية البروتستانتية ونمو العلاقات التجارية خاصة مع سلطنة عمان. وبدأ هذا النفوذ في النمو التدريجي من خلال مسعى الولايات المتحدة لتأمين وتنمية مصالحها بالمنطقة في مجال النفط بمنطقة الخليج، لكن نمو الدور السياسي ارتبط أساساً بدعم هجرة اليهود إلى فلسطين والمشاركة في جهود خلق الكيان الصهيوني.

وتحدد المؤلف بعد ذلك عن الدوافع التي أدت إلى زيادة النفوذ الأميركي في المنطقة وال الحرب العالمية الأولى وحتى الحرب العالمية الثانية، هذه الدوافع كانت أولاً زيادة حيوية النفط في استراتيجية القوى الغربية، وكانت ثانياً بوادر اشتداد مرحلة التنافس الأميركي - الأوروبي حول الاستثمارات النفطية وبالذات في منطقة الخليج. وأشار إلى أن العلاقات الأمريكية - العربية في منطقة الخليج قد توّثقت بطريق شركات النفط وبصفة خاصة مع المملكة العربية السعودية.

في الفصل الثاني تحدث المؤلف عن «ترومان وعصر الحرب الباردة». وأشار في البداية إلى أن الولايات المتحدة خرجت من الحرب العالمية الثانية بميول أقل للتوسيع خارج دورها رغم التشجيع البريطاني لكن هناك عوامل معينة طرأت على الساحة الدولية عقب انتهاء الحرب أدت إلى انتهاج سياسة أكثر اندفاعاً نحو الخارج ولعب دور قوي في السياسة الدولية. أبرز هذه العوامل كانت

عروض الكتب

ظهور الاتحاد السوفييتي كقوة عظمى منافسة، خروج حلفاء أمريكا الغربيين ضعفاء سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وبالذات بريطانيا وفرنسا بسبب انهيار مستعمراتها وبسبب خسائر الحرب.

وتمثل التوجه السياسي الأمريكي الجديد بالعمل على تجنب حدوث مواجهة عسكرية مع الاتحاد السوفييتي، تخفيض النفوذ السوفييتي، والمحافظة على توازن القوى، وحماية المصالح النفطية الأمريكية والحفاظ على أمن وسلامة إسرائيل.

كانت هذه الأهداف إنعكاساً للمبدأ الذي أرساه الرئيس «ترومان» للسياسة الخارجية الأمريكية بعد أن تزايدت الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي وخصوصاً بعد ظهور ميل سوفييتي، زيادة النفوذ في تركيا واليونان. أعلن ترومان هذا المبدأ في ۱۲ مارس ۱۹۴۷ واستهدف به إحلال الالتزام السياسي الأمريكي بدلاً من البريطاني لمواجهة تحظر المد الشيوعي السوفييتي في اليونان وتركيا وتوسيع هذا الالتزام ليشمل مناطق أخرى من العالم منها الخليج العربي والمشرق العربي.

في الفصل الثالث تحدث المؤلف عن تطورات الحرب الباردة وظهور سياسة الاحتواء وملء فراغ التي وصفها إيزنهاور ووزير خارجيته دالاس، والصراعات التي شهدتها المنطقة العربية لإدخالها ضمن دائرة النفوذ بقيادة الولايات المتحدة وبعد فشل العدوان الثلاثي على مصر.

أما في الفصل الرابع فقد تابع المؤلف السياسة الأمريكية في عهد كندي المناقضة لسياسة دالاس الداعية إلى تحجيم الصراعات الدولية، لكن حرب اليمن سببت في تورط أمريكي تزايد في المنطقة.

في الفصل الخامس متغيرات جديدة في المنطقة وعلى المستوى الدولي منها الخروج البريطاني من منطقة الخليج، والقمة السوفييتية - الأمريكية في موسكو في مايو ۱۹۷۲، ثم الانسحاب الأمريكي من فيتنام، وقد أثر ذلك بشكل واضح في السياسة الخارجية الأمريكية فصاغ الرئيس نيكسون مبدأ جديداً استهدف تركيز الاهتمام على خلق قوى إقليمية ودعمها عسكرياً واقتصادياً بحيث تكون لديها القدرة على الدفاع عن المصالح الأمريكية. وطور جوزيف سيكو هذا المبدأ بالدعوة لإقامة نظام للدفاع عن الأمن وتشجيع صيغ الحل السلمي للمنازعات وضمان وصول النفط بالكميات المطلوبة وبأسعار معتدلة للولايات المتحدة والدول الحليفة.

وفي الفصل السادس تحدث المؤلف عن أسباب التحول من مبدأ نيكسون إلى مبدأ كارتر الداعي مرة أخرى إلى العودة للاعتماد على القوة العسكرية الأمريكية

للدفاع عن المصالح الأمريكية. من هذه الأسباب حرب النفط في منطقة الخليج عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣، وتأكيد العديد من الدراسات الأمريكية على تنامي الأطماع السوفيتية في نفط الخليج واحتمالات غزو الاتحاد السوفيتي للمنطقة، ثم سقوط الشاه الذي كان يمثل القاعدة الأساسية بنظامه الشاهنشاهي للدفاع عن المصالح الأمريكية، لذلك كانت الدعوة لإنشاء قوة التدخل السريع. أما في الجزء الثالث من الكتاب لم يجر المؤلف نقلة موضوعية بل تابع مسيرة تطور السياسة الأمريكية، فتحدث عن إضافات رونالد ريجان لمبدأ كارتر بإنشاءقيادة المركزية كتطوير لقوة الانتشار السريع والدعوة إلى إقامة تحالف استراتيجي مع دول المنطقة. والتركيز على إقامة قواعد عسكرية لتسهيل مهام القوات الأمريكية لخطة الحظر المتمثل أساساً في الغزو السوفيتي المحتمل.

وأشار المؤلف إلى أن الولايات المتحدة فشلت في فرض الإجماع أو التحالف الاستراتيجي على دول المنطقة بعد أن رفضت معظم الدول منها قواعد على أراضيها، واقتصرت علاقاتها ذات الطابع الأمني على السعودية وعمان والبحرين. واستبعد إمكانية تكوين قوة تدخل متعددة الجنسيات من دول التحالف الغربي، كما أوضح أن السعودية لم تقتن بالبرارات الأمريكية الخاصة بالدخول في هذا الإجماع الاستراتيجي وبالذات مسألة الخطر السوفيتي لأن الخطر الإسرائيلي المستند من جانب الولايات المتحدة فرض نفسه على المنطقة واكتسب الأولوية العاجلة على الخطر السوفيتي الأجل، إذا كان هذا الخطر ما زال موجوداً.

واستخلص المؤلف في نهاية هذا الجزء الذي يعد خاتمة الكتاب نتيجة مؤداتها أن موضوع حيوية تدفق النفط من منطقة الخليج إلى الدول الغربية هو المحدد الأساسي الآن للسياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة. واستبعد أن يكون الخطر السوفيتي دافعاً أساسياً لزيادة التفاؤل الأمريكي في المنطقة. لكنه ربما يقصد الخطر الشيعي دون التنافس على النفط في الخليج من جانب الاتحاد السوفيتي وفق ما أورده من تحليلات أمريكية ترجع حتمية توجه الاتحاد السوفيتي مستقبلاً للمشاركة في المنافسة على نفط الخليج.

وفي ضوء المتغيرات الدولية الجديدة يمكن القول إن هذا التنافس سيكون سليماً، كما أنه في ضوء التخمة النفطية المسيطرة على سوق النفط وتدني الأسعار وأزمة الأوبك الراهنة، ربما يكون تنافساً في صالح دول الخليج وغيرها من الدول المنتجة والمصدرة للنفط.

بهذا المضمون يكتسب الكتاب أهمية، وكان في إمكان المؤلف أن يجعل منه عملاً رائداً لو أنه تخل عن أسلوب سرد المعلومات وأحسن استخدام الاقتباسات الكثيرة التي لجأ إليها وأحسن توظيفها بشكل تحليلي بما يساعد على إبراز وجهات نظره واستنتاجاته بدلاً من الاكتفاء بعرض وجهات نظر الآخرين.



تقرير عن :

الملتقى الثاني للكتابات القصصية في الإمارات

د. يسري العزب

المقدمة :

● كان فرحاً بهيجاً عمَّ المجتمع الثقافي بالإمارات، خلال الفترة بين الاثنين ١٦ أكتوبر والخميس ١٩ أكتوبر الماضي، ذلك هو (الملتقى الثاني للكتابات القصصية والروائية بدولة الإمارات العربية المتحدة) الذي أقيم بالتعاون بين اتحاد أدباء وكتاب الإمارات ودائرة الثقافة والإعلام بالشارقة والذي اشترك فيه كتاب ونقاد من معظم الأقطار العربية مع كتاب ومثقفي دولة الإمارات، وقد ظهرت مراسم هذا الفرح الأدبي بشكل واضح وجيد في جميع وسائل الإعلام بالدولة من صحفة وتليفزيون وإذاعة. وكانت عبارة (نحو قصة جديدة.. نحو قصة للحياة) تتصدر

(*) عمادة الانتساب الموجه - جامعة الإمارات العربية المتحدة.

معظم المقالات والتابعات الإعلامية.. مثلما كانت الأبحاث التي نوقشت في جلسات الملتقى تجسيداً حياً لهذا الشعار الذي حمله الملتقى منذ يومه الأول وحتى جلسته الختامية.

- ١ -

تميزت الدراسات والأبحاث، التي قدمت للملتقى والتي بلغت سبعة عشر بحثاً، بإخلاصها الشديد في دراسة الظاهرة الإبداعية القصصية الشابة في أدب الإمارات.. وهي الدرجة نفسها التي ميزت المناقشات الخصبة والحرارة التي تداخلت مع هذه الدراسات والأبحاث، أو تخارجت معها أحياناً، خلال الجلسات السبع التي خصصت لهذه المهمة.

ويمكن لتابع حركة الملتقى أن يرصد اتجاهين نقديين (أدبيين) – هما الاتجاهان الرئيسان السائدان في الحركة الأدبية الراهنة في الوطن العربي – قد اتجهت إليهما بحوث الملتقى ودراساته ويضممهما المحوران التاريخي والجمالي.. وفي المحور الأول (التاريخ) نجد اتكاء على منجزات العلوم الإنسانية الاجتماعية منها خاصة وإسهاماتها في حقل الدراسات الأدبية والنقدية.. ويشتمل هذا المحور على الأبحاث السبعة الآتية:

١ - قضايا التحول الاجتماعي في القصة القصيرة بدولة الإمارات العربية المتحدة.

للأستاذ يوسف الشaroni (مصر)

٢ - العمالة الوافدة (دراسة سوسيولوجية في القصة القصيرة في الإمارات).

للدكتور محمد عبد الله المطوع (جامعة الإمارات)

٣ - البيئة المحلية في القصة القصيرة في الإمارات..

للدكتور ضياء الصديقي (جامعة الإمارات)

٤ - الشخصية والبيئة في القصة القصيرة.

للأستاذ ثابت ملكاوي (جريدة الاتحاد)

٥ - المدينة في قصص عبد الحميد أحمد (دراسة في البيئة المكانية).

للدكتور وليد محمود خالص (جامعة الإمارات)

٦ - صورة المرأة في القصة القصيرة في الإمارات

للأستاذ خليل السواحري (الأردن)

تقارير وندوات ومؤتمرات

٧ - أدب المرأة في الإمارات (القصة القصيرة).

للأستاذ أنور الخطيب (جريدة الاتحاد)

● أما المحور الثاني (الجمالي) فتتجه أبحاثه ودراساته - رغم تعدد المناهج التي يتبعها الباحثون - أصلاً إلى النص القصصي تحليلاً وتشريحاً لاستظهار ملامحه الجمالية واستكناه ما يستكناه في بنائه الأدبية من دلالات.. وقد اشتمل هذا المحور على البحوث العشرة الآتية:

١ - شعرية القصص وملامح الحداثة (قراءة في أدب الإمارات).

للدكتور صلاح فضل (مصر)

٢ - الواقع العام وتخيلية النص القصصي.

للدكتور محمد برادة (المغرب)

٣ - في بعض المحاور التيماتيكية للقصة القصيرة الإماراتية.

للدكتور نجيب العوفي (المغرب)

٤ - الجمال في القصص: تجربة الإمارات العربية المتحدة.

للأستاذ نبيل سليمان (سوريا)

٥ - بنية المرأة الترجسية في قصة (الليل والورد) لمحمد حسن الحربى.

للأستاذ حاتم الصكر (العراق)

٦ - مستويات السرد الموضوعي والسرد الذاتي في تجارب قصاصي دولة الإمارات.

للأستاذ فاضل ثامر (العراق)

٧ - التصوير الفني وفلسفته الجمالية عند القاص عبد الحميد أحمد.

للدكتور عدنان حسين قاسم (جامعة الإمارات)

٨ - التوظيف الأسطوري في تجربة القصة القصيرة في الإمارات.

للدكتور إبراهيم عبد الله غلوم (البحرين)

٩ - القصة القصيرة في الإمارات : إشكالية اللغة.

للدكتور سعيد مصلح السريحي (السعودية)

١٠ - لغة الحوار ودورها في إبراز السلوكيات والأرضية الاجتماعية. لشخوص

للدكتور علي عبد العزيز الشرهان (جامعة الإمارات)

ومع هذه البحوث ومعدتها - باستثناء الأستاذ خليل السواحري (الباحث السادس من المحور الأول - دار نقاش وجدل طويلاً بين الباحثين والمعقبين ومديري الجلسات والمشاركين من الكتاب والمثقفين، الذين قدموا إضافات فذة لهذا الملتقى الأدبي، بحضورهم الحي، الذي زاد من حيوية اللقاء كما أضاف للأبحاث الكثير وأعطى للجلسات مذاقاً جميلاً، لا يتوافر عادة في مثل هذه الملتقىات، التي ينفلق - معظمها في معظم الأحيان - على صانعيه ومشاركيهم.

وقد تميزت إدارة الجلسات - إلى حد بعيد - بالديمقراطية، فلم يحدث تدخل أو قطع لعرض الأبحاث، أو ما دار بشأنها من مداخلات إلا في حالات نادرة، كانت بسبب الحرص على الوقت المخصص لكل بحث (٢٠ دقيقة لعرض البحث ملخصاً + ١٠ دقيقة لمن يعقب على البحث + ٣٠ دقيقة للنقاش) ومع ذلك فقد كان مدير الجلسات من سعة الصدر بحيث تجاوزت كل الأبحاث الموعود المحدد لها، في جميع الجلسات بلا استثناء.

حيث كانت مهمة الجلسة الصباحية مناقشة بحثين بينما حفت الجلسة المسائية بمناقشة ثلاثة أبحاث.. غير أن كل جلسة كانت تناقش ما خصص لها من قبل (برنامج الملتقى) الذي جمع في الجلسات بين الدراسات والأبحاث وبين التاريخي والجمالي مما أظهر درجات التفاوت بينها سواء من جهة المنهج ومستوى التلقي في المناقشات التي دارت حول هذه الأعمال خلال جلسات الملتقى السابع.

- ٢ -

أبحاث المحور الأول

١ - قضايا التحول الاجتماعي في القصة القصيرة بدولة الإمارات دراسة للكاتب يوسف الشاروني.

يبداً الباحث برصد بعض المتغيرات الاجتماعية في مجتمع الإمارات ويربط بين عملية التحول الاجتماعي والنصل القصصي الذي يعكس هذا التحول في عناصره كافة (الشكل - المبدع - الملتقى - الموضوع أو المحور القصصي) ويرى أنه لولا حدوث التغير الاجتماعي منذ عشرين سنة نتيجة الانتقال إلى العصر الحديث (بعد ظهور البرتول) لما كان لفن القصة القصيرة أن يظهر في الإمارات. ثم يطبق

الباحث هذه الرؤية على «القليل من القصص الذي أتيح لي قراءته» - وهي قصص للكتاب عبد الحميد أحمد ست قصص، أمينة بوشهاب (قصة واحدة)، سلمى مطر سيف (أربع قصص) ظبية خميس (قصة واحدة) إبراهيم مبارك محمد حسن الحربي (قستان)، سعيد سالم الحنكي (قصة واحدة)، ناصر جبران (قصة واحدة) - ثم يقسم هذه القصص الإحدى والعشرين إلى محاور أربعة هي:

- الشخصيات في مهب التحول الاجتماعي. (٣ قصص).
- المرأة وبصمات التحول الأعمق أثراً (ست قصص).
- المكان الثابت المتحول (خمس قصص).

- البحر الشاهد الصامت على التحول المتغير (سبع قصص) استعرض الباحث أهم ملامح دراسته ثم قام الدكتور عباس محجوب بالتعليق على البحث ورأى أن الباحث لم يتطرق إلى متغيرات أخرى لا تقل في الأهمية عما توقف عنده ومنها الإنسان الخليجي وما حدث داخله من تغيير.

وقضية الاستلاب اللغوي، وقهقحة الرجل، والأمية الثقافية والحضارية ومواجهة الحداثة، ورؤية الكتاب الواقدين (العرب) لما يقدم قصاصو الإمارات من قصص. ومن مداخلات المشاركين على البحث اقترح الروائي المصري جمال الغيطاني أن تخصص جلسة للاستماع إلى قصاصي الإمارات أثناء الملتقى، كما أبدى الروائي العراقي جبرا إبراهيم جبرا أن تجربة الكتابة في الإمارات تشكل من الرصيد العربي في الكتابة القصصية ولذا تغلب عليها المأساوية.

وتساءل الدكتور محمد برادة عن مفهوم التحول الاجتماعي حيث لم يحدد بشكل حاسم في الدراسة، وطالب الدكتور عدنان قاسم - بعد تأكيده لاقتراح الغيطاني - بضرورة رسم تخطيط للواقع القصصي وتقنياته في الإمارات.. وعاب الكاتب اللبناني عبده وازن على الدراسة وقوعها في التقييم الأخلاقي - لا النفي - لبعض القصص التي تناولتها.

٢ - العمالة الوافدة دراسة سيميولوجية للقصة القصيرة في الإمارات، دراسة للدكتور محمد عبد الله المطوع.

يبدأ الدكتور المطوع بدق «ناقوس الخطر على الهوية الوطنية والثقافية لمجتمع الإمارات» نظراً للتزايد المستمر في نسبة أعداد العمال الوافدين «الأجانب» بشكل ملحوظ.. ثم يتبع هذه الظاهرة الاجتماعية راصداً لها في قصص الإمارات

وأصلاً إلى نتيجة مهمة هي أن معظم الكتابات القصصية توظف هذا العنصر بحيث أصبح من أهم المحاور القصصية، فيركز الكتاب على «الجوانب الحياتية لتلك الفئات الوافدة للمجتمع الإماراتي ومعظم أولئك من العزاب الذين يواجهون مشاكل ذاتية متعلقة بحالات الاغتراب الاجتماعي الذي يعانون منه» ويركز على تجليات هذه الظاهرة الاجتماعية في قصص كل من إبراهيم مبارك، عبد الحميد أحمد، محمد المر، ناصر الظاهري، حيث لاحظ أن بعض القصص قد «تغلغل في الأعماق النفسية - للوافدين - في محاولة لاكتشاف همومها وأمالها، والتعامل معها من منطلق إنساني» كما نجح بعض القصص في «تصوير الواقع المعاش من خلال وصف أماكن السكن والتي يتفق معظمهم (الكتاب) على أنها في حالة سيئة لا تليق بإنسان» كما يجد أن هذه الظاهرة تصبح خطراً - طبقاً لرؤى القاص ناصر الظاهري - على الهوية القومية والثقافية.. ثم ينهى الباحث دراسته بتساؤل عما إذا كان «أمام ظاهرة تفاعل إنساني بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى؟ وهل يتبع عن ذلك تزاوج بين ثقافتنا وهذه الثقافات يؤدي إلى ثقافة جديدة ويلد - وبالتالي - مجتمعاً جديداً متزج فيه كل هذه التناقضات؟».

في تعقيبه على الدراسة ركز محمد العبد الله على بعض ما رأه سالباً فيها مثل: الخلط بين العلمي (المنظور) والأيديولوجي (الموقف)، تكشف الدراسة عن موقف الباحث تجاه العمالة الأجنبية الوافدة منذ بدايتها حيث يدق الباحث ناقوس الخطر على الهوية القومية والثقافية، كما خلت الدراسة من الإحصائيات والمعلومات عن حجم العمالة الوافدة وممارستها الاجتماعية.

وفي المدخلات حول البحث والتعليق بدأ الدكتور صلاح فضل منبهاً المعقّب إلى أن هذه ليست أول دراسة في الملتقي تقارب بين المنظور الاجتماعي والمنظور الأدبي فقد سبقها في اليوم الأول فقط بحثان تناولاً الظاهرة القصصية من منظور سوسيولوجي مما بحثا الأستاذين د. ضياء صديقي ويوسف الشاروني - واستطرد صلاح فضل قائلاً: إن البحث الجمالي والبنيوي أصبح الوسيلة الوحيدة للدخول إلى هذا المنظور الاجتماعي.. وكل ما يكتب عن البنوية التوليدية (التكوينية) في المغرب يشير إلى هذه القناة الوحيدة التي تربط بين كل من الدائرين السيسiological والنقدية. ولذا فإنه كان على الباحث أن يتوجه للموضوع إلى جانب اتجاهه الاجتماعي من زاوية - وبأدوات - البنوية.. ليصل إلى العلاقة بين الوعي في الأدب وبنيات الوعي في المجتمع. وفي مداخلة الدكتور

محمد برادة على البحث رأى في العنوان بعض الالتباس، (سوسيوجيا القصة) وتساءل: هل يتعلق الأمر باتخاذ النصوص القصصية مجرد شعلة لتأكيد صورة الوافد في رؤية القاص، تجعلني وأنا أقرأ أتعرف على حساسية الكاتب تجاه الآخر. إنه موقف إنساني تحدده رؤية الكاتب ويصل إليه الباحث من خلال منهج البنوية التكوبية وأدوات النقد الاجتماعي (جولدمان وزيمان...) (كما أن البحث السيوولوجي في الأدب يجب أن يهدف إلى بحث نص الكاتب لا ما قبله من الاجتماعي.

ثم تحدث جبرا إبراهيم جبرا فوصف البحث بالجمع بين العلمية والأدبية حيث أعطانا د. المطوع ورقة جيدة جداً عن العمالة الوافدة في موضوع القصة - ولم يكن متوقراً منه أن يعطيها منظوراً علمياً للوفادة.. كما لاحظت أن موقف الباحث يطفى على المنظور، وهذا من حقه كباحث، إن علينا أن نطالب القصاصين بالاهتمام أكثر بهذا الموضوع، وأن ننتظر (الرواية) فهي الإطار الكبير الذي يستطيع أن يستوعب هذا الخضم الراهن من العمالة الوافدة الذي أراه كلما خرجت لمشاهدة هذه المدن الجميلة في الإمارات».

● وتحدى نبيل سليمان عن البحث فقال: لقد وظف الدكتور المطوع مصطلح الطبقة العاملة.. وكانت أود أن يحدثنا قليلاً عنه.. وإذا صرحت هذا المصطلح فكيف سينظر إلى التركيبة الطبقية في هذا المجتمع؟ ومصطلح (العمالة الوافدة) هذا.. ألا ينطبق على العمالة العربية في مجتمع الإمارات (السورية والمصرية والفلسطينية)؟ كما لم يقف الباحث عند فئة آسيوية تعيش في المجتمع في ظروف أحسن، ومنهم - فيما أعلم - بعض الإيرانيين.. هل هي (طبقة عاملة وافدة)؟ أم هو (هرم طبقي)؟ والأوروبيون وهم العنصر الحاضر جداً والغائب جداً بخاصة في النصوص القصصية، حيث لم تصوره بعض القصاص إلا في موقعه هناك (في أوروبا) لماذا لم يتعرض له البحث أو القصاص في الإمارات؟

● ثم تحدث الدكتور عياش محجوب فقال: أعتقد أن الأخ نبيل سليمان يعيش هنا.. لأن كثيراً من ملاحظاته تتفق مع ما نعرفه، حيث لا تصور القصاص إلا فئة واحدة من الوافدين هي (العمالة الآسيوية السلبية أو الشاذة) ولا نجد في القصاص تصويراً للعربي سواء المثقف أو العامل.. وما يقوم به من دور في هذا المجتمع وتأثيره فيه كما غاب دور القطاع الأوروبي الذي يعيش حياته في أي مكان ذهب إليه. ودفعاً عن الباحث أود أن أقول: إن هذا البحث كتب بسرعة فلم يتمكن من استيعاب جميع القصاص.. ويبعد بالفعل أن الباحث

يصدر عن موقف مسبق وهذا يضر بالنتائج التي تكون في الغالب نتاج هذا الموقف وليس نتاجاً للمجتمع أو للنصوص القصصية؟

ثم قام الدكتور المطوع بالرد شاكراً كل من شارك في مناقشة دراسته وهي سمة الدراسات الإنسانية كافة.

«ولا أنكر فضل المدرسين المصريين والعربيين ممن درسوا لنا في الأربعينيات وما بعدها وتتكلفوا الكثير من الجهد.. وأنا لا أعتبر الإخوة العرب وأفدين، وإنما هم عرب، ولكن الصحافة هي التي اصطنعت هذا المصطلح (العمالة الوافدة العربية) في مقابل (العمالة الوافدة الأجنبية) حتى رسم في المجتمع وتأثرت به الدراسات.. كما أتنى لم أتعجل في الدراسة، بل إنني قرأت جميع القصص نتيجة الخبرة التراكيمية خلال السنوات الثلاث الأخيرة».

٣ - ١ - البيئة المحلية في القصة القصيرة في الإمارات بحث للدكتور ضياء الصديقي.

«البيئة - في رؤية البحث التي تتحدد في مقدمته - تخرج عن كونها حدوداً جغرافية مقصورة على مكان معين لمجتمع معين، بل تتعداها لتعني زمناً وتاريخاً وسلوكاً، ومفاهيم وقيمياً وتقاليداً ومعتقدات وعلاقات اجتماعية، أي بعبارة أخرى هي (ثقافة مجتمع ما)».

وبهذا المفهوم فإن الأديب شديد الاتصال ببيئته وأدبه يجب أن يكون «صورة عن البيئة طالما أنه يعول في إبداعه على ما اختزنه وجданه من قيم ومفاهيم شكلتها البيئة التي نشا فيها».

وبعد مقدمة تاريخية ونظيرية للقصة القصيرة (تسعة صفحات) يبدأ الباحث دخوله إلى قصة الإمارات بالتساؤل عن:

إلى أي مدى استطاعت القصة في الإمارات أن ترسم صورة للمجتمع المحلي؟ وإلى أي مدى استطاعت أن تكون مرتبطة ببيئتها الخاصة؟ وإلى أي مدى استطاع شكلها الفني أن يتوااءم مع مضمونها؟

يقسم الباحث القصص القصيرة في الإمارات (إنتاج ٢٢ قاصاً وقاصة) إلى ثلاثة محاور يرتبط الزمن بالمكان في كل منها على النحو التالي:

المحور الأول: الماضي في منظومة البحر - القرية - الحي القديم - البايدية وينتظم هذا المحور مجموعة (ذلك الزمان) لعبد الراضي السجواتي الصادرة

١٩٧٩ قصة (رجال في مهنة) لعلي محمد راشد، و (الدفتر رادي عليه) لعبد الغفار حسين، وقصة (إلى عبد الله الصغير.. وصبية) لسعيد سالم الحنكي و(يوم أحسن به أنه يعيش) لجمعة الفيروز، و (النشيد) لسلمي مطر سيف..

يتوقف الباحث عند هذه القصص باعتبارها عينات أو نماذج لقصص المحور الأول محاولاً الربط بين تيمة البحر - الماضي والشكل الفني فيصل إلى بعض النتائج الجيدة مثل رأيه في قصة (جمعة الفيروز) حيث «لا ترقى لمستوى قصص الكاتب لا في فنيتها ولا في معالجتها، وإن كانت تطرح موضوعاً كان من الممكن استغلاله في عمل ناجح، وقد ازدحمت القصة بكثير من الخطابات الحماسية والنصح الانفعالي والعيارات التقريرية.. فهي تسجل بشكل مباشر شيئاً من تاريخ المنطقة غير المدون، غير أن القصة شيء والتاريخ شيء آخر».

كذلك رأيه في قصة (سلمي مطر سيف) التي «ترتفع إلى مستوى عال من الفنية في تعاملها مع نفس البيئة، فتعري العلاقات الاجتماعية وتقدم مجتمع تلك البيئة إلى المحاكمة».

ثم ينتقل الباحث إلى باقي مفردات هذا المحور التي تلي (البحر) في الأهمية بحسب النتاج القصصي، القرية والحي الشعبي في المدن القديمة والصحراء متناولاً قصصاً لناصر الظاهري، وجمعة الفيروز، وناصر جبران، و (علي الشرهان) ومريم جمعة فرج.. التي «تعامل مع اللغة بشكل خاص من التكيف والتركيز والعبارات الرشيقية الموحية، وهي مولعة بالتجريب، واستخدام التقنيات الحديثة كالقطع والمونولوج وتدخل الأصوات والأزمنة.. دون السقوط في الغموض.. وهذا الأساس الفني تحس بنكهه البيئة المحلية دون الإشارة إليها مباشرة».

ثم يتناول الباحث قصة محمد حسن الحربي (حكاية عربية) «تجري في بيئه الباردة وتفوح منها رائحة الصحراء» التي يستخدمها القاص رمزاً للوضع العربي المعاصر.

ثم ينتهي الباحث إلى أن معظم قصص هذا المحور لم تستطع أن تحرك البيئة وتجعلها أكثر تفاعلاً مع الأحداث والشخصيات للوصول إلى عمل فني ناضج».

المحور الثاني : الماضي والحاضر في منظومة البحر - المدينة.

ينتظم في هذا المحور قصص (عاشق البحر) لإبراهيم مبارك و (خلاله S.E.L) لعبد الحميد أحمد الذي نجح في «خلق النموذج الرمزي الذي ي Shi بالصورة الضبابية لهذا الحاضر»، (السيد غير موجود) لناصر الظاهري الذي نجح في جمع «الأزمنة الثلاثة من خلال ثلاثة أجيال و (طفولة و حلم القبيلة) لسعاد العربي التي قدمت «إدانة للواقع الجديد ورفضاً خفيأً للمدينة بعلاقاتها الاجتماعية المتشابكة».

و (عائشة رمز الخلود) لجمعة الفيروز، و (أيوى خميس) لسعيد الحنكي وهما القستان اللتان «حاولتا بعث الماضي في الحاضر» أما غيرهما فقد ظلت تتردد فيها «مشاعر الأسف والأسى على موت الماضي ودفنه في الحاضر.

ويخلص الباحث إلى «أن موقف القصاصين إزاء الواقع الجديد ورفضهم اللووج فيه أو الحذر والحيطة والتحفظ من دخوله» هو «موقف يرفضه الواقع الجديد» وعليهم تقع مسؤولية تقويمه وتعديلاته وبنائه على أساس جديدة مسترشدين بإضاءات الماضي ومستشرفين المستقبل».

المحور الثالث : الحاضر - المدينة.

يرى الباحث أن القاص محمد المر هو «أكثر القصاصين تمثيلاً للواقع الجديد كماً، فهو غزير الإنتاج.. وقصصه جميئاً مطرزة بالبيئة المحلية الصارخة، بدءاً بتحديد المكان وأحوال الجو إلى المستوى المعيشي لأفراد المجتمع.. ومن الأحياء الراقية إلى الأزقة الضيقة.. غير أن المر في الغالبية العظمى من قصصه يقتصر دوره على التسجيل الخارجي للمجتمع الحالي ورصد السلبيات التي رافقت - ولا زالت - حركة التغيير». ونلاحظ أن الباحث يكتفي بهذا الحكم العام دون التوقف أمام بعض قصص المر التي تقدم لهذه النتيجة، على عكس ما يفعله مع سعيد الحنكي وقصته (هموم المواطن س) التي «يرسم فيها صورة المواطن الذي تصرعه دوامة الحياة» وهي نفس التيمة التي يعزف عليها ناصر جران، قصته (نقطة رادار) ومحمد الحربي (وسام شرف) وناصر الظاهري (طويره الجنة وسفر الأسفار) وعبد الراضي السجوانى (بشرى في التين) ومرريم جمعة فرج (عيار) وعبد الحميد أحمد (البيدار والمرأة الأخرى)، وأمينة بوشهاب (هياج)، وباسمة محمد يونس (امرأة مظلومة) وليل أحمد (طفول)...

ويخلص الباحث من دراسة هذا المحور إلى أن «معظم القصاصين التي حاولت رصد الواقع الحالي، أو استكشافه أو استطياعه، سقطت تحت معاول المدينة، واختفت بهوائها الفاسدة». وإلى أن البيئة في هذه القصاص «ضبابية سوداوية

مرفوضة بعلاقاتها الاجتماعية المريضة ومفاهيمها الغريبة، كما أن البيئة (المكان القصصي) جامدة لا حياة فيها.

● ثم عقب القاص محمد حسن الحربي على البحث مشيداً به وبمنهجه وطالب الكتاب بالوقوف عند بعض ما تطلبه منهم الباحث بشأن التعامل الفني مع البيئة الاجتماعية.

وفي المناقشة أشاد حاتم الصكر بالجهود الذي بذله الباحث في استخلاص فنيات واجتماعيات النصوص القصصية وتأكيده على براءة الماضي كمعادل موضوعي لفساد الحاضر وصلة القصة بالجماعة وبالفرد.

وقال فاضل ثامر: إنه لاحظ أن الباحث ينطلق من سوسيولوجية دراسية أكاديمية مؤسسة مما يجعل دراسته تميل نحو الخطاب الاجتماعي أكثر من انتماها للنقد الحديث ونحن بحاجة إلى تطوير الرؤية في النقد الحديث وعاب على البحث اهتمامه (بالخارجي) دون الوصول إلى الداخلي.

وطالب نبيل سليمان الباحث بتوضيح الفرق بين مفردي (البيئة - الواقع) كما وصف البحث بالخلل حيث هناك تناقض واضح بين المقدمة والنتيجة التي يصل إليها الباحث.

كما وصف الدكتور يسري العزب البحث - رغم جديته - بأنه لجأ إلى الأسلوب التعليمي لا الأكاديمي وأن مقدمته تعليمية حيث بدأ البحث ولمسافة عشر صفحات بالحديث عن التاريخ الاجتماعي والتاريخ الفني قبل أن يفرغ لموضوعه المحدد في عنوانه.. ثم طالب الباحث بتصحيح عبارة «تصوير براءة الماضي كمعادل موضوعي لفساد الحاضر» إلى «تصوير الماضي كمعاكس موضوعي للحاضر».

٤ - الشخصية والبيئة في القصة القصيرة بحث للأستاذ ثابت ملكاوي.

يبدأ الباحث من محاولة لتعريف القصة القصيرة تستغرق أربع صفحات ثم يربط بين القصة في الإمارات وسرعة تطويرها طبقاً لما لحق المجتمع في السنوات العشرين الماضية من تغيرات، لكنه يلمح إلى أحد أهم المؤثرات التي أدت إلى هذه النقلة الفنية فيما بين الميلاد والنضج - وهو المؤثر الذي لم يلتفت إليه غيره من الباحثين - دور المثقف العربي الوافد الفاعل في تعجيل هذه الاستجابة للمعطيات الثقافية الحديثة «حيث ضمت هذه الفئات بين الوافدين العرب شعراء وكتاباً

ونقاداً وفنانين أسهموا في تأسيس الحركة الثقافية في الإمارات وهي التي أفرزت القصة القصيرة والرواية وغيرها من الفنون في هذه الفترة القياسية». ثم ينتقل إلى المحور الأول في بحثه (الشخصية) فيورد تراكمًا من التعريفات لهذا المصطلح (في ٣ صفحات) غير أنه يعفينا عند عرض البحث في الملتقى من هذه المقدمات الطويلة مكتفيًا بذكر أهام الملامع التي رصدها في القصص ومثل البحث السابق نجد الباحث هنا يتناول نماذج من القصص راصداً لشخصياتها على شكل تتابع، فالشخصية عند عبد الحميد أحمد تتحدد بسمات البساطة الاجتماعية» وعند «أمينة عبد الله وسلمي مطر سيف ومريم جمعة فرج نكاد نلمح وجود المرأة المحلية طاغية بشخصيتها داخل هذه القصص (مجموعة التنشيد) بجانب قصص قليلة أخرى» وعند ناصر الظاهري نجد أنه « يجعل الشخصية ترتسم في ذهن المتلقى فيظل مشدوداً مع الحدث حتى نهايته».. وهكذا يصل الباحث إلى نتائجه بالنسبة لباقي القصاصين: محمد حسن الحربي (ص ٢٥)، ظبية خميس (ص ٣٠) وبلاحظ أن هذا البحث من البحوث القليلة التي توقفت بالدراسة عند شخصيات محمد المر حيث لاحظ الباحث عليها:

- ١ - أن الكاتب رسم أغلب شخصياته من الخارج.
 - ٢ - أن الشخصيات تتوزع بيئياً بين الأنماط الفقيرة والمتوسطة لكن الكاتب لا يركز على السمات المميزة لهذين النوعين من الشخصيات بل تبد وملامحها «سطحية ولا تعكس أثراً في نفس المتلقى».
 - ٣ - لا يعطي الكاتب لشخصياته فرصة البحث في الدوافع والمسببات الكامنة وراء الأحداث «فتبدو كأن ليس لديها شيء تقوله تجاه تنوع الأحداث» ص ٣٣.
- وفي محور البيئة. يحدد الباحث البيئة بالمكان والزمان الذي تدور فيه الأحداث ويتبع تجليات هذا المحور في القصص على نحو ما فعل في محور (الشخصية) غير أنه يقع في الخلط بين ما هو بيئي وما هو تابع للشخصية، كما نرى في ص ٤١ حين يتحدث عن الراوي والبطل و (الانفجارات النفسية الحارقة) التي ترافقه.. ثم يختتم ثابت ملكاوي بحثه بخلاصة يقدم فيها أهم نتائجه:

- ١ - أن القصة القصيرة في الإمارات سارت في اختصار مراحل التأسيس التي قطعتها القصة في الأقطار العربية الأخرى.
- ٢ - سيادة اتجاه الواقعية التسجيلية عند بعض الكتاب وظهور الاتجاه نحو

تقارير وندوات ومؤتمرات

الوجودية في بعض القصص، ونحو الواقعية النقدية في بعض ثالث.. بحيث تبدو هذه الاتجاهات متداخلة ودون فواصل زمنية.

- ٣ - لم يأخذ رسم الشخصية نصيبيه من التشخيص في حدود مكانها وزمانها فجاءت في غالبيتها ضبابية معلقة في الفضاء.
 - ٤ - إن أغلب الشخصيات عاجزة عن التكيف مع البيئة الجديدة.
- وبعد أن عرض الباحث ملخصاً لبحثه دارت المناقشات - دون تعقيب - على النحو التالي:

عاب خالد جبر على الباحث أنه يحمل دور الوافدين العرب في دعم الحركة الأدبية أكثر من طاقته بينما هم لم يقدموا في الحقيقة أي إضافات.

وأشار جبرا إبراهيم جبرا إلى أن الكاتب وهو يتناول أدب القاصات يغفل أهم مدرسة يتبعها في الكتابة، وهي (التعبيرية) التي بدأت في الفن التشكيلي منذ (فان جوخ) وانتقلت بعد ذلك إلى المجال الأدبي.

كما أشار فتحي الجعفري إلى أنه لم يلمس أي أثر للبيئة في قصص مريم جمعة فرج على عكس ما لاحظه الباحث.

وركز الدكتور يسري العزب على قضية تأثير الوافدين من الكتاب والثقفين العرب في دعم وإثراء الأدب في الإمارات وقال إنه لا يعقل إلا يكون لوجود شاعر كبير مثل محمد الماغوط الذي عمل فترة هنا أي تأثير في الأدب وهو الذي أثر في الشعر والمسرح العربي كله؟ كما أشار إلى دور كل من الدكتور نجيب الكيلاني في الرواية وعبد المنعم عواد يوسف في الشعر وقد اختارا (الإمارات) وطننا ثانياً منذ عشرين عاماً.. وطالب الباحث بالتركيز على هذا العنصر لأهميته خاصة بعد أن قرر الباحث أن هذا البحث جزء من رسالة يدها للحصول على درجة الماجستير.

٥ - ١ - المدينة في قصص عبد الحميد أحمد «دراسة في البيئة المكانية للدكتور وليد خالص».

يبداً الباحث دراسته بتقرير أثر عبارة الـيـوت - «بل صيحته المدوية في (الأرض اليـاب) التي أشاعت التـشـاؤـم والـضـجر والـيـأس من هذه الـحـضـارـة الـذـاـلـلـةـ التي تـكـاد تـنـقـرـضـ، اـحـتـلـتـ الـمـديـنـةـ جـانـبـاً كـبـيـراًـ منـ الـجـوـانـبـ الـمـظـلـمـةـ لـتـلـكـ الـحـضـارـةـ وـرـأـمـاـ بـعـيـونـ مـعـادـيـةـ». ومن هذه القناعة ينطلق البحث عن أثر المدينة في

القصص المدرسوة (مجموعة البيدار والسياحة في عيني خليج يتتوosh) وقد توصل إلى أن عبد الحميد أحمد قد «رسم صورة تكاد تكون واقعية للمدينة» ص ٣ ويلاحظ الباحث بروز أمررين وأصحاب.

١ - أن القاص وهو يصور الوجه المضيء للمدينة لم يستطع أن يخفي انحيازه ضدها.. ويربط بينه وبين أحمد عبد المعطي حجازي وعلي السبتي ويستشهد بنصين من شعر كل منهما ص ٥.

٢ - شيوخ الفاظ الضيق بالمدينة بشكل لافت في القصص.

ثم ينتقل الباحث إلى تأثير البيئة / المدينة على الشخصيات ويروز البطل المهزوم في معظم القصص التي اتخذت موقفاً سلبياً من المدينة، والتي «حاولت التكيف ولكنها لم تمتلك الأدوات ففرت من الميدان مذعورة» ص ٧ أو التي اكتفت بالقشرة الخارجية في المدينة. ويمثل البحث لكلا النموذجين فمن الأول شخصية (رشدان) في قصة (السمكة).

ومن الثاني شخصية (سعيد) في قصة صفتان.

ومن الثالث شخصية (خلاله SEL) في القصة التي تحمل اسمه.. ثم يرصد الباحث الاتجاهين الواقعى والرمزي في قصص الكاتب ويعود مرة أخرى مستشهاداً برؤية الدكتور محمود الربيعي لمدينة أحمد عبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصبور والبياتى، ويربط بينهما وبين مدينة عبد الحميد أحمد في قصصه، ويرى أن تصويره لمدينته - وإن تم من موقف الرافض - يشوق ببعض الأمل حتى يعد عبد الحميد أحمد «شاهدًا على ما يحدث، ومصورةً أميناً للواقع، وأميناً للفن الذي هو غايتها وفي هذا كفاية ويزيد» ص ١٦.

وعقب الدكتور محمد العبدلي (جامعة الإمارات) على البحث مؤكداً أن وظيفة الناقد البحث عن كنوز الأدب واستخراجها، وأخذ على الباحث عدم تفسيره لصطلاح (المدينة) وهل هي نقىض للغربة ورمز لإحلال المادة محل القيم؟ ثم تعرض للقصص المدرسوة ورأى أن مجموعة (السياحة في عيني خليج يتتوosh) يصعب أن تعد قصصاً لأنها تقع بين الأقصوصة والحكاية وتقتضي إلى عنصر الإثارة، وتصيب القارئ في النهاية بخيبة أمل، بينما جاءت الأقصوصة في مجموعة (البيدار) أكثر تطوراً.. ثم تسأله عما إذا كان يجوز أن نطلق على عبد الحميد أحمد لقب (قاص) ورأى أنه يحسن تغيير كلمة (المدينة) في عنوان البحث إلى (المدنية) فهي أكثر مناسبة، «لأن المدينة لا تمثل محوراً مهماً في هذه

القصص التي تتمحور حول الطفارة بعد البترول، والحنين إلى النخلة والبحر والكعب الجنسي».

ثم دارت مناقشة حول البحث بدأها حاتم الصكر مقرراً «أن الملتقي يعكس انشطار الساحة النقدية العربية إلى اتجاهين.. ملاحظاً أن الباحث قسم بسرعة المدينة إلى الرمز والمكان وقال إن هناك فرقاً بينهما.. وعندما تحدث عن المدينة قال إن الخير والشر موجودان بها ولا ينبغي أن يصيغنا الذعر.. فهناك مدينة قائمة (واقعية)، لكن الباحث لم يحدد مفهوم (المدينة) وخلطه بمفهوم (المكان).. وببدأ الدكتور يسرى العزب مداخلته بتتحية المعقب د. العبودي على حديثه الجيد الذي يتميز بالجرأة «التي لولاها لما توفر لنا نقد ولا نقاد» وأضاف «إن الباحثين - على ما يبدو - وقعا في حرج ما جعلهم يأخذون الأمور ببعض «الدغدغة والطبعية» ثم ناقش فاضل ثامر البحث ووصفه له بأنه اتجه اتجاه أكاديمياً ولا يخرج عن كونه تجميناً لظواهر، ويستقي من دراسة ولويد أبو بكر هي ذاتها قاصرة، ودعا الباحث إلى ضرورة تحديد المكان داخل النص.

● ثم انبرى الدكتور وليد خالص مدافعاً عن بحثه بأسلوب حماسي قائلاً «لكي نقول إن عبد الحميد قاص أو غير ذلك لا بد من اتباع منهج علمي صارم، وأما عن القول بأنني لم أتبع منهجاً واحداً فأقول إن عجبني يزداد حين يواحد إنسان يتبع المنهج.. وأنا كأستاذ جامعي لي منهجي داخل الجامعة ولا يمكن للباحث أن يكون ذا شخصيتين».

٦ - ١ - صورة المرأة في القصة القصيرة في الإمارات دراسة للأستاذ خليل السواحري.

في الصفحة الثانية من الدراسة يقرر الباحث أنه قد انتهى إلى تحديد أنواع أنماط أربعة لصورة المرأة في هذه القصص هي:

١ - المرأة الزوجة في قصص لامية أبو شهاب وماجد بوشليبي ومحمد المر وسارة النواف وليلي أحمد، وعبد الحميد أحمد.. حيث تبدو المرأة إما مقهورة من الرجل والمجتمع أو قاهرة لنفسها ولهمـا. ص ٣.

٢ - المرأة المطلقة في قصص لعبد الحميد أحمد ومحمد المر وأمينة عبد الله، وسلمى مطر سيف.

٣ - المرأة الأم في قصص لعبد الحميد أحمد وعلى أبو الريش.

٤ - المرأة العازبة في قصص لعلي عبيد علي وسارة النواف ومحمد حسن

الحربى، وشيخة الناخي وظبية خميس، وعبد الحميد أحمد وبعد أن يستعرض الباحث نماذج من هذه النصوص يصل إلى أن «صورة المرأة في القصة القصيرة في الإمارات لا تبدو مشرقة رغم بعض الاستثناءات. وإحساساً منه بأن الموضوع يحتاج إلى دراسة أكثر عمقاً يصف الباحث في نهاية الدراسة بأن «هذه المحاولة تظل خطوة أولى نحو دراسة أكثر شمولاً لهذا الجانب بالغ الأهمية من جوانب القصة القصيرة في الإمارات، وقد أغنانا عن مناقشة ما قدمه بهذه العبارة الذكية.

٧ - أدب المرأة في الإمارات (القصة القصيرة) دراسة للأستاذ أنور الخطيب.

يبدأ الباحث دراسته بأن سبب اهتمامه بأدب المرأة لا يعني أنه يفصل - نقدياً - بين كتابات المرأة وكتابات الرجل، وإنما لأن قصص المرأة في الإمارات قد ثبتت تميزها، وعلى حد قوله: «ربما ثبتت الأيام أن أدب المرأة سيكون هو السائد» ص ٢.

تستغرق مقدمة، بل مقدمات، البحث (مشروعية التسمية، ملامح عامة) عشر صفحات كما تبدأ كل وحدة من الوحدات الأربع التي يشملها البحث بمقدمة تمهيدية، وقد قام الباحث أثناء عرض بحثه بتقديم أهم النتائج التي توصل إليها خلال دراسته التي كانت قد أعدت من قبل ولم يعدها خصيصاً لهذا الملتقى.

ثم ينصب البحث في دراسة لإنتاج قاصات أربع من الإمارات هن:

١ - سلمى مطر سيف.. في وحدات ثلاثة لكل منها عنوان لا تتناسب فيما بينها على النحو التالي :

الحالة وال فكرة (١١ - ٢٤).

البدايات والنهايات (٢٥ - ٢٩).

شاعرة في ثوب قصصي (٣٠ - ٣٣).

● وتحت العنوان الأول يجد الباحث أن الكاتبة تدخل إلى قصصها وهي عالمة ومتأكدة من موضوعها فكراً وحالة، لا يخونها هذا المزج إلا فيما ندر وغالبية قصصها، خاصة في مجموعة (عشية) تطرح تساؤلات وأفكاراً يصعب علينا إلا أن نأخذ بهما معأً ويستخدم الباحث أسلوب المزج بين المستوى المباشر في

النقد (!!)) والمستوى التحليلي معاً (ص ١١)، واصلاً إلى أن «المرأة هي الحالة الرئيسية التي تتحول حولها العلاقات الاجتماعية، وتعكس حالة الاضطهاد العام الذي تتعرض له»، وقد استطاعت الكاتبة أن تكشف بمعالجتها لهذا الموضوع واقع المرأة في فترة محددة (ص ١٨).

● وتحت العنوان الثاني «يتخذ الباحث من اهتمام الكاتبة بال بدايات القصصية دليلاً على أنها «تدخل قصتها وهي في كامل وعيها» ص ٢٥. كما رأى أن بعض هذه البدايات «تكون قصصاً بحد ذاتها لما بها من كثافة وإشباع داخلي للحدث، كما في قصة (ساعة وأعود) وقصة (النشيد)». وعلى عكس ذلك نجد (ال نهايات القصصية) «غامضة دائمة وغالباً ما تكون بالضياع أو بالموت أو النهاية المفتوحة» ص ٢٧ وهذا ما يؤكد «تقنية الكتابة المميزة التي تتمتع بها سلمى مطر بالرغم من العلاقات الغريبة التي تربط شخصيات بعض القصص ضمن سياق مفاجئ غير متوقع، لكنه مثير للجدل» (ص ٢٩).

● وتحت العنوان الثالث «يقرر الباحث أن سلمى مطر «شاعرة في ثوب قاسية.. تستخدم اللغة الشعرية المشحونة بالسحر والدهشة لتزييد من كثافة الحدث وتعطيه أبعاده العميق» ص ٣٠ غير أن البحث يرى أن الكاتبة «تلجاً إلى اللغة الشعرية المرتبطة بالقصة»، ويثبت بعض النصوص القصصية التي ترتفع فيها اللغة الشعرية لتصل إلى مستوى «قصيدة كاملة» كما في قصة (قيس هوى) (ص ٣١)

٢ - ليل أحمد : (المسافة بين الوطن والإنسان) تستخدم الكاتبة ليل أحمد في مجموعتها (الخيمة، المهرجان والوطن) الرمزية.. حيث نجد «مسلسل الكشف عن الرمز تدريجياً» كما في قصة (كنارة) - (ص ٢٥).

غير أنها تقع أحياناً «في مطب التكرار، فجاءت بعض القصص مطابقة لآخرى من حيث الفكرة كما في قصتي (الرقص تحت رذاذ الوطن.. والمسافة) (ص ٣٥)، كما يؤدى استخدام الرمز «المتنبذب» إلى إيقاع القارئ في «فخ الارتباك» (ص ٣٦).

● ويقف البحث مع ليل أحمد مرة ثانية تحت عنوان (صراع الأجيال) ليبحث تطوير فكرة الصراع طبقاً لاختلاف «التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية» والذي يحدث «نتيجة للوعي العام والخاص الذي يلقي ظلاله على التركيبة الاجتماعية» ص ٤١.

- وفي وقفة ثالثة مع نفس الكاتبة بعنوان (المسافة بين الحياة والموت) (ص ٤٦).

يرى الباحث أن «الحياة في نظر ليلي أحمد عبارة عن مسافة زمنية تبدأ نقطتها الأولى بالولادة.. التي تعني غالباً بداية ولادة الإدراك.. وتنتهي بنقطة الانتهاء.. الموت.. أو الانصهار مع الوطن (ص ٤٦).».

- ثم تأتي خاتمة المطاف مع ليلي أحمد تحت عنوان (توحد الإنسان) لتصل - بعد هذا الجهد - إلى «أن قصص ليلي أحمد عبارة عن أناشيد مختلفة الأصوات تؤديها منسجمة أحياناً ومختلفة أحياناً أخرى» (ص ٥١).

٣ - مريم جمعة فرج - (زمن الثلج وال الحديد)، (الجنون واللغة) تحت هذين العنوانين وحدتان؛ في الأولى: يلحظ الباحث أن مريم جمعة فرج «تركز تركيزاً كبيراً على الشخصيات المشوهة المهزومة المتساقطة المتراجعة والمنطوية» (ص ٥٣). التي تتصارع مع الواقع وتكون النتيجة دائماً ضدهم لأنها «تزرج بهم في معركة غير متكافئة مع الواقع وتحشد لهم كافة الأزمات والعقد التي لا تقوى إلا إلى الجنون أو الهزيمة» (ص ٥٤). وفي الوحدة الثانية: يلحظ الباحث أن القاصة «حشدت لغة ناسبة توفرها الحدثي في البنية القصصية العامة، فهي تارة لغة عادية، ومرة أخرى لغة مكثفة، ومرة ثالثة لهجة عامية.. ورابعة «اللهجة المكسرة»، كما ينطبقها الأجانب» (ص ٦١) ثم يورد بعض الكلمات التي يكثر ترددتها في قصص الكاتبة مثل (مجنون، مطر) ثم يقف الباحث عند بعض سلبيات الكتابة في قصص مريم ومنها أن اللغة قد تجيء مختصرة، كما تأتي الأحداث مبعثرة وذلك في قصصها (حقول - بدريه - ضوء) التي تحولت فيها القصص إلى (خواطر) (ص ٦٤).

غير أنها قدمت «شخصية مكتملة في قصة (شعر) فكانت (فاطمة) مثال المرأة الصابرة الطموحة والمخلصة» ص ٦٦.

٤ - أمينة عبد الله بوشهاب (صراع بين عالمين)، (الشكل والمضمون) تحت هذين العنوانين - كما حدث فيما سبق - وحدتان، في الأولى يلحظ الباحث أن هذه الكاتبة تفترض أن المجتمع يمكن له أن يحتضن الوباء لفترة طويلة دون أن تظهر أعراضه المرضية، ولهذا فإنها تهتم بتاريخ الحالة الإنسانية والسنوات الطويلة التي يتضخم فيها الوباء قبل أن ينتشر» (ص ٦٨)، وهذا يؤدي إلى أن تحشد الكاتبة المتناقضات التي تعكس التفاوت الطبقي ويناقش الباحث رأين لكل من الدكتور محمد حور والدكتور نبيل ياسين في قصص أمينة بوشهاب

وفي الوحدة الثانية يرى الباحث أن الكاتبة «تنطلق إلى أجواء قصصها ببساطة دون أن تفكك كثيراً بعقة الأساليب.. تروي القصة بالطريقة التي تعجبها، ولا تجد حرجاً في الانتقال من مكان إلى مكان متبرعة اختلاف الزمان» (ص ٧٦)، ثم يناقش رأياً لبدر عبد الملك فيما بقي من صفحات البحث خالصاً إلى أن هذه الكاتبة تتفرد بميزة تقديمها لشخصيات كاملة لا تقدمه من معلومات عن شخصياتها وبقدر ما يفيد هذا في الإقناع إلا أنه يوقع قصصها أحياناً في الأضطراب « فهي لا ترکز على الحالة بقدر النماذج التي تسعى جاهدة لتجميعها تدعيمًا لفكرتها ومحاولة للإقناع» ص ٨٠.

كان المعقب على هذا البحث هو الكاتب إبراهيم سعفان (مدير تحرير مجلة المنتدى بالإمارات) الذي بدأ بوصف كاتب البحث بالجمع بين حساسية الفنان وعقلية الناقد واختلف مع الباحث في التقسيم بين أدب كل من الرجل والمرأة وفي أن أدب المرأة في الإمارات قد ولد قوياً ولو أنه رجع إلى تاريخ الكتابة لدى كل كاتبة لعرف أنهن قد بدأن الكتابة قبل النشر بأكثر من عشر سنوات، كما عاب عليه اللجوء إلى الأحكام العامة مما جعل بحثه بعيداً عن المنهج النقدي والحججة العلمية، كما اعتمد على تحليل مضامين كل مجموعة مما جعل البحث صوراً لمقالات بعيدة عن المنهج الموحد، وجعله في النهاية يرکز على السمات العامة التي تحدد أدب المرأة في الإمارات.. دون إبراز السمات ومؤثراتها الخارجية والداخلية.

وكان جبرا إبراهيم أول المتداخلين قائلاً: أمامنا بحث تحليلي لأدب أربع نساء أضعهن في مستوى بدايات كتابات عربيات تميزن منذ بداياتهن مثل ليلى بعلبكي وغادة السمان بموقفهن الجريء والقوى الذي جعلهن قاصات جيدات على الساحة العربية، وفي اعتقادي أن الاتجاه من الشعر إلى الرواية والقصة ساعد المرأة العربية على التواجد وبقاؤه في مجال القصة والرواية.

ثم تسأله حاتم الصقر: لماذا تناول الباحث تجربة كل كاتبة على حدة؟ لقد أدت هذه المواجهة المتفردة للقصة بالبحث إلى البعد عن المنهج العلمي ونشرت عالم القاصة الخاص على عوامل أخرى.

ثم ناقش الدكتور عدنان قاسم ما ورد في تعقيب إبراهيم سعفان عن الأحكام التعميمية مرتئياً أنها أحكام تأثيرية وهو نقد مشروع إذا كان بمثابة خطوة أولى تتبعها خطوات تقننها. أما فاضل ثامر فقد أعلن إحساسه بالتعاطف مع المحور الذي تناوله الباحث وفوجيء بتميز المستوى الفني في قصص المرأة الإماراتية

على مستوى النوع والكم وبالذات لأنها استطاعت أن تبرز المعاناة والقهر والاستلاب الذي تعاني منه المرأة العربية عموماً.

كما عاب فتحي الجعفري على البحث أنه وضع عناوين أشبه بأسماء الأفلام السينمائية على فصول بحثه، ولم يجد علاقة بين هذه العناوين وما اشتملت عليه الفقرة.

وكانت هذه الأبحاث والدراسات التي تأسست على المنهج التاريخي في النقد وتعتمد على معطيات العلوم الإنسانية. وبخاصة علوم الاجتماع والنفس والفلسفة، هي أبحاث المحور الأول من المحورين اللذين دارت حولهما دراسات هذا الملتقى الأدبي الجيد وأبحاثه.. وقد ساعدتنا هذه الأبحاث ولطبيعة المنهج الذي اتبعته في محاولة (تخليصها) وعرضها وعرض ما دار حولها من آراء ومناقشات، بينما تظل أبحاث المحور الثاني التي اعتنقت (المنهج التحليلي للنصوص) عسيرة على مثل هذه المحاولة لتخليصها ومن ثم عرضها وعرض المداخلات الدقيقة التي دارت حولها. وهو ما سنحاوله في محاولة قادمة.

* العقل في التراث الجمالي عند العرب

تأليف: الدكتور علي شلق

الناشر: دار المدى - بيروت

عدد الصفحات: ٤٤٨ من الحجم الكبير

يتوزع الكتاب على خمسة عشر باباً - يتضمن رؤية المؤلف لموضوع الجمال من وجهة نظر إسلامية - مركزاً على عنابة القرآن الكريم باللغة الجمالية تركيباً، إيقاعاً، صورة، - ثم يتناول المؤلف، الفن بشكل عام - الخط - الشعر - المعمار. مؤكداً بأن الفنانين المسلمين فاقوا فناني العالم بهذا المجال.

والكتاب يركز على الرؤية الجمالية للعرب في العصر الجاهلي وحتى العهد العثماني مروراً بالصوفية والبعد العباسي والأموي... .

مفهوم الدولة

تأليف: عبد الله العروي

الناشر: المركز الثقافي العربي - بيروت

عدد الصفحات: ١٨٠ صفحة من الحجم الكبير

يتفق كل المفكرين السياسيين الواقعيين والمثاليين - على العادلة - الدولة أن الحق اجتماع وأخلاق. قوة وإنقاذ. ويتفقون جميعاً على القواعد التالية :

- لا نظرية حقيقة بدون تفكير جدي في أخلاقية الدولة.
- إذا لم تجسّد الدولة الأخلاق بقيت ضعيفة.

ومن خلال استعراض شامل لنظريات الدولة. الإيجابية. وتكون الدولة. والدولة التقليدية في الوطن العربي. ثم دولة التنظيمات - مروراً بالنظريات النقدية للدولة. ومقارنة بين النظرية وواقع الدولة العربية القائمة والمفارقة الحالية - يتوصل الدكتور العروي إلى أن المطلوب هو التأمل بجد وأنة في هذين المتلازمين لا الإتيان بحلول ناجزة إذ إن الاستعجال طوبوية تفتح الباب إلى الفوضوية - والفوضوية وإن كانت خلاقة أدبياً. فهي عقيدة سياسياً واجتماعياً.

مشكلات العلوم والتكنولوجيا في الوطن العربي

تأليف: د. إبراهيم بدران

الناشر: دار الشروق - عمان - الأردن

عدد الصفحات: ٢٦٩ صفحة من الحجم المتوسط.

في نهاية القرن العشرين تصبح مشكلة التكنولوجيا والبحث العلمي معضلة بالنسبة للكثير من الدول. وتطور البحث العلمي وتقدم التكنولوجيا مرهونين بتقدم الدولة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

(*) أعد هذا التلخيص من قبل مكتبة دار المسار.

إصدارات جديدة

هذه الدراسة للدكتور / إبراهيم بدران تتناول مشكلات الكوادر العلمية والتكنولوجية بشكل خاص ضمن إطار اجتماعي سياسي واقتصادي للوطن العربي بالدرجة الأولى ولدول العالم الثالث عموماً.

وبالتالي فإنه الدراسة فإنه لم يرد لهذه أن تكون أكاديمية مجردة مسلوبة عن الواقع بقدر ما أريد لها أن تكون منحازة إلى جانب التغير الآخذ بالتسارع من أقصى البلدان النامية إلى أقصاها.

اتخاذ القرارات الإدارية بين النظرية والتطبيق

تأليف: د. نواف كنعان

الناشر: حقوق النشر للمؤلف

عدد الصفحات: ٣٧٢ صفحة من الحجم الكبير

الكتاب ينقسم إلى ثمانية أبواب - الباب الأول يبحث في اتخاذ القرارات في الفكر الإداري من العصر القديم الفرعوني - ثم الصيني واليوناني والروماني والعربي حتى العهد الأموي ثم تناول الإدارة في العهد الحديث - متوقفاً عند بعض النظريات الحديثة في الإدارة.

في الفصل الثاني تحليل لمشكلة محل القرار. وتناول في بقية الفصول بدائل الحل ثم تقييم البدائل المتاحة واختيار الحل - ثم في الباب السادس يتطرق لمتابعة تنفيذ القرار - أما بقية الأبواب والفصل - فهي الأساليب التقليدية أو العلمية في اتخاذ القرار. إما عن طريق النمط الأنورقاطي أو الديمقراطي.

في الفصل الثامن يبحث عن المشاكل والمعوقات الإدارية. ومعوقات البيئة.

آراء ونظارات في الإدارة

المؤلف: أحمد عبد السلام دباس

الناشر: دار طلاس - دمشق

عدد الصفحات: ٤٧٠ صفحة من الحجم الكبير

الإدارة أداة أو وسيلة استخدام الموارد والإمكانات المتاحة لتحقيق الأهداف على أفضل وجه.

وهي، موجودة، ولا يمكن إلا أن تكون موجودة في كل تجمع بشري أو مجموعة أو هيئة وما سواها، مهما تتنوع الأهداف وتتعدد... هي موجودة في صيغة القاسم المشترك تؤازرسائر المهن والاختصاصات في تحقيق أهدافها وأداء مهامها.. ويتوقف على الإدارة نجاحها أو فشلها في ذلك... لذا يقول المؤلف «فتosh عن الإدارة».

ويعتقد المؤلف بأن عقد الثمانينات هو عقد التنمية الإدارية في الوطن العربي حيث احتلت الإدارة مكان الصدارة في تنمية وتطوير المجتمع.

ثم يتساءل المؤلف عن مفهوم الإدارة - وظائفها - مرتكيزاتها - ومقولات نجاحها. وللإجابة عن تلك الأسئلة - يحاول المؤلف في كتابه الإجابة عنها بواقعية علمية، ومن خلال التجربة والممارسة.

Journal of Social Affairs

No. 24 - Vol 6 Winter 1989

**A Quarterly Journal Published by the
Sociological Association of the U.A.E.
SHARJAH BOX 3745**

Annual Subscription

Individual :	U. A. E.	Dhs 25
	Arab Countries	\$ 10
	Elsewhere	\$ 15
 Institutions	 U. A. E.	 Dhs 100
	Elsewhere	\$ 40